صفقات رابحة

د. خالد أبو شادي



دار البشير
للثقافة والعلوم

صفقات رابحة

كيف تحجز مقعداً فى الجنة ؟!



خالد أحمد أبو شادى

الإهداء

إلى من أجاب النداء.. ورفع اللواء

هذه جنّة الخلد تمشي على الأرض بين يديك

والحور تهتف في الأسحار تهيم شوقاً إليك

ورحمات ربّك المنزلة تعرض نفسها عليك

وصوت الحادي ينادي :

الدنيا ميناء يتزوّد منه المسافرون إلى الجنة أو إلى النّار

إيمان لا يتبعه عمل هباء

وشراء الجنّة دون دفع الثمن هراء

الرحلة لا تمدّ على طريق الكسل

والقافلة ليس من زادها طول الأمل

أظهر لله من نفسك قوة.. أقرّ عين نبيك في قبره

جدّ في غيظ عدوك الذي أخرج أبويك من الجنّة

ادفع ثمن الصحبة إن أردت فإن مجالسة النبيين في الجنة غالية

كحّل عيونك بالسّهر.. واسرج جوادك للسفر

واعلم أنّ هجر الوسادة ثمن السّيادة.

اصدق مع الله ولو مرّة وسترى العجب

أنت مدعوّ على موائد الكرم الإلهي والأجر الربّاني

وحقّ على المزور أن يكرم زائره

مرحبا بك.

شكر وعرفان

إلى أبي الذي أخذ بيدي إلى طريق الدعوة
وإلى أمي التي غمرتني حبًّا وعطفًا وحنانًا
رجاء أن أنال رضاهما عنّي
فيرضى الله ويتفضّل بالجنّة

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

أما بعد . . فقد أنعم الله علي بمنحة في صورة محنة ، خلوت فيها إلى نفسي لأخط هذه الصفحات ، والتي أسميتها (**صفقات رابحة**) ، وهي عبارة عن فصول في مدرسة الترغيب والترهيب ، تلك المدرسة التي تعد من أنجح المدارس في تقويم النفس ودرء عيوبها وحثها على بذل الطاقة واستفراغ الوسع في طلب الجنة وحرث الآخرة ، ولولا هذه المدرسة لكانت القلوب رقعة خربة في غياب ري الإيمان وبواعث الهدى .

قال **يوسف بن أسباط** : " خلقت القلوب مساكن للذكر ، فصارت مساكن للشهوات ، ولا يمحو الشهوات إلا خوف مزعج أو شوق مقلق " [(١)] ، وفي هذا السياق يجيء هذا الكتاب ليحقق هذا الهدف ، وقد عرضت فيه إلى صفقات رابحة مبينا أرباحها أي ثوابها ، وتسهيلات تنفيذها أي ما يعين النفس على أدائها، وشروطها الجزائية المترتبة على تركها أي الخسارة التي يتكبدها من ينام عنها .

وتظهر أهمية هذا الكتاب في أنه لما كثرت مجالس اللغو ، وتشعبت مسالك الهوى ، وطغى عصر المادة ، وتاهت السكينة الإيمانية وسط الزحام ، وعم الضجيج ، وقيس الرجل بغناه ، ووزن الخاطب بماله ، وانشغل هذا بداره وذاك بديناره عن آخرته ومآله ، ووقتها اشتد الظمأ ، وأوشك الناس على الهلاك ، وتعطشوا إلى سماع هتاف : "هيا بنا نؤمن ساعة" . . هتف به **عبد الله بن رواحة** ﷺ ، وعبقته نفحة إخلاص فوصل لنا شذاه عبر مئات السنين ، وما صفقاتنا الرابحة إلا صدى صوت ابن رواحة ، يتردد بين جنبات الأوراق ليصل إلى أعماق الأعماق عسى القلوب تحيا ، والهمم تنهض والعزائم تستعر ، المرعى أخضر لكن العنز مريضة ،

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٧٠) شمس الدين الذهبي ط مؤسسة الرسالة .

فلو تجرعت جرعة دواءٍ لأذن الله لها بالشفاء ، أرباحنا ثمينة داستها أقدام الجُهّال ، وعجز عن التقاطها مشلولو التقى ، وعمي عن رؤيتها مكفوفو الهدى .

وهو كتاب يتوجه أول ما يتوجه إلى الشباب ذكراناً وإناثاً وذلك لاعتبارات عدة :

▪ منها أن الشباب يمتاز عن غيره بأنه أصفى ذهناً وأقل انشغالاً وأقوى صحة وأمضى عزيمة (فالشمس لا تملأ النهار في آخره كما تملؤه في أوله ، وفي الشباب تصنع كل شجرة من أشجار الحياة أثمارها ، وبعد ذلك لا تصنع الأشجار كلها إلا خشباً) [1].

▪ ومنها أن من شبَّ على شيء شاب عليه، فالتعليم في الصغر كالنقش على الحجر، وقلَّ عادة اعتدتها في صغرك فارقتها عند كبرك ، فأنت في شبابك تملك القوة البدنية والروحية التي تستطيع بها غرس الفضائل في نفسك غرساً يستعصي على الاقتلاع مهما طال بك العمر وتغيرت الأحوال .

▪ ومنها أن هذه المرحلة العمرية ستكون موضع سؤال في اختبار الآخرة لا بد له من إجابة ". . **وعن شبابه فيم أبلاه"** ، وهي مع ذلك سريعة الانقضاء كمثل البرق الذي يضيء يسيراً يسطع بالنور ، ثم يذهب فجأة ويرجع بالظلام ، أو كمثل سحابة الصيف التي لا تلبث أن تنقشع سريعاً .

▪ ومنها أن الشباب صار هدفاً لشياطين الإنس والجن ، وحقل تجارب لمحاولات إفسادهم وتضليلهم ، يريدونه قوة مهملة في غياب الإيمان مؤاخياً آثامه ، عاشقاً أوزاره ، ضعفه في بره ، وعزمه في غيه ، يريدونه قرداً يقلّد الغرب في كل خصاله إلا الفضائل ، وتلميذاً يتتلمذ على يد إبليس ثم يرتقي في سلم الإبليسية إلى أن يصبح أستاذاً لإبليس .

ومن هنا فقد كتبت هذا الكتاب لشباب الإسلام الصاعد وعرقه النابض وأمله الوثّاب ليكون لهم بمثابة شهر صوم . . بتصفح صفحاته تُفتح للخير أبواب وتُغلق للشر أمثالها ، وبقراءة كلماته تصفد شياطين الإنس والجان ، وتتنزل ملائك الرحمن ، وتظلنا سحائب الغفران ، فإذا بمن نظر في الكتاب يقول بعد ثبوت رؤية هلال الهدي : اللهم أهلّه علينا باليمن والإيمان والسلامة والإسلام ، وبانقشاع الظلام وبزوغ الفجر يرتفع صوت

---

(١) وحي القلم (٢/٢٣١) مصطفى صادق الرافعي ط دار المعارف .

المؤذن معلناً مولد عهد جديد ، أهم ملامحه :

إمساك عن المحارم ، وصيام عن الآثام ، واستغفار في الأسحار ، وانتظار للأذان بالأشواق ، وتهافت على تكبيرة الإحرام ، ووله بالصف الأول ، وهتر بالذكر ، وكلل للحلال ، وملازمة للكتاب ، ومعانقة للسنة ، وتلمس لمجالس الصالحين ، وتنافس في الخيرات ، ويستمر موسم الصوم قائماً إلى أن تؤذن شمس الحياة بالمغيب ، حينها يفطر الصائمون على صوت أذان ندي ، ترفعه على أسماعهم الملائكة تزف لهم البشرى : ﴿ **وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون** ﴾ [فصلت : ٣٠] ، ليجدوا فيها موائد الإفطار في الانتظار : ﴿ **في مقعد صدق عند مليك مقتدر** ﴾ [القمر : ٥٥] .

هذا الكتاب صيحة تنادي فيك : قم واصح يا نائم لتوحد الدائم ، الصلاة خير من النوم ، والتجلد خير من التبلد ، العالي يرجو المعالي ، والدون يقنع بالدون ، من جد وجد ومن زرع حصد ، جنة الفردوس تبغي ثمنا ، ومهور العين ما كانت يوما رخيصة .

هذا الكتاب ومضة أمل تسرج لك مصباح نور في ظلمة يأس فتبدده ، وسفينة هداية ترفع لك لواء رشد في متاهة غي فتهديك ، وتمد لك طوق النجاة لتتشبث به قبل أن يبتلعك طوفان الحياة ، ولا يزال الأمل قائما مادام في القلب خفقة من حياة ، وفي الصدر أنفاس تتردد ، وفي الجسد عرق ينبض ، وفي الأجل لحظة عمر باقية .

هذا الكتاب صفحة جديدة تطوي صفحات قديمة ، طالما سطر فيها ملك السيئات بقلمه ، وآن له الآن أن يستريح ويفسح المجال لملك الحسنات ، يسطر صالح الأعمال لترفع الصحف بيضاء مسفرة ، بعد أن ظلت دهرا ترفع سوداء مظلمة .

هذا الكتاب علامة حب واصطفاء ، فلا يرشد الله إلى طريقه إلا من أحب ، ولا ييسر سبل الهدى إلا لمن اصطفى لذا يهدي لقراءة الكتاب من شاء له الخير في الكتاب .

فخذه مني – أخي القارئ – أعواد ريحان زكية الرائحة ، يفوح شذاها من بين الأسطر والكلمات ، طوفت في بساتين القرآن وحدائق السنة وروضات السلف ، وقطفتها

لك فاقبل ريـاحيني فإن النبي ﷺ قال : " **من عرض عليه ريحـان فـلا يـرده ، فإنـه خفيف المحمل ، طيب الريح** " (١).

وقبل تقليب الصفحات وتدفق الكلمات أسـتجلب رحمـات الله وأسـتمطر بركاتـه ويلهج لساني بالدعاء :

اللهم . . افتح بهذا الكتاب آداناً صماً عـن آيـاتك ، وقلوبـاً غلفـاً عـن أنوارك ، وأعينا عمياً عن آثار قدرتك .

اللهم . . استعمل بسببه أبداناً في طاعتك ، وأقداماً في خدمتك ، وألسنة فـي ذكرك .

اللهم . . داوِ به قلوباً أعيتها كثرة الذنوب ، ونفوساً أفسدها طول الركـود ، وانتشلنا به من آبار غفلاتنا ، ومهاوي شهواتنا ، ومصارع أهوائنا ، أنقذنا به مـن أنفسنا التي بين جنوبنا ، وادفع به عدواً يتربص بنا في صباحنا ومسائنا ، وقوِّ بـه بواعث الإيمان الدفين في أعماقنـا ، واجعلـه حجـة لنـا بيـن يديـك ، تشـهد بصدق العبودية لك ، وإخلاص التوجه إليك ، وبذل الأوقات فيك .

اللهم . . لا تعذب عبداً أرشد العباد إليك ، ودلَّهم عليك ، وحبّبـهم فيـك ، واختم لنا اللهم بخاتمة السعادة أجمعين .

اللهم آمين . . .

الفقير إلى عفو ربه

د/ خالد أحمد أبوشادي

---

(١) رواه مسلم وأبو داود عن أبي هريرة كما في ص ج ص رقم (٦٣٩٢) .

الصفقة الأولى

لا تتبع النظرة .. النظرة

وقفة إيمانية

أعد العدو عدته، وأخذ أهبته، ووتر سهمه في كبد قوسه، ثم أطلقه فأصاب الهدف، وما هي إلا لحظات .. حتى سرى السم إلى الجوارح، فصارت جوارح .. اللسان تكلم، والقدم سعت، والجسد انتفض، ودارت العجلة :

نظرة .. فابتسامة .. فسلام ..

فكلام .. فموعد .. فلقاء ..

قبل التنفيذ

☪ **مهـــم** :

■ **لأن** : النظرة سهم مسموم فأثرها يستمر وإن غاب المنظور إليـــه ،تشـــغل فكـــراً فتورث هماً ، وتبذر شهوة فتنبت هوى ، شأنها شأن السهم المسموم ، فـــإن الســـم يظـــل يسري منه إلى الجسم وإن نُزع السهم من موضع الإصابة .

■ **لأن** : هيبة الله في القلوب قلّت ، والجرأة على محارمه زادت ، وتكرار النظر إلى الفواحش أورث القلب بلادة في الإحساس واستئناساً بالذنب وإدماناً له وفرحاً عند الظفـــر به .

■ **لأن** : أشباه يوسف قلوا ، وعدُوّات الحور العين أطللـــن مـــن شاشـــات التلفـــاز وصفحات الجرائد والمجلات ، وأخوات امرأة العزيز عجّت بهن طرقات المدينـــة ، فـــي حصار يشبه ما فعلته أختهن من قبل ﴿ **وغلّقت الأبواب** ﴾ [يوسف : ٢٣] ، وأبرزت كل واحدة منهن مفاتنها ، وكشفت ما استتر من زينتـــها ، ولســـان حالـــها يقـــول للشـــباب : ﴿ **هيت لك** ﴾ [يوسف : ٢٣] .

■ **لأن** : المرأة أقوى أسلحة الشيطان وأفتكها ، فإنها إذا خرجت من بيتها استشـــرفها الشيطان ، وما ترك النبي ﷺ على الرجال فتنة أضر على الرجال من النســـاء ، وإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء ، وهذه كلها إنذارات من صاحب الرسالة وقد أعذر مـــن أنذر .

■ **لأن** : الشهوات استعرت ، والعورات انكشفت ، وتجارة الجسد راجت ، والحـــرام أطل برأسه ، والحياء صار سلعة نادرة ، وطريق الحرام بات ممهداً ، ووضعت العراقيـــل في طريق الحلال ، وارتدى المنكر ثياب المعروف ، وأطفئت النـــار بمزيـــد الحطـــب ، واختلط الحابل بالنابل ، وصارت ظلمات بعضها فوق بعض .

أرباح الصفقة

(١) نشوة الانتصار :

استشعار حلاوة الإيمان ولذة المجاهدة وعاقبة الصبر وفرحة الانتصار على بواعث الشهوة ورسل الهوى ، وهذه هي سيماء الرجولة الحقة والشجاعة الخارقة : سمو عن دنايا ، وتطهر من أدناس ، وتحرر من استرقاق ، ونهضة للمعالي :

ليس الشجاع الذي يحمي مطيته   يوم النزال ونار الحرب تشتعل
لكن فتى غض طرفا أو ثنى بصرا   عن الحرام فذاك الفارس البطل

ولهذا فسر **سفيان الثوري** قول الله تعالى **﴿ وخلق الإنسان ضعيفا ﴾** [النساء : ٢٨] ، بقوله : " المرأة تمر بالرجل فلا يملك نفسه عن النظر إليها ولا ينتفع بها ، فأي شيء أضعف من هذا ؟ " [(١)].

لكن قوي الإيمان يملك نفسه ويحزم أمره فيغض من بصره ، لهذا استحق حب الله والوصف بالخيرية على لسان خير البرية ﷺ الذى قال : " **المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف** " [(٢)].

(٢) الفراسة الصادقة :

تظل الفراسة الصادقة منزلة إيمانية محتكرة لمن غض بصره ، محجوزة له لا يزاحمه فيها إلا مثيله ، وهي التي تميز بين الصادق والكاذب بين المحق والمبطل ، بين الباكي والمتباكي ، وهذه أهم ثمار غض البصر وأجلها قال **شاه بن شجاع الكرماني** : " من عمر ظاهره باتباع السنة ، وباطنه بدوام المراقبة ، وغض بصره عن المحارم ، وكف نفسه عن الشهوات ، واعتاد أكل الحلال لم تخطئ له فراسة " [(٣)].

ويبين **ابن القيم** السر في هذا فيقول :

" وسر هذا أن الجزاء من جنس العمل ، فمن غض بصره عما حرم الله عليه

---

(١) ذم الهوى ص (٧٨) – ابن الجوزي – ط دار الكتب العلمية .

(٢) رواه مسلم وأحمد وابن ماجة عن أبي هريرة ، وحسنه الألباني في ص ج ص رقم (٦٦٥٠) .

(٣) إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان ص (٥٩) – ابن قيم الجوزية – ط مكتبة الدعوة .

عوَّضه الله من جنس ما هو خير منه ، فكما أمسك نور بصره عن المحرمات ، أطلق الله نور بصيرته وقلبه فرأى به ما لم ير من أطلق بصره ولم يغضه عن محارم الله تعالى ، وهذا أمر يحسه الإنسان من نفسه ، فإن القلب كالمرآة والهوى كالصدأ فيها ، فإذا خلصت المرآة من الصدأ انطبعت فيها صور الحقائق كما هي عليه ، وإذا صدئت لم تنطبع فيها صور المعلومات فيكون علمه وكلامه من باب الخرص والظنون " [1].

كان **عثمان بن عفان** ﷺ علماً من أعلام الفراسة وشيخاً من شيوخها ، استحيا من الله فاستحيت منه ملائكة الله ، وغضَّ طرفه عن الآثام فأورثه الله فراسة يكشف بها كل من أطلق بصره وزنا به ظانا أن أحدا لن يعرف من أمره شيئا ، فإذا بعثمان يعلم ويكشف لا ليفضح بل لينصح ، دخل عليه رجل فقال له عثمان : يدخل علي أحدكم والزنا في عينيه ، فقال : أوحي بعد رسول الله ﷺ ؟! فقال : " لا ، ولكن فراسة صادقة " [2].

(٣) حماية القلب من شيطان يتسلل :

القلب بيت والعين بابه ، ولا يدخل لص البيت إلا والباب مفتوح ، فإذا دخل سرق حلية الإيمان وجوهر التقوى ، وترك القلب خرابا في خراب ، فاحذر هذا اللص فإنه خفيف الحركة تكفيه لحظة واحدة ليتسلل - لحظة واحدة فقط - ولهذا لما سئل النبي ﷺ عن نظر الفجأة قال : " **اصرف بصرك** " [3].

أي أحكم إغلاق الباب وضع عليه حراسة أمن مشددة من جنود المراقبة ، ولا تفتحه ولو لحظة واحدة ، عندها يدب اليأس إلى قلب إبليس فيرجع خائبا ويتركك سالما .

لما وقع النزاع بين القلب والعين واتسعت هوة الخلاف بينهما ، كل منهما يلقي باللائمة على الآخر فيما حل من سقم ومن ألم تحاكما إلى الجسم الذي حكم بإدانة العين :

قلبي يقول لطرفي : هجت لي سقما ... والعين تزعم أن القلب أنكاها

---

(١) السابق ص (٦٠) .

(٢) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ص (٤٣) - ابن قيم الجوزية - ط مكتبة المدني .

(٣) رواه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي والنسائي عن جرير بن عبد الله كما في ص ج ص رقم (١٠١٤).

واجسم يُقسم أن العين كاذبــة   هي التي هيَّجت للقلب بلـواهـا

لكن العين رفعت القضية للاستئناف فتم عرض النزاع مرة أخرى ، وبعد المداولة أصدر القاضي حكماً بالإدانة لكليهما ، وجاء في حيثيات الحكم : العين والقلب شريكان في جريمة قتل واحدة تقاسما فيها الأدوار :

أنـا مـا بين عـدوين   هـمـا قلبي وطـرفي
ينظر الطرف ويهوى الـ   قلب والمقصـود حتفي

٤) اجتماع القلب على الله :

يقول ابن القيم في إحدى فوائده : " إطلاق البصر ينقش في القلب صورة المنظور ، والقلب كعبة ، والمعبود لا يرضى بمزاحمة الأصنام " [١].

لأن القلب الذي تنقش على جدرانه صورة الحق تنمحي فيه صورة الخلق ، فلا يعود يرى سوى ربه ، ولا يهمه إلا رضاه ، وذلك في سائر أحواله في سر وجهر أو جد وهزل في حديث أو صمت في حل أو ترحال ، وهذه هي البصمة التي يتعارف فيها الصالحون وسط الزحام ، أو هي العقد غير المكتوب الذي وقَّعت عليه ضمائرهم ونفوسهم ، وأمثال هؤلاء جعلوا الهموم هماً واحداً ، فأحسوا بحلاوة المناجاة ولذة الخشوع ونعيم السير على منهاج رب العالمين ، فوصلوا بينما غيرهم يشكو التيه .

نضرب لذلك مثلاً : مسافر قصد سفراً وحدد وجهته ، فحزم متاعه وأعد زاده واستفرغ الجهد والطاقة في السير الحثيث ، مصطحباً معه عزمه وتصميمه على بلوغ الوطن ، وهو مع هذا يحذر كميناً على هيئة زهرة زاهية الألوان فوّاحة العبير تعرقل سيره ، فتؤخره عن الوصول ، فان استمر على عزمه ويقظته وصل وطنه في أسرع وقت وأتم عافية ، أما إن خدع وسقط فهذا كيف يصل ؟! زمان التزود قصير ما يحتمل التأخير فكيف بمن نام فيه ؟! وقت الرحلة لو بذل كله في المسير خيف عدم الوصول فكيف لو تناولته أيدي البطالة ؟!

فالوطن : الجنة ، **والكمين** : النظرة ، **والمسافر** : أنت .

---

(١) الفوائد ص (٨٩) - ابن قيم الجوزية - ط دار النفائس .

استهوى عالم الحيوان **ابن الجوزي** فأخذ يراقب ما فيه عن كثب ، وضرب مثلا آخر منه ليزيد الصورة وضوحا لمن يشكو عدم الفهم وانخفاض مستوى الذكاء ، فقال :

" تأملوا إلى الفرس ، إذا قدم إلى الماء الصافي كيف يضرب بيديه فيه حتى يتكدر أتدرون لم ؟ لأنه يرى صورته في الماء الصافي وصورة غيره ، فيكدره حتى لا يتبين فيه الصور فيتهنى بالشرب " (١).

(٥) بركة الطاعة :

أمر الله عباده المؤمنين بالغض من الأبصار ، لأن صاحب الصنعة أدرى بصنعته ، والآمر بإصلاح النفوس والقلوب أعلم بما فيه صلاح النفوس والقلوب ، وأهل التقوى والمغفرة خبير بالطرق الموصلة إليهما ، من ذا الذي لبى نداءه فما سعد ؟! من ذا الذي أناخ ببابه فما فاز ؟! من ذا الذي أجاب داعيه فما رضي ؟! من ذا الذي ذل له فما عز ؟! من ذا الذي تاجر معه فما ربح ؟!

قال عز وجل : ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون** ﴾ [النور : ٣٠] .

قال الإمام الحجة **أبو حامد الغزالي**: " واعلم أني تأملت هذه الآية فإذا فيها مع قصرها ثلاث معان عزيزة ، تأديب وتنبيه وتهديد :

فأما التأديب : فقوله تعالى ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم** ﴾ ، ولابد للعبد من امتثال أمر السيد والتأدب بآدابه ، وإلا كان سيئ الأدب فيحجب فلا يؤذن له في حضور المجلس والمثول بالحضرة ، فافهم هذه النكتة ، وتأمل ما تحتها فإن فيها ما فيها .

وأما التنبيه : فقوله تعالى : ﴿ **ذلك أزكى لهم** ﴾ ، وينطلق على معنيين والله أعلم ، الأول : ذلك أطهر لقلوبهم والزكاة : الطهارة ، والتزكية : التطهير ، والثاني : ذلك أغنى لخيرهم وأكثر ، والزكاة في الأصل : النمو ، فنبه على أن في غض البصر تطهيرا للقلب وتكثيرا للطاعة ، والدليل على ذلك أنك إن لم تغض بصرك وأرخيت عنانه تنظر في ما لا يعنيك ، فلا تخلو من أن تقع عيناك على حرام ، فإن تعمدت فذنب كبير ، وربما تعلق قلبك بذلك فتهلك إن لم يرحم الله تعالى .

---

(١) المدهش ص (٤٢٦ ، ٤٢٧) – ابن الجوزي – ط دار الكتب العلمية .

وأما التهديد : فقوله تعالى : ﴿ **إن الله خبير بما يصنعون** ﴾ " (١).

الشروط الجزائية

يقول **أبو حامد الغزالي** : " لو أن يهوديا أخبرك في ألذ أطعمتك بأنه يضرك في مرضك لصبرت عنه وتركته وجاهدت نفسك فيه ، أفكان قول الأنبياء المؤيدين بالمعجزات وقول الله تعالى في كتبه المنزلة أقل عندك تأثيرا من قول يهودي يخبرك عن حدس وتخمين مع نقصان عقل وقصور علم ؟! " (٢).

إخوتاه . . هل تعلمون أن إطلاق البصر من أوسع مداخل الشيطان ، فإن البصر جارحة لا تملأ بخلاف البطن فإنه متى امتلأ لم يبق له فى الطعام إرادة ، وأما العين فلو تركت لم تفتر من النظر أبدا ، وتكون النتيجة الحتمية :

(١) احتلال القلب :

قلب الإنسان لا يتسع لشريكين : نور وإلا ظلمة ، ملك وإلا شيطان ، هداية وإلا غواية ، إذا غلب جند الإيمان في القلب كانت نوازع الخير وأنوار الهدى وأدوية الطاعات ، وإذا غلب جند إبليس كانت نوازع الشر وآفات الهوى وسموم المعاصي .

وبالنظرة يدخل جند الشيطان القلب ليجاور جند الإيمان ، لكن الشيطان ملحاح طماع لا يقبل الشراكة ، فيظل يتربص ويغوي ويفسد : يلقح النظرة بأخرى إلى أن يحتل نسله القلب كله ، ويرفع على أرجائه راية النصر ثم يقدم الشكر لمن يستحق : النظرة .

قال **ابن سمنون** : " أما سمعت قول النبي ﷺ : " إن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة أو تمثال !! فإذا كان الملك لا يدخل بيتا فيه صورة أو تمثال ، فكيف تدخل شواهد الحق قلبا فيه أوصاف غيره من البشر ؟! " (٣).

والصلة بين العين والقلب جد وثيقة ، فالعين عين ماء تصب في خليج القلب ،

---

(١) منهاج العابدين ص (٣١) - أبو حامد الغزالي - ط دار إحياء الكتب العربية .

(٢) إحياء علوم الدين (٤/٤٤٢) - أبو حامد الغزالي - ط دار إحياء الكتب العربية .

(٣) ذم الهوى ص (٧١) .

فإن تكدر صفوها بفضول نظر أو صورة محرمة تكدر الخليج وتغير طعمه ، فلا يقربه ملك يلهم بل شيطان يغوي .

يا مطلق النظر . . إذا رتعت العين بوادي الحسان لاحت في القلب بوادي الخسران ، وإذا حضرت سوق الحرام غاب القلب ، وإذا غابت عنه حضر ، و(إذا حضر قلبك فنسيم الريح يذكرك، وإن غاب فمائة ألف نبي لا يوصلون التذكرة إليك) [1].

ولي ألف باب قد عرفت سبيله ولكن بلا قلب إلى أين أذهب

(٢) هاوية العشق :

فكما أن أول الحريق الشرر ، فأول العشق النظر ، بحر العشق إذا علا أغرق ، وأخطر شيء على السابح فيه فتح العين في الماء :

عيناي أعانتا على سفك دمي يا لذة لحظة أطالت ألمي

كم أندم حين ليس يغني ندمي ويلي ثبت الهوى وزلت قدمي

إذا سقط إنسان في هذه الهاوية أصبح إلهه هواه ومعبوده معشوقه ، يأمره فيأتمر وينهاه فينتهي ، حلالا كان أم حراما ، عدلا كان أم عدوانا .

والعشق داء لا يحل بأجساد النابهين المجدين ، لكن له في أبدان الفارغين مأوى وفي أذهانهم وقلوبهم مرعى ، قال **ابن عقيل** :

" العشق مرض يعتري النفوس العاطلة والقلوب الفارغة والمتلمحة للصور لدواعي النفس ، ويساعدها إدمان المخالطة فتتأكد الآفة ويتمكن الأنس فيصير بالإدمان شغفا ، **وما عشق قط إلا فارغ** ، فهو من علل البطالين وأمراض الفارغين ، وما عشق حكيم قط ، لأن قلوب الحكماء أشد تمنعا من أن تقفها صورة من صور الكون مع شدة تطلبها ، فهي إن تلحظ تخطف ولا تقف ، وقل أن يحصل عشق من لمحة ، وقل أن يضيف حكيم إلى لمحة نظرة ، فإنه مار في طلب المعاني ، ومن كان طالبا لمعرفة الله لا تقفه صورة عن الطلب لأنها تحجبه عن المصور " [2].

وقد ألف **ابن الجوزي** كتابا كاملا عن العشق وأضراره أسماه **(ذم الهوى)** ،

---

(١) المدهش ص (٤٧٦) .

(٢) ذم الهوى ص (٢٤٤ ، ٢٤٥) .

عرض فيه إلى من بلغ منهم العشق منتهاه ، حتى دفع بعضهم إلى قتل نفسه أو قتل محبوبه ، أو إلى الزنا أو إلى الكفر والعياذ بالله ، وغير ذلك من كبائر الذنوب وفواحش الفعال ، والعاقل من وعظ بغيره ، ومن لم تنفعه أذنه لم تنفعه عيناه ، أخبروني بالله عليكم .. أي ذل ورق أنكى من ذل رجل يقول لمعشوقته :

أتاني منك سبك لي فسبي ... أليس جرى بفيك اسمي فحسبي

وأي ضلال وكفر يدرك رجلا ككفر من انخلع عن دينه بقوله :

أراني إذا صليت يممت نحوها ... بوجهي وإن كان المصلى ورائيا

أو من انقلب مسخا بقوله :

أصلي فأبكي في الصلاة لذكرها ... لي الويل مما يكتب الملكان

فكيف ترضى يا مطلق بصره أن تسلك طريقا هذا آخره ، وأن تغرس غرسا هذا ثمرته ؟ فإن لم تفق من سكرتك بعد هذا الكلام فزن نفسك بميزان دقيق ، صنعه **ابن القيم** عساك تتوب وتئوب وتعرف قدرك عند علام الغيوب ، قال رحمه الله :

" من أراد من العمال أن يعرف قدره عند السلطان ، فينظر ماذا يوليه من العمل وبأي شغل يشغله " (١).

كلماتنا واضحة ومعانيها أوضح ، لكن ارتداء نظارة الأهواء أضعف أبصار العشاق وأعمى بصيرتهم فإن خلعوها رشدوا ورأوا الطريق واضحا فسلكوه .

(٣) النظرة ولادة :

■ **تأمل هذه السلسلة :**

النظرة تولد الخطرة ، والخطرة تولد الفكرة ، والفكرة تولد الشهوة ، والشهوة تولد الإرادة ، والإرادة تولد العزيمة ، فإذا قويت العزيمة وقع المحظور ، وسقطت في المعصية . .

كل الحوادث مبداها من النظر ... ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فعلت في قلب صاحبها ... كمبلغ السهم بين القوس والوتر

---

(١) الفوائد ص (٦٨) .

والعبد ما دام ذا طرف يقلبه في أعين الغيد موقوف على الخطر
يسر مقلته ما ضر مهجته لا مرحبا بسرور عاد بالضرر

فإذا عرضت لك نظرة لا تحل فاعلم أنها سهم مسموم من سهام إبليس ، وجهه إلى قلبك وأراد بها قلبك ، فتترس منها بدرع ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم** ﴾ [النور : ٣٠] ، حتى تكون من الذين عافاهم الله ﴿ **فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء** ﴾ [آل عمران : ١٧٤] .

قيل **لوهيب بن الورد** : أيجد طعم العبادة من يعصي الله ؟ قال : " لا ، ولا من هم بالمعصية " (١).

ما أنفس ما وهبنا وهيب ، وما أشذى الورود التي أهداها لنا ابن الورد ، فحرمان حلاوة الطاعة هو عقوبة الله لمن آثر غيره وقدم سواه ، فأحيا وزره وأمات بره ، وطاف بشهواته سبعا ، وسعى بين لهوه وغفلته أشواط حياته ، وهذا الحرمان في حقيقته نعمة ، وهذه العقوبة عطاء ، إذ هي تنبيه للعبد إن هو ألم بذنب في ساعة غفلة أو ورود هوى ، حتى إذا ما فقد حلاوة طاعته ولذة مناجاته رجع إلى نفسه محاسبا لها ومؤدبا .

(٤) أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ؟ :

- فإن النظرة إلى ما لا يحل تشغل فكرا في الحرام لو كان تفكرا في ملكوت السماوات والأرض ، لكان من أفضل العبادات ولأثمر زيادة تقى وعلو يقين وارتفاع درجات .
- وهي تورث حزنا على فوات لذة محرمة ، لو كانت حزنا على أحوال المسلمين وعروقهم النازفة في أرجاء الأرض ، لكان علامة إيمان ودلالة على متانة الرابطة وصدق عقد ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ [الحجرات : ١٠] .
- وهي تصرف وقتا في إثم ومعصية هما ثمن شراء النار ، ولو صرف هذا الوقت في طاعة الله لأورث الفوز بالجنة ولذة النظر إلى وجه الله الكريم .
- وهي تسيل مدامع حزنا على فراق حبيب القلب ، ولو كانت سيالة من خشية الله لنعم صاحبها بظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله .

---

(١) صفة الصفوة (١٣٢/٢) – ابن الجوزي – ط دار الفكر .

■ وهي تستهلك أقداما وأكفا في لقاءات عبث ومواعيد هوى ، ولو سعت هذه الأقدام في خدمة الله وشغلت هذه الأكف في خط تعاليم النبي ﷺ ، لاستحق صاحبها مكافأة نهاية الخدمة ومجاورة صاحب التعاليم في جنات النعيم .

فأصغ بقلبك يا أخي إلى هذا الكلام المضمخ بعبير الهدى :

" عندك بضائع نفيسة : دموع ودماء وأنفاس وحركات وكلمات ونظرات ، فلا تبذلها فيما لا قدر له ، أيصلح أن تبكي لفقد ما لا يبقى ؟ أو تتنفس أسفا على ما يفنى ؟ أو تبذل مهجة لصورة عما قليل ستمحى ؟ " [1].

٥) النظرة ذنب :

القاعدة وقت المبارزة : كل خطأ يكون مدعاة للقتل .

إن العيون التي في طرفها حور قتلننا ثم لا يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله أركانا

شخص أعراض المرض الذي أدى إلى موت القلب الطبيب الشرعي المؤمن **ابن قيم الجوزية** فكتب في تقريره معددا آثار الذنوب :

" قلة التوفيق ، وفساد الرأي ، وخفاء الحق ، وفساد القلب ، وخمول الذكر ، وإضاعة الوقت ، ونفرة الخلق ، والوحشة بين العبد وبين ربه ، ومنع إجابة الدعاء ، وقسوة القلب ، ومحق البركة في الرزق والعمر ، وحرمان العلم ، ولباس الذل ، وإهانة العدو ، وضيق الصدر ، والابتلاء بقرناء السوء الذين يفسدون القلب ويضيعون الوقت ، وطول الهم والغم ، وضنك المعيشة ، وكسف البال تتولد من المعصية والغفلة عن ذكر الله كما يتولد الزرع عن الماء والإحراق عن النار ، وأضداد هذه تتولد عن الطاعة " [2].

وفوق هذه الأعراض تبقى كراهة اللقاء ، وخشية الحساب وخوف العقاب ، لهذا اسمعها عالية من **ابن الجوزي** لعلك لا تسمعها من غيره :

" إياك والذنوب ، فلو لم يكن فيها إلا كراهة اللقاء كفى عقوبة ، أطيب الأشياء

---

(١) المدهش ص (٤٧٥ ، ٤٧٦) .

(٢) الفوائد ص (٤٧) .

عند يعقوب رؤية يوسف ، وأصعبها عند إخوته لقاؤه " (١).

واسأل نفسك بعدها يا صاحب النظرات الآثمة : أي تركة ورثت ؟ تركة يعقوب أم تركة أبنائه ؟

تسهيلات الصفقة

قال أبو محمد **سهل بن عبد الله التستري** : " أعمال البر يعملها البر والفاجر ، ولا يجتنب المعاصي إلا صديق " (٢).

فباجتنابك النظر إلى الحرام تسعى إلى درجة الصديقية ، ودوري معك أن أمهد لك الطريق إليها بذكر ما يلي :

(١) لعقد مقارنة :

قال **أبو عصمة** : كنت عند ذي النون وبين يديه فتى حسن يملي عليه ، فمرت امرأة ذات حسن وجمال وخلق فجعل الفتى يسارق النظر إليها ، ففطن ذو النون فلوى عنق الفتى وأنشأ يقول :

دع المصوغات من ماء ومن طين ... واشغل هواك بحور خرد عين

فمن شغله اليوم التطلع إلى الغيد الحسان فليعقد مقارنة بينهن وبين الحور ، لتعلم الفارق بين هذه وتلك الحور ، الحور وما الحور . . تجري الشمس من محاسن وجهها إذا برزت ، ويضيء البرق من ثناياها إذا ابتسمت ، لو اطلعت على الدنيا لملأت ما بين السماء والأرض ريحا ، ولاستنطقت أفواه الخلائق تهليلا وتكبيرا وتسبيحا ، ولتزخرف لها ما بين الخافقين ، ولما نامت عن النظر إليها عين ، ولطمست ضوء الشمس كما يطمس الشمس ضوء النجوم ، ولآمن من على ظهرها بالله الحي القيوم ، نصيفها (خمارها) الذي يخفي جمالها خير من الدنيا وما فيها فكيف جمالها ؟ بياض لحمها يسطع

(١) اللطائف ص (٦٢) – ابن الجوزي – ط دار الهجرة .

(٢) حلية الأولياء (٢١١/١٠) – أبو نعيم الأصفهاني – ط دار الكتب العلمية .

من وراء سبعين حلة من فوقها فكيف ضياؤها ؟ لولا أن الله كتب على أهل الجنة أن لا يموتوا لماتوا من فرط حسنها ، فما ظنك بامرأة إذا ضحكت في وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها !؟ وإذا انتقلت من قصر إلى قصر قلت هذه الشمس متنقلة في بروج أفلاكها . . كل هذا وأنت مشغول بالجيف !!

يا من وقع العقد : نظران لا يجتمعان من غض طرفه اليوم عن الطين أطلقه غدا في الحور العين ، ومن أطلقه اليوم حرمه غدا فاختر لنفسك ، وقدم إن شئت المهر الذي سبق وأرشدك إليه **أبو الدرداء** ﷺ عنه فقال : " من غض بصره عن النظر الحرام زوج من الحور العين حيث أحب " (١).

(٢) اسلك طريقهم :

تنسم شذى عبير السلف ، وارو عطشك بسيرتهم ، وأحي قلبك بذكرهم ، وقلدهم وضاهم عسى أن تشبه الصورة الأصل .

- كان **الربيع بن خثيم** – أنجب تلامذة **عبد الله بن مسعود** ﷺ – يغض بصره فمر به نسوة فأطرق حتى ظن النسوة أنه أعمى ، فتعوذن بالله من العمى .

- وحين خرج **حسان بن أبي سنان** إلى العيد قيل له لما رجع : ما رأينا عيدا أكثر نساء منه ، فقال : ما تلقتني امرأة حتى رجعت .

- ولما طلب بعض أمراء البصرة **داود بن عبد الله** لجأ إلى رجل من أصحابه فأنزله منزله ، وكانت له امرأة يقال لها : زرقاء – وكانت جميلة – فخرج الرجل في حاجته وأوصاها أن تلطف به وتخدمه ، فلما قدم الرجل قال كيف رأيت الزرقاء وكيف كان تلطفها بك ؟ قال : من الزرقاء ؟ قال : أم منزلك ، قال : ما أدري أزرقاء هي أم كحلاء !! فلما رآها زوجها قال لها : أوصيتك أن تلطفيه وتخدميه فلم تفعلي ، قالت : أوصيتني

---

(١) رسالة المسترشدين ص (١١٩) – الحارث المحاسبي – ط دار السلام .

برجل أعمى والله ما رفع طرفه إلي [(١)].

■ واسمع إلى العجب العجاب الذي انطلق من لسان **محمد بن سيرين** حين قال : " ما غشيت امرأة قط في يقظة ولا نوم غير أم عبد الله - يعني زوجته - وإني لأرى المرأة في المنام فأعلم أنها لا تحل لي فأصرف بصري عنها " [(٢)].

وأمثال هؤلاء هم الأنقياء نقاوة الماء الزلال ، الأمناء على الأعراض والحرمات والأموال ، وصف بعضهم حاله فقال :

ما ضر لي جار أجاوره ... أن لا يكون لبابه ستر
أعمى إذا ما جارتي خرجت ... حتى يواري جارتي الخدر
وتصم عما بينهم أذني ... حتى يصير كأنه وقر

(٣) شغل بالحق وإلا فالباطل :

النفس لا تمل السعي والحركة والطلب والعمل ، إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل ، إن لم تحلق بها في معالي الأمور انحدرت بك إلى سفسافها ، إن فاتها قطار الجد ركبت قطار الكسل ، لا بد لها من وثاق إن شددته عليها تأدبت بآداب الشرع ، وإن حللته عنها راغت منك روغان الثعالب ، فاختر لنفسك شغلا وحدد لذهنك هما واطلب لجسمك كدا .

من أجل ذلك كره **عمر بن الخطاب** ﷺ الفراغ باعتباره مزلة إلى المذلة وهاوية إلى الهوى ، قال رحمه الله : " إني لأكره أن أرى أحدكم سبهللا - أي فارغا - لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة " [(٣)].

ويشرح **ابن القيم** ويحلل النفس البشرية تحليلا عميقا فيقول : " وقد خلق الله سبحانه النفس شبيهة بالرحى الدائرة ، لا تسكن ولا بد لها من شيء تطحنه ، فإن وضع فيها حب طحنته ، وإن وضع فيها تراب أو حصى طحنته ، فالأفكار التي تجول في

---

(١) ذم الهوى ص (٧٧) .

(٢) الشكوى والعتاب ص (١٠٣) - أبو منصور الثعالبي - ط دار الصحابة .

(٣) قيمة الزمن عند المسلمين ص (٦٨) - د/ عبد الفتاح أبو غدة - ط دار القلم .

النفس في منزلة الحب الذي يوضع في الرحى ، ولا تبقى هذه الرحى معطلة قط بل لا بد لها من شيء يوضع فيها ، فمن الناس من تطحن رحاه حبا يخرج دقيقا ينفع به نفسه وغيره ، وأكثرهم يطحن رملا وحصى وتبنا ونحو ذلك ، فإذا جاء وقت العجن والخبز تبين له حقيقة طحنه " (١).

فالملك يلقي في الرحى بالحب النافع ، والشيطان يلقي فيها التراب والحصى ، وهو لا يتمكن من إلقائه إلا إذا وجدت الرحى فارغة من الحب وقيمها قد أهملها وأعرض عنها ، فحينئذ يبادر إلى إلقاء ما معه فيها (٢).

٤) خوف يطفئ الشهوة :

اضطرام نار الشهوة في القلب لا يخمده غير ماء الخوف ، إذا علا منسوب الخوف أخمد نار الشهوة فكان غض البصر ، وإن قل ازدادت اضطراما وكان إطلاق البصر ، فوجب على العاقل التنبه والنظر من أين جاء العجز ، فيستدركه قبل أن يعم الحريق القلب وتشم منه رائحة الشواء . قال تعالى : ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ [الرحمن : ٤٦] ، قال **مجاهد** : " هو الذي إذا هم بمعصية ذكر مقام الله عليه فيها فانتهى " (٣).

كان التابعي الجليل **عبيد بن عمير** يسمى قاص مكة ، وكان الصحابة يحضرون مجلس وعظه ويبكون فيه ويتأثرون ، وهو رجل ممن غلب ملكه شيطانه ، وقهر خوفه شهوته ، حتى نضح على من حوله خشية ووجلا أورثت توبة وإنابة ، واسمعوا قصته مع غانية مكة :

كانت امرأة جميلة بمكة وكان لها زوج ، فنظرت إلى وجهها في المرآة فأعجبت بجمالها ، وقالت لزوجها : أترى أحدا يرى هذا الوجه ولا يفتن به ؟ قال : نعم ، قالت : من ؟ قال : عبيد بن عمير ، قالت : فأذن لي فلأفتننه ، قال : قد أذنت لك ، قال : فأتته كالمستفتية فخلا معها في ناحية من المسجد الحرام ،

---

(١) الفوائد ص (٦٦) .

(٢) السابق ص (٢٢٨-٢٢٩) .

(٣) ذم الهوى ص (١٩٢) .

فأسفرت عن مثل فلقة القمر ، فقال لها : اتق الله يا أمة الله ، قالت : إني قد فتنتُ بك فانظر في أمري .

قال : إني سائلك عن شيء فإن أنت صدقت نظرت في أمرك ، قالت: لا تسألني عن شيء إلا صدقتك .

قال : أخبريني . . لو أن ملك الموت أتاك ليقبض روحك ، أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة ؟ قالت : اللهم لا ، قال : صدقت .

قال : فلو أدخلت في قبرك وأجلست للمسألة ، أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة ؟ قالت : اللهم لا ، قال : صدقت .

قال : لو أن الناس أعطوا كتبهم ولا تدرين تأخذين كتابك بيمينك أم بشمالك ، أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة ؟ قالت : اللهم لا ، قال : صدقت .

قال : فلو جيء بالموازين وجيء بك لا تدرين تأخذين كتابك بيمينك أم بشمالك ، أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة ؟ قالت : اللهم لا ، قال : صدقت .

قال : فلو وقفت بين يدي الله للمساءلة ، أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة ؟

قالت : اللهم لا ، قال : صدقت .

قال : اتق الله يا أمة الله فقد أنعم عليك وأحسن إليك .

فرجعت إلى زوجها ، فقال : ما صنعت ؟ قالت : أنت بطال ونحن بطالون ، فأقبلت على الصلاة والصوم والعبادة ، فكان زوجها يقول : مالي ولعبيد بن عمير ، أفسد على امرأتي ، كانت في كل ليلة عروسا فصيرها راهبة [(١)].

والخوف من الله هو ثمرة طاعات عديدة : ككثرة تلاوة القرآن ، وتدبر معانيه ، ومطالعة أخبار القيامة ، وأهوال النار وأحوال أهلها ، ومصاحبة الخائفين وسماع أخبارهم ، ومعرفة أحوال المغترين واجتنابهم ، وتغسيل الموتى ، وحضور الجنائز ، وشهود حالات الاحتضار ، واستحقار طاعتك في عينك ، ومعرفة قدر الله ومقامه ، والتفكر في أسمائه وصفاته ، وغيرها من مولدات الخوف وباعثات القلق .

---

(١) ذم الهوى ص (٢١٠ ، ٢١١) .

(٥) أكثر من الصيام :

أصل الشهوات واحد كما أن أصل الصبر واحد ، فمن صبر عن شهوة الطعام قويت إرادته واستطاع الصبر عن شهوة النظر إلى الحرام ، ولهذا جاءت الوصية بالصيام لتدرب الصائم على أن يمتنع باختياره عن شهواته ولذته الحيوانية ، ويصر على امتناعه فلا يتغير ولا يتحول ، ولا تعدو عليه عوادي الغريزة أو نوازع الرغبة ، فيكون غض البصر نتيجة طبيعية لهذا وثمرة تلقائية له ، لذا أوصى النبي ﷺ من لم يستطع الزواج : " **فعليه بالصوم فإنه له وجاء** " (١).

(٦) اعرف كيد عدوك :

للشيطان مع القلب صولات وجولات وغزوات وغارات ، ومن سياساته التدرج حتى يصل إلى هدفه ويضمك إلى حزبه ويجعلك من جنده ، فإذا كان مشوار الألف ميل يبدأ بخطوة فهذه الخطوة هنا هي النظرة .

قال **ابن الجوزي** : " إذا رأيت فرسا قد مالت براكبها إلى درب ضيق قد خلت فيه ببعض بدنها ، ولضيق المكان لا يمكن النزول فيه فصيح به : ارجعها عاجلا قبل أن يتمكن دخولها ، فإن قبل وردها خطوة إلى ورائها سهل الأمر ، وإن توانى حتى ولجت ثم قام بجذبها بذنبها طال تعبه وربما لم يتهيأ له .

وكذلك النظرة إذا نزلت في القلب ، فإن عجل الحازم بغضها وحسم المادة من أولها سهل علاجه ، وإن كرر النظر نقب عن محاسن الصورة ونقلها إلى قلب متفرغ فنقشها فيه ، فكما تواصلت النظرات كانت كالمياه تروي بها الشجرة فلا تزال تتمنى فيفسد القلب ، ويعرض عن الفكر فيما أمر به ويخرج بصاحبه إلى المحن ، ويوجب ارتكاب المحظورات ويلقى في التلف " (٢).

---

(١) رواه الشيخان عن ابن مسعود كما في اللؤلؤ والمرجان رقم (٨٨٤) .

(٢) ذم الهوى ص (٨٢) .

(٧) **فليتزوج** :

قال النبي ﷺ : " **يا معشر الشباب من استطاع منكم البـاءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج** " [(١)].

بل قدم النبي ﷺ دواءً ناجحاً يشفي من أثر النظرة الحرام ، فعن جابر أن رسول الله ﷺ رأى امرأة ، فأتى زينب وهي تمعس منيئة لها فقضى حاجته ، ثم خرج إلى أصحابه فقال : " **إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان ، فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله فإن ذلك يرد ما في نفسه** " [(٢)]، **قال الإمام النووي** " إنما فعل هذا بيانا لهم وإرشادا لما ينبغي لهم أن يفعلوه فعلمهم بفعله وقوله " [(٣)].

وربما هيجت نظرة شهوة رجل ، ولا تسكن هذه الشهوة إلا بتنفيذ وصية الرسول ﷺ وإتيان أهله ، ولهذا جاء الوعيد شديدا لمن امتنعت عن فراش زوجها بغير عذر ، قال رسول الله ﷺ : " **إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع** " [(٤)].

(٨) **الله مطلع عليك** :

قال تعالى : ﴿ **يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور** ﴾ [غافر : ١٩] .

قال **ابن عباس** رضي الله عنه : " الرجل يكون في القوم فتمر بهم المرأة فيريهم أنه يغض بصره عنها ، فإن رأى منهم غفلة نظر إليها ، فإن خاف أن يفطنوا إليه غض بصره ، وقد اطلع الله عز وجل من قلبه أنه يود أنه نظر إلى عورتها " [(٥)].

يخدع المسكين نفسه ويظن أنه يخدع ربه ، مراقبتك لله يا أخانا تتمثل في استشعار أن نظر الله أقرب إليك من نظرك إلى الحرام ، لأنه أقرب إليك من حبل

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) رواه مسلم وأحمد وأبو داود عن جابر كما في ص ج ص رقم (١٩٤٠) والسلسلة الصحيحة رقم (٢٣٥) ، وتمعس : أي تدلك ، منيئة : الجلد أول ما يوضع في الدباغ .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٥/٣١١) – ط دار أبي حبان .

(٤) رواه الشيخان عن أبي هريرة كما في اللؤلؤ والمرجان رقم (٩١٢) .

(٥) ذم الهوى ص (٨١) .

الوريد ، وملائكته تقف عليك عن اليمن وعن الشمال ، فالأعمال تسجل والنظرات ترصد والخطرات تكتب بل تنقش ﴿ **وما كان ربك نسياً** ﴾ [مريم : ٦٤] .

كان لابنة **عمر بن عبد العزيز** لؤلؤة واحدة تستخدمها كقرط فى أذنها ، وتنقصها لؤلؤة أخرى تضعها فى أذنها الأخرى ، فأرسلت إليه أن يعطيها لؤلؤة أخرى ، فأرسل إليها بجمرتين ، ثم قال لها : " إن استطعت أن تجعلى هاتين الجمرتين فى أذنيك بعثت إليك بأخت لها " [١].

ونحن نرث مذهب الراشد الخامس ، ونقول لك يا مطلق بصره : لو استطعت أن تجعل مكان عينيك جمرتين فابعثهما فى الغيد الحسان .

عند التسليم

◌ سئل **الحارث المحاسبي** : إذا الرجل التائب عاد إلى النظر المحرم بعد أن تاب منه فهل تصح توبته أم أنها توبة كاذبة ؟ فأجاب قائلا :

" ينقسم الناس في ذلك إلى قسمين :

- صادق في توبته الأولى لم يصر على ذنبه ، وليس في نيته العود إليه عند التوبة ، ثم عرض له فيما بعد ذلك ذنب آخر دون إعداد ولا ترتيب له ، ولا علم بوقوعه فارتكبه ، سواء كان ذلك الذنب هو الأول أو غيره من الذنوب ، وحينئذ يجب على المذنب أن يسارع بالتوبة لشروطها ، وصحت توبته الأولى والثانية مهما تكرر منه الذنب ، بشرط عدم الإصرار وعدم التفكير والترتيب لارتكابه .
- وتائب من ذنبه الأول على حب له ، وتَمنٍّ لمقارفته مرة أخرى ، لم يقتلع حب المحرم من قلبه ، ثم عرض له الذنب فارتكبه ، فهذا مستهزئ بربه ، وتسمى توبته توبة الكذابين ، لأنه يتوب بلسانه على نية العودة إلى الذنب بقلبه " [٢].

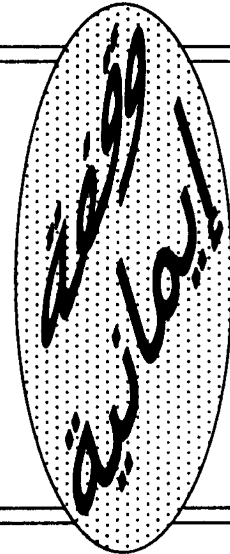
---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز ص (١٥٦) .

(٢) التوبة ص (٥٩) – الحارث المحاسبي – ط دار الفضيلة .

الصفقة الثانية

الصلاة خير من النوم



كان أصحاب النبي ﷺ لا يطيقون فراقه، ولما كانت الدنيا دار فراق، وهم لا يشبعهم منه غير الخلود، طلبوا صحبته في دار الخلود، وقدموا الثمن..

الصديق قدّم صدقه، والفاروق قدّم عدله، وذو النورين قدّم ماله، وعليٌّ قدّم روحه يوم هجرة الحبيب.. هذا ما قدموا فأين ما قدمت؟!

قبل التنفيذ

أعجب العجاب :

يقول ابن القيم رحمه الله :

" من أعجب الأشياء أن تعرفه ثم لا تحبه ، وأن تسمع داعيه ثم تتأخر عن إجابته ، وأن تعرف قدر الربح في معاملته ثم تعامل غيره ، وأن تعرف قدر غضبه ثم تتعرض له ، وأن تذوق ألم الوحشة في معصيته ثم لا تطلب الأنس بطاعته ، وأن تذوق عصرة القلب عند الخوض في غير حد دينه والحديث عنه ، ثم لا تشتاق إلى انشراح الصدر بذكره ومناجاته ، وأن تذوق العذاب عند تعلق القلب بغيره ولا تهرب منه إلى نعيم الإقبال عليه والإنابة إليه ، وأعجب من هذا علمك أنك لا بد لك منه وأنك أحوج شيء إليه وأنت عنه معرض وفيما يبعدك عنه راغب " [١].

أرباح الصفقة

يا قومنا هذي الفوائد جمّة ... فتخيّروا قبل الندامة وانتهوا
إن مَسَّكُم ظمأ يقول نذيركم ... لا ذنب لي قد قلتُ للقوم استقوا

من فوائد أداء صلاة الفجر في الجماعة :

(١) تعدل قيام ليلة كاملة :

يقظة من منام + إجابة للأذان + صلاة مع أهل الإيمان = ثواب قيام ليلة

وما أعظمه من ثواب مع يسر ما بذل فيه من جهد .

قال رسول الله ﷺ : **" من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف ليلة ،**

---

(١) الفوائد ص (٦١) .

ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله " [١]، وهي وصية العامة إذ قالوا : عليكم بما خف حمله وغلا ثمنه .

٢) الحفظ في ذمة الله :

قال رسول الله ﷺ : " **من صلى الصبح فهو في ذمة الله** " [٢].

وتأمل معي قوله " **ذمة الله** " : فهي ليست ذمة ملك من ملوك الأرض لأنه – وإن علا ملكه وتوقفت مراكب السير تعظيماً وتبجيلاً له – لا تزال فيه حقارة الأرض وذلة الأرض والضعف الكائن في المخلوق من تراب الأرض ، وإنما هي ذمة مالك الملك ورب الأرباب وخالق الأرض وما عليها لك والواصف نفسه قائلاً : ﴿ **والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة** ﴾ [النور : ٣٠] .

ذمة الله هي الذمة التي لا يستطيع أحد خرقها بل مسّها ، تحيط المؤمن بسياج من الحماية له في نفسه وولده وعقله ودينه وسائر أمره ، فيحس بالطمأنينة في كنف الله ، ويشعر أن عين الله ترعاه وأن قوته تحفظه ، فيمضي يومه واثق الخطى ثابت الجنان عديم الوجل من كل من دبّ على وجه الأرض وخلق منها .

٣) نور يوم القيامة :

قال النبي ﷺ : " **بشّر المشائين في الظُلَم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة** " [٣].

والنور على قدر الظلمة ، فمن كثر سيره في ظلام الليل إلى الصلاة عظم نوره وعمّ ضياؤه يوم القيامة ، والمؤمن يعلم أن مقاساة الظلمة هنا هي ثمن النور هناك ، وأن سيره في ظلمة الليل إلى المساجد ، إنما يدخر الأنوار له ليوم تضيء فيه الصراط فيعبره

---

(١) رواه أحمد ومسلم عن عثمان بن عفان كما في مختصر صحيح مسلم رقم (٣٢٤) .

(٢) رواه مسلم عن جندب بن عبد الله واللفظ له وأبو داود والترمذي كما في صحيح الترغيب والترهيب رقم (٣٦٣) .

(٣) رواه ابن ماجة وابن خزيمة في صحيحه والحاكم واللفظ له كما في صحيح الترغيب والترهيب رقم (٤٢٣) .

إلى الجنة .

وليست أنوار المؤمنين يوم القيامة على درجة واحدة من الشــــدة والقــوة ، بــل تتفاوت بتفاوت الإيمان ، قال رسول الله ﷺ : " **فيُعطون نورهم علـــى قــدر أعمالـــهم ، فمنهم من يُعطى نوره مثل الجبل بين يديه ، ومنهم من يُعطى نوره فوق ذلـــك، ومنـــهم من يُعطى نوره مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يُعطى نوره دون ذلك بيمينه، حتى يكـــون آخر من يُعطى نوره على إبهام قدمه يضيء مرة ويطفئ مرة** " [1].

(٤) دخول الجنة :

قال رسول الله ﷺ : " **من صلى البردين دخل الجنة** " [2].

والبردان هما صلاة الفجر والعصر ، قال **ابن حجر** في الفتح : " وسميا بـــالبردين لأنهما تصليان في بردي النهار ، وهما طرفاه حين يطلب الهواء وتذهب سورة الحـــر أي شدته" [3].

ولأن النفس تخلد في هذين الوقتين للراحة والرقاد وتستصعب النشـــاط والقيـــام ، فقد استحثها النبي ﷺ وحفزّها بهذه البشارة العظيمة ، وكأنه يقول : هذه الجنة نزلت إلـــى أرضكم تعرض نفسها عليكم في هذين الوقتين الثمينين ، فاحضروا القسمة يكن لكم فيـــها نصيب ، وارموا ساعة القتال بسهم يكن لكم في الغنيمة سهم ، ولا تكونوا مـــع الخوالـــف فتنالكم التوالف ، ولا ممن :

يحاول نيل المجد والسيف مغمد ويأمل إدراك العلا وهو نائم

(٥) تقرير مشرف :

أخي الحبيب : أنت على موعد مع الله كل يوم في صلاة الفجر والعصر ، لتقـــدم له تقريراً يومياً تكتبه بيدك شاهداً به على نفسك ، مجدداً العهد مع ربك الذي يحرص كـــل يوم على السؤال عنك وتفقد أحوالك عن طريق ملائكة أطهار – وهو أعلم بـــك منـــهم –

---

(١) رواه الحاكم عن ابن مسعود ، وأورده الألباني في شرح الطحاوية ص (٤٦٩) – ط المكتب الإسلامي .

(٢) رواه مسلم عن أبي موسى كما في ص ج ص رقم (٦٣٣٧) .

(٣) فتح الباري (٦٤١٢) – ابن حجر العسقلاني – ط دار الريان .

لكنه يسأل براً ولطفاً وإحساناً وتقرباً .

قال رسول الله ﷺ : " **يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم الله وهو أعلم بهم : كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون** " [1].

(٦) هذا ثواب النافلة فكيف بالفريضة :

قال رسول الله ﷺ : " **ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها** " [2].

وهما ركعتا سنة الفجر ، ولما كان الفرض أحب ما تقرب به العبد إلى ربه ، فثوابه أعظم وربحه أوفر ، وإذا قال " خير من الدنيا وما فيها " ، فكن على يقين أن قوله الحق ، لا يبالغ في تصوير ، ولا ينطق عن هوى ، تنزه عن ذلك ، كيف وما هو إلا وحي يوحى ؟ ويد الله ملأى ، وخزائنه لا تنفد ، وملكه لا ينقصه شيء إلا كما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بم يرجع ؟

(٧) رؤية الله في الآخرة :

وما أعطى الله أهل الجنة نعيماً أحب إليهم من النظر إلى وجهه الكريم ، وهو شرف أجل من أن يخطر ببال أو يدور في خيال ، فأي نعيم وأي لذة وأي فوز وأي قرة عين ، والله ما طابت الجنة إلا بهذا ولا تم نعيمها إلا به .

هذا الشرف حازه أهل الفجر كما أخبر النبي ﷺ : " **أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا** " ، ثم قرأ : ﴿ **وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها** ﴾ [طه : ١٣٠] [3].

قال **ابن حجر**: " وجه مناسبة ذكر هاتين الصفتين عند ذكر الرؤية أن الصلاة أفضل الطاعات ، وقد ثبت لهاتين الصلاتين من الفضل على غيرهما ، فهما أفضل

---

(١) رواه الشيخان عن أبي هريرة كما في صحيح الترغيب والترهيب رقم (٤٦٣) .

(٢) رواه مسلم وأحمد والترمذي والنسائي عن عائشة كما في ص ج ص رقم (٧١٥٣) .

(٣) رواه الشيخان عن جرير بن عبد الله كما في اللؤلؤ والمرجان رقم (٣٦٨) .

الصلوات ، فناسب أن يجازى المحافظ عليهما بأفضل العطايا وهو النظر إلى الله تعالى" (١).

يا أخي . . نسوة مصر ، لما رأين يوسف **﴿ أكبرنه وقطعن أيديهن ﴾** [يوسف : ٣١] ، وشُغِلن به عن أنفسهن ، فكيف لا تحب مولاك وتشتاق إلى رؤيته ؟! وإن له يوماً يتجلى فيه لأوليائه ويطلع فيه على أحبائه .

(٨) زاد الدنيا والآخرة :

لما كان الوقت الذي يعقب صلاة الفجر أكثر الأوقات بركة ، فقد حرص النبي ﷺ على اغتنامه وشغله بالذكر ، فكان يجلس بعد صلاة الفجر يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم يصلي ركعتين ، ويبشر أصحابه إن هم فعلوا هذا بأن لهم أجر حجة وعمرة تامة تامة ، ولقد حرص السلف الصالح على التزام سنة النبي ﷺ ، فكان **ابن تيمية** كما ينقل عنه تلميذه **ابن القيم** يذكر الله في هذا الوقت المبارك ويقول : " هذه غدوتي ولو لم أتغد الغذاء سقطت قوتي " (٢).

وهذا الوقت وقت البركة الوفيرة في الرزق ، ولهذا نجد أصحاب المهن والحرف والتجارة حريصين على اغتنام هذا الوقت ، فعن صخر الغامدي أن النبي ﷺ قال : " **اللهم بارك لأمتي في بكورها** " (٣).

قال صخر : وكان إذا بعث سرية أو جيشاً بعثهم أول النهار ، وكان صخر تاجراً وكان إذا بعث تجارة بعثها أول النهار ، فأثري وكثر ماله ، ولا يعني ذلك أن النائم لا يُرزق ، بل إن الله يرزق البر والفاجر والمؤمن والكافر ، لكن البركة كنز لا يناله إلا المستيقظون في هذا الوقت ، الذي يفيض بالبركة على أهله . . بركة في المال فلا فقر ، وفي الصحة فلا مرض ، وفي العزيمة فلا وهن ، وفي الوقت فلا ضيق ، وفي العقل فلا شطط ، وكذا في سائر نعم الله على العبد .

---

(١) فتح الباري (٤٤/٢) بتصرف .

(٢) الوابل الصيب من الكلام الطيب – ص (٣٧) – ابن قيم الجوزية – ط المكتبة السلفية .

(٣) رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان عن صخر الغامدي كما في ص ج ص رقم (١٣٠٠) .

(٩) صحة وعافية :

أما الفوائد الصحية التي يجنيها الإنسان بيقظة الفجر فهي كثيرة منها :

- تكون أعلى نسبة لغاز الأوزون (O_3) في الجو عند الفجر ، وتقل تدريجياً حتى تضمحل عند طلوع الشمس ، ولهذا الغاز تأثير مفيد للجهاز العصبي ، ومنشط للعمل الفكري والعضلي .
- نسبة الأشعة فوق البنفسجية (U.V) تكون أعلى ما يمكن عند الفجر ، وهذه الأشعة تحرض الجلد على صنع فيتامين (د) ، كما أن لِلَّون الأحمر تأثيراً باعثاً على اليقظة .
- نسبة (الكورتيزون) تكون في الدم أعلى ما يمكن وقت الصباح وأقل ما يمكن وقت المساء [١].

الشروط الجزائية

رأى **يحى بن معاذ** يوما رجلا يقلع الجبل فى يوم حار وهو يغنى ، فقال : " مسكين ابن آدم، قلع الأحجار عنده أهون من ترك الأوزار "[٢]، نعم والله . . هانت على ابن آدم أوزاره لجهله بعواقبها وآثارها ، ومن الآثام المدمرة للتخلف عن صلاة الفجر :

(١) الاتصاف بصفات المنافقين :

قال تعالى في وصف المنافقين : ﴿ **وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى** ﴾ [الأنبياء : ١٤٢] ، وقال ﷺ : " **ليس صلاة أثقل على المنافقين من صلاة العشاء والفجر ، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً** " [٣].

ويؤكد الصحابي الجليل **عبد الله بن مسعود** ﷺ فيقول : " ولقد رأيتنا وما يتخلف

---

(١) نقلاً عن مجلة المجتمع الكويتية .

(٢) حلية الأولياء (١٠ / ٥٢) .

(٣) رواه الشيخان عن أبي هريرة كما في اللؤلؤ والمرجان رقم (٣٨٣) .

عنها إلا منافق معلوم النفاق " [١]، وما يزال الرجل بخير ويظن فيه الخير ما دام مواظباً على صلاة الفجر ، فإذا تخلف دارت حوله الظنون وحامت حوله الشبهات ، قال **عبد الله بن عمر** رضي الله عنه : " كنا إذا فقدنا الرجل في الفجر والعشاء أسأنا به الظن " [٢].

٢) الويل والغي له :

قال تعالى : ﴿ **فويل للمصلين ۝ الذين هم عن صلاتهم ساهون** ﴾ [الماعون : ٤ - ٥] ، قال **سعد بن أبي وقاص** : " سهوا عنها حتى ضاع الوقت " ، وقال تعالى : ﴿ **فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا** ﴾ [مريم : ٥٩] ، قال الخليفة الراشد **عمر بن عبد العزيز** : " لم تكن إضاعتها تركها ولكن أضاعوا الوقت " .

سوق الأرباح قائمة حتى الشروق ، فإذا طلعت الشمس انفضت السوق ولم تنفع البضائع صاحبها ، وفوق هذا وذاك تهديد ووعيد بالغي والضلال من قوي عزيز ذي انتقام .

٣) أذنه كنيف شيطان :

عن **عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه قال : " ذُكر عند النبي ﷺ رجل نام ليلة حتى أصبح قال : " **ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه** " ، أو قال : " **في أذنه** " [٣]، قال **الطيبي** : " خص الأذن بالذكر ، وإن كانت العين أنسب للنوم إشارة إلى ثقل النوم " [٤].

وقد يتعجب الإنسان ويسأل : وهل يبول الشيطان ؟ فيجيبه **القرطبي** قائلاً : " ثبت أن الشيطان يأكل ويشرب وينكح فلا مانع من أن يبول " [٥].

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الشيطان قد استولى عليه ، واستخف

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب رقم (٤٠١) .
(٢) صحيح الترغيب والترهيب رقم (٤١٤) .
(٣) رواه الشيخان عن ابن مسعود كما في اللؤلؤ والمرجان .
(٤) فتح الباري (٣ / ٥٣) .
(٥) السابق (٣ / ٣٥) .

به حتى اتخذه كالكنيف المعد للبول ، ازدراءً له واستهزاءً به .

يا بائع الفجر . . وجاني الوزر . . أما تأنف من بول الشيطان في أذنيك ؟! أما تجزع من هروب الملائكة من ريحك ؟!

أردنا أن يكون الملك حاديك إلى الجنة بنشيده : (الصلاة خيرٌ من النوم) ، فأبيت إلا أن يكون الشيطان حاديك إلى النار بعوائه : (عليك ليلٌ طويلٌ فارقد) .

(٤) الخبث والكسل :

فيصبح النائم عن صلاة الفجر إسفنجي الطبع : إذا صادف خبيثاً تشرب خلاله الخبيثة وامتلأ بها ، زجاجي القوام : إذا صادف آية مرت من خلاله دون أن يبقى منها فيها شيء ، حجري الإحساس : تنهال عليه سياط المواعظ دون أن يشعر بأي ألم .

وهو مع ذلك لو كان الخمول والكسل عن الطاعات حديداً لكان هو قطعة مغناطيس ، ولو كان الثواب منه على قيد أنملة لحسبها – من كسله – صحارى وقفاراً .

ولذا أخبر النبي ﷺ أن الشيطان يعقد على قافية رأس أحدنا إذا هو نام ثلاث عقد ، لا تنحل إلا بالقيام والوضوء والصلاة " **وإلا أصبح خبيث النفس كسلان** " [١]، ليس هذا فحسب . . بل وتعلن فضيحته على الملأ وتفوح معصيته في الأرجاء ، وتنتكس من على رأسه أعلام العزة والكرامة ولترفع بدلاً منها أعلام الذل والهوان .

قال **أبو المعتمر سليمان بن طرحان التيمي** : " إن الرجل ليذنب الذنب فيصبح وعليه مذلته " [٢].

(٥) الكب على الوجه في النار :

قال النبي ﷺ : " **من صلى الصبح فهو في ذمة الله ، فانظر يا ابن آدم ، لا يطلبنك من ذمته بشيء ، فإن من يطلبه من ذمته بشيء يدركه ، ثم يكبه على وجهه في نار جهنم** " [٣].

---

(١) جزء من حديث متفق عليه عن أبي هريرة كما في اللؤلؤ والمرجان رقم (٤٤٤) .

(٢) صفة الصفوة (٣ / ١٧٤) .

(٣) رواه أحمد ومسلم والترمذي عن جندب البجلي كما في ص ج ص رقم (٦٣٣٩) .

صلاة الفجر من ذمة الله التي يغار عليها أن تخفر ، فمن نام عنها أو أخّرها عن وقتها فقد خفر ذمة الله ، واستعدى عليه العظيم ، وأغضب منه الجليل ، فعاقبه بأن كب وجهه الذي غمره النعم في الدنيا في النار يوم القيامة ، جزاء ما قدمت يداه غير ظالم له أو متجن عليه ، حاشاه . .

(٦) وتكسر رأسه :

لما ثبت في البخاري من أن النبي ﷺ رأى في رؤيا : (**رجلاً مستلقياً على قفاه وآخر قائماً عليه بصخرة يهوي بها على رأسه ، فيشدخ رأسه فيتدحرج الحجر ، فإذا ذهب ليأخذه فلا يرجع حتى يعود رأسه كما كان ، فيفعل به مثل ما فعل في المرة الأولى**) ، وقد فسر جبريل وميكائيل ما رآه النبي ﷺ بأنه : " الرجل يأخذ القرآن فيرفضه ، وينام عن الصلاة المكتوبة " .

قال **ابن العربي** : " جُعلت العقوبة في رأس هذا النائم عن الصلاة ، والنوم موضعه الرأس " [1].

(٧) ويمنع رزقه :

قال **ابن قيم الجوزية** في زاد المعاد : " ونومة الصبح تمنع الرزق ، لأن ذلك وقت تطلب فيه الخليقة أرزاقها ، وهو وقت قسمة الأرزاق ، فنومه حرمان إلا لعارض أو ضرورة وهو مضر جداً ، ورأى **عبد الله بن عباس** ﷺ ابناً له نائماً نومة الصبح ، فقال : قم .. أتنام في الساعة التي تقسم فيها الأرزاق ؟ " [2].

تسهيلات الصفقة

(١) نم مبكراً واترك السمر :

لحديث **أبي برزة** ﷺ : " كان رسول الله ﷺ لا يبالي بعض تأخيرها (يعني

---

(١) فتح الباري .

(٢) زاد المعاد (٤ / ٢٤٢) - ابن قيم الجوزية - مؤسسة الرسالة .

صلاة العشاء) ، ولا يحب النوم قبل صلاة العشاء والحديث بعدها ".

وقد استثنى من ذلك حالات ، منها ما ذكره **الإمام النووي** في شرحه على صحيح مسلم فقال :

" سبب كراهة الحديث بعدها أن يؤدي إلى السهر ، ويخاف من غلبة النوم عن قيام الليل أو عن صلاة الصبح في وقتها الجائز ، أو في وقتها المختار أو الأفضل ، والمكروه من الحديث بعد صلاة العشاء هو ما كان في الأمور التي لا مصلحة فيها ، أما ما كان فيه مصلحة وخير فلا كراهة فيه ، كمدارسة العلم وحكايات الصالحين ، ومحادثة الضيف والعروس للتأنيس ، ومحادثة الرجل أهله وأولاده للملاطفة والحاجة ، ومحادثة المسافرين بحفظ متاعهم أو أنفسهم ، والحديث في الإصلاح بين الناس ، والشفاعة إليهم في خير ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والإرشاد إلى مصلحة أو ما شابه ذلك فكل ذلك لا كراهة فيه" [1].

هل علمت الآن لماذا كان **عمر بن الخطاب** ﷺ يضرب الناس بدرته بعد صلاة العشاء ويقول : أَسَمَرٌ أول الليل ونومٌ آخره ؟! .

(٢) الحرص على آداب النوم :

كالنوم على طهارة وأداء ركعتي الوضوء ، والمحافظة على أذكار النوم ، والاضطجاع على الشق الأيمن ، ووضع الكف الأيمن تحت الوجه ، وقراءة المعوذتين في الكفين ومسح ما استطاع من الجسد بهما ، وغير ذلك من أذكار النوم .

(٣) ابذر الخير تحصد الخير :

فمن نام عقب أداء طاعة من صلة رحم ، أو بر والدين ، أو إحسان إلى جار ، أو صدقة سر ، أو ستر مسلم ، أو أمر بمعروف ، أو نهي عن منكر ، أو إرشاد ضال ، أو شفقة على يتيم ، أو سعي في حاجة محتاج ، لكوفئ بأن يكون ممن يشهدون الفجر ، لأن حسنة المؤمن تستوحش فتدعو أختها إلى جوارها تأبى التفرد .

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٣ / ١٥٧ ، ١٥٨) .

(٤) انزع الشر تسلم :

وذلك بحفظ الجوارح عما لا يحل لها ، فيصرف النظر عن الحرام ، وكذلك اللسان والسمع وسائر الأعضاء عما لا يحل لها .

سئل **الحسن البصري** : لم لا نستطيع قيام الليل ؟ فقال : " قيدتكم خطاياكم " [١].

فمن نام على معصية ارتكبها من غيبة مسلم ، أو خوض في باطل ، أو نظرة إلى حرام ، أو خذلان محتاج ، أو خلف وعد ، أو أكل حرام ، أو خيانة أمانة ، عوقب بالحرمان من شهود الفجر ، لأن من أساء في ليله عوقب في نهاره ، ومن أساء في نهاره عوقب في ليله .

(٥) استعن بنوم القيلولة :

كان **أبو ذر الغفاري** ﷺ يعتزل الصبيان لئلا يسمع أصواتهم فيقيل ، فقيل له ، فقال : " إن نفسي مطيتي وإن لم أرفق بها لم تبلغني " [٢].

وهي سنة النبي ﷺ ينفذها **أبو ذر** كما علمه إياها المعلم القدوة ﷺ ، فلا شك أن نوم القيلولة يريح الجسد من تعبه فيقوي الإنسان على الاستيقاظ على أذان الفجر إن لم يكن قبله .

(٦) إخوان الخير يساعدون :

فهؤلاء هم العدة والعتاد في مواجهة رسل النوم وبواعث الكسل بقيادة إبليس ، أوصهم بأن يوقظوك وأن ينبهوك ويذكروك ، واستعن على ذلك بشهود مجلسهم وحضور منتدياتهم ، فمن عاشر قوماً أربعين يوماً صار منهم ، فإن كان قلبك مريضاً شفي ، وإن كان ميتاً حيي .

وتذكر : لما بعث الله أهل الكهف بعث كلبهم ، ولما أحيا عُزيراً أحيا حماره .

٧) لتعرف قدر الآخرة :

لو قيل لك : احضر إلى مكان كذا في تمام الساعة الثالثة بعد منتصف الليل ، فإنه

---

(١) لطائف المعارف ص (١٠٧) – ابن رجب الحنبلي – ط مؤسسة الأهرام .

(٢) الزهد ص (٣١٢) – ابن المبارك – ط ابن خلدون .

سوف يأتيك من يسلمك عشرة آلاف جنيه . . ترى ماذا كنت فاعلاً ؟ لا شك أنه لن تغفل لك عين ولن يطيب لك نوم ، بل ستظل تتقلب على جمر الشوق وتتقلى في نار القلق ، وتعد الساعات بل الدقائق والثواني كأنها الدهر قدامك ، ولذهبت قبل الموعد بساعة تنتظر بلهفة حضور الجنيهات .

ويحك : عشرة آلاف جنيه أم الجنة ؟ ثواب الدنيا أم الآخرة ؟ لذة ساعة أم نعيم الأبد ؟ لو عرفت قدر الآخرة حقاً لأفاق قلبك المخمور ، ولو تذكرت ما علمه إياك مدرس الحساب وأنت صغير ، لكان حالك غير حالك ، علّمك أن (البسط / مالا نهاية = صفـر) فالدنيا مهما عظم قدرها وعلا شأنها هي البسط والآخرة هي المقام ، وما الدنيا إلى الآخرة إلا صفر مهمل وسراب خادع ووهم كبير ، فحصّل ما استطعت في المقام ليطيب لك في الجنة المقام ، ولا تطلب البسط كل البسط فإنه سبحانه وتعالى قال لك : **﴿ ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً ﴾** [الإسراء : ٢٩] .

(٨) انتقم من عدوك :

فإذا فاتك شهود الفجر فانتقم من شيطانك انتقاماً يؤلمه ، فيحذرك ويخاف الاقتراب منك ، بعد أن كان يعدك من قبل لتكون ذباب طمع وفراش نار ، وخطة الانتقام تتمثل في صيام هذا اليوم الذي ضيّع عليك صلاة الفجر فيه ، أو قراءة جزء من القرآن زائداً عن وردك ، أو أداء أي عبادة مما تجد فيها النفس مشقة وتعباً ، وكلما عظمت المشقة زاد الشيطان فرقاً ، فقابل كل ضربة منه بضربة ، وكل غفلة بيقظة ، وكل سقطة بنهضة ، تنجُ من كيده وتسلم من أذاه ، وإياك إياك والمداهنة فإنها دليل الذل وعلامة الجبن وبداية الهزيمة .

هي وصية أمين الأمة **أبي عبيدة بن الجراح** ﷺ التي يبث لك فيها الأمل ، مهما طوقتك ذنوبك وحاصرتك آثامك ، يقول ﷺ : " ادرؤوا السيئات القديمات بالحسنات الحديثات ، فلو أن أحدكم عمل من السيئات ما بينه وبين السماء ، ثم عمل حسنة أدلت فوق سيئاته حتى تقهرهن " [1].

كما هي وصية **عبد الله بن عمر** ﷺ الذي كان يؤثر النصيحة بالحال على

(١) حلية الأولياء (١ / ١٥٢) - أبو نعيم الأصفهاني - ط دار الكتب العلمية .

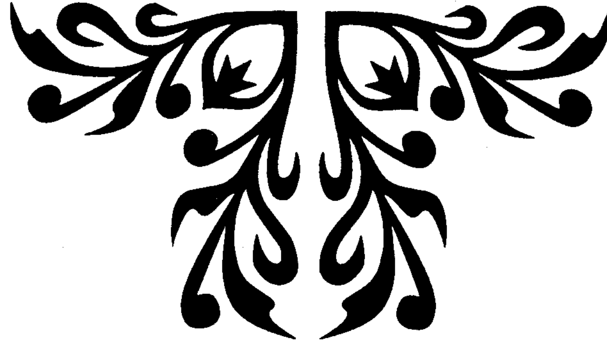
النصيحة بالمقال ، فكان ﷺ إذا فاتته صلاة جماعة صلى تطوعاً إلى الصلاة الأخرى ، إرغاماً للشيطان وتأديباً له ونكاية فيه (١).

(٩) المح عاقبة الصبر :

من عرف حلاوة الأجر هانت عليه مرارة الصبر ، والعاقل الفطن له في كل ما يرى حوله عبرة ، فهو يرى أنه ما ابيض وجه رغيف حتى اسود وجه خبازه ، وما علت اللآلئ الأعناق إلا بمعاناة الغوص في الأعماق ، من سهر الليالي بلغ المعالي ، ومن استأنس بالرقاد استوحش يوم الرقاد ، لا يحل لحم الغزال دون ذبحه ، ولا يطيب إلا بأن يصلى النار ، إضاءة الشمعة إفناء نفسها ، وكلما طال سفر القافلة عظم ربحها ، وإذا كانت السلعة غالية رامت همماً عالية .

صاح بهذا أستاذ الصبر الأول فقال ﷺ : " **ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة** " (٢)، فتذكر هذا تفق على صوت الديك ، وإلا فقد سبقتك الديوك :

قُم بنا يا أخي لما نتمنى ... واطرد النوم بالعزيمة عنا
قم فقد صاحت الديوك ونادت ... لا تكون الديوك أطرب منا



(١) حياة الصحابة (٣ / ١٢٣) .

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية والحاكم والعقيلي في الضعفاء عن أبي كما في ص ج ص رقم (٦٢٢٢) .

عند التسليم

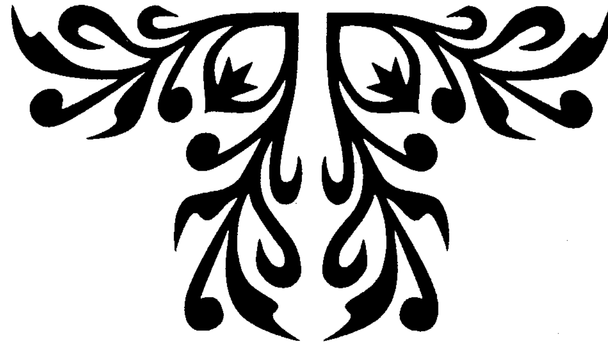
أخي المشترك :

اقرأ هذه السطور وأسقط معانيها على صفقتك التى عقدتها لتوك . .

يقول صاحب الإحياء :

" اعلم أن الصغيرة تكبر بأسباب منها الإصرار والمواظبة ، ولذلك قيل : لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع استغفار ، فكبيرة واحدة تتصرم ولا يتبعها مثلها ، فإن العفو أرجى من صغيرة يواظب العبد عليها ، ومثال ذلك : قطرات من الماء تقع على الحجر على توال فتؤثر فيه ، وذلك القدر من الماء لو صب عليه دفعة واحدة لم يؤثر ، ولذلك قال رسول الله ﷺ : " **خير الأعمال أدومها وإن قلّ** " .

والأشياء تتميز بأضدادها ، وإن كان النافع من العمل هو الدائم وإن قل ، فالكثير المنصرم قليل النفع في تنوير القلب وتطهيره ، فكذلك القليل من السيئات إن دام عظم تأثيره في إظلام القلب " [1].



(١) إحياء علوم الدين (٤ / ٣٤) .

استراحة

﴿ **وإن لكم في الأنعام لعبرة ...** ﴾ [النحل : ٦٦]

▪ غلا ثمن **الراحلة** . . لما صابرت طول السفر وقلة الزاد ، فاستحقت أن تكرم وتزين ، وتظل حياتها عزيزة حتى يتوفاها الموت ، أما غيرها من الإبل فأرخصها نفاد صبرها وضعف تحملها ، لذا تأكل لتؤكل وتكرم لتذبح ، وغاية إكرامها : إخفاء السكين عنها ساعة الذبح .

▪ إذا فرغ **التمساح** من طعامه . . فغر فاه واسعاً ليسمح لعصفور صغير بالتقاط بقايا الطعام من بين أسنانه ، خشية أن ينخر فيها السوس ، وبعض الناس ينخر فيه السوس منذ زمن دون أن يسمح لأحد بالتقاط أصل الداء منه ، لا التمساح شابه ولا العصفور قلّد . . أخي إن لم تكن فاعلاً فمتفاعلاً . . إن لم تدبِّج خطبة فاحضرها . . إن لم تُلق درساً فاشهده . . إن لم تكن أهلاً لإصلاح غيرك ، فلا تمانع في أن يقوم غيرك بإصلاحك .

▪ **الحمام الزاجل** . . إذا أطلقه صاحبه في توصيل رسالة كابد قرص الشمس ، وواصل الليل والنهار محتملاً ما يقابله من رياح وأمطار ورعد وبرق ، وحلّق عالياً خشية أن تناله سهام الصياد ، وهو مع هذا يحذر النزول على حبة قمح ملقاة ، خوفاً من خديعة فخ تورث عرقلة سير أو كسر جناح فتضيع الرسالة ، فإذا أوصل الرسالة أطلق لجناحيه العنان في البرج يأكل ما يشاء .

فيا حاملي رسائل القرب إلى الله : ماذا كابدتم ؟ وإلى أي علو منه سموتم ؟ وأي فخ عرقل تقدمكم ؟ ويحكم . . غمسة في الجنة تنسي آلام العمر ، ولحظة واحدة فيها خير من الدنيا وما فيها ، فلم التردد ؟

▪ **القط** . . إذا أحسنت إليه مرة جعل كلما رآك لاطفك وتمسح بثيابك ، وأنت كل

ذرة من بدنك تشهد بإحساننا ، وكل شعرة من جسدك مغمورة بنعمنا ، ومع هذا كله كلما رغّبناك فينا رغبت عنا ، وكلما أدنيناك منا أحببت غيرنا ، وكلما واصلناك جافيتنا ، خاصمتنا وأنت أحوج ما تكون إلينا ، وصالحناك ونحن أغنى ما نكون عنك ، هلا تعلمت من البهائم يا ذا القلب الهائم ، ولا تستعظمن قدرك فقد تعلم قابيل كيف يدفن أخاه من غراب ، وعلم سليمان خبر بلقيس من هدهد .

■ **النمل** . . مع صغر حجمه وضعف قوته ، يحمل أضعاف أضعاف وزنه صيفاً ليقتات عليها شتاء ، دون أن تشغله حلاوة زاد الصيف عن جمع زاد الشتاء ، لعلمه بضراوة الجوع فيه ، ولكونه أخذ العبرة من كثرة الهالكين فيه . . يا أخي افهم . . الدنيا صيف والآخرة شتاء ، فقليل من الاعتبار يرحمك الله .

■ **الحمار** . . يسير في الليلة المظلمة إلى المنزل فيعرفه ، فإذا خلي سبيله وصل إليه بغير دليل ، وهو مع هذا يفرق بين الصوت الذي به يستوقف والصوت الذي يحث به على السير ، فيا ضالا طريقه إلى الجنة . . يا فاقدا التمييز بين صوت داعي الجنة وبائع النار ، لم تحصل في الهمة درجة (حمار) . . إذا فهمت همت ، وكلما دنوت من القبور قوي عندك الفتور ، دنو أجلك يزيد من أملك ، ودفنك الكثير من الأعزة ما أثناك بعد عن حب عزة ، آه . . كم تظلم فصيلة الحمير .

■ **الجلالة** . . هي كل ما يؤكل لحمه من دواب الأرض ، تأكل النجس من الطعام حتى يخبث لحمها ، وقد حرم الفقهاء أكلها حتى تحبس أربعين يوما ، تأكل فيها طيب الطعام فتطيب وتحل للأكل ، وكثير من الناس غرق في الحرام ففسد حاله وخبث لحمه ، وما أحوج هؤلاء إلى حبس كحبس الجلالة ، لا يتناولون فيه سوى أطايب الكلام وصالح الأعمال ، إلى أن تزكوا أرواحهم وتطيب نفوسهم ، فيستحقون بذلك دخول الجنة التي لا يدخلها إلا ﴿ **الذين تتوفاهم الملائكة طيبين** ﴾ [النحل : ٣٢] ، وعندها تطرب أسماعهم بسماع النشيد الملائكي الخالد : ﴿ **سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين** ﴾ [الزمر : ٧٣] .

- **بعض الناس بهيمة في مسلاخ بشر . . حيوان في صورة إنسان . .**

- فمنهم **حمار** يدور برحاه دون أن يتقدم إلى الأمام خطوة ، طلّق أخراه وتزوج دنياه ، جلبة بالنهار خشبة بالليل ، سبحان من رفع البهائم فوقه درجة إذ تنفع غيرها وهو لا ينفع نفسه ولا غيره ، ألم أقل لك :

﴿ **إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل** ﴾ [الفرقان : ٤٤]

- ومنهم **دودة قز** يموت وسط ما ينسج ، الألفة بينه وبين شهواته عجيبة ، والمؤاخاة بينه وبين شيطانه حميمة ، يسعى لحتفه بيده ، ويسير إلى النار في خطى ثابتة ، شعارهم في الحياة :

﴿ **يهلكون أنفسهم** ﴾ [التوبة : ٤٢]

- ومنهم **نعامة** يدفن رأسه في الرمال ، يظن أن أحداً لا يرى فسقه ولا يلمح فجوره ، يزعم أنه لم يقتل ودماء الضحية تلطخ يديه ، ويدعي عدم السرقة وبصماته تملأ موقع الجريمة ، يرتدي ثوب التقى وقطرات الخمر تقطر من فمه ، وأمثال هؤلاء :

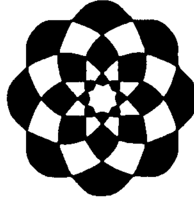
﴿ **يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون** ﴾ [البقرة : ٩]

- ومنهم **حرباء** في تلونها يدخل مجلس الصالحين فيخشع لسماع الأعراف وهود ، ويُثنّي على مجالس الطالحين فيطرب لسماع الجيتار والعود ، حُرموا من المعية لأن نفوسهم إمّعية وعقولهم غير ألمعية طريقتهم في الحياة :

﴿ **مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء** ﴾ [النساء : ١٤٣]

- ومنهم **خفاش** في هيئته المقلوبة ، يعشق الظلام ويكره النور ، يستلذ بالمعصية ويستقبح الطاعة ، مفاهيمه معكوسة لأن فطرته منكوسة لذا :

﴿ **وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون** ﴾ [الزمر : ٤٥]



الصفقة الثالثة

صلِّ

صلاة مودع

وقفة إيمانية

يا ساهياً في صلاته : جسمك في مصر وقلبك هائم في كل مصر، صورة بلا روح .. جسد بلا حياة .. عربي النطق أعجمي الفهم ، مثلك مثل من طلب منه الملك جوهرة ثمينة ، لقاء قربه وجعله في الحاشية ، فاشترى حفنة تراب ، ووضعها في سلة قش وقدّمها ، فلما رآها الملك غضب ، وكان الطرد والإبعاد بديل القرب والإسعاد .

قبل التنفيذ

مراتب خمس :

قال الإمام **ابن قيم الجوزية** :

" والناس في الصلاة على مراتب خمس :

- **أحدها** : مرتبة الظالم لنفسه المفرط ، وهو الذي انتقص من وضوئها ومواقيتها وحدودها وأركانها .
- **الثاني** : من يحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها ، لكن قد ضيع مجاهدة نفسه في الوسوسة فذهب مع الوساوس والأفكار .
- **الثالث** : من حافظ على حدودها وأركانها وجاهد نفسه في دفع الوساوس والأفكار ، فهو مشغول بمجاهدة عدوه لئلا يسرق صلاته ، فهو في صلاة وجهاد .
- **الرابع** : من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها لئلا يضيع شيئاً منها ، بل همه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغي وإكمالها وإتمامها ، قد استغرق قلبه شأن الصلاة وعبودية ربه تبارك وتعالى فيها .
- **الخامس** : من إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذلك ، ولكن مع هذا قد أخذ قلبه ووضعه بين يدي ربه عز وجل ، ناظراً بقلبه إليه مراقباً له ، ممتلئاً من محبته وعظمته كأنه يراه ويشاهده ، وقد اضمحلت تلك الوساوس والخطرات ، وارتفعت حجبها بينه وبين ربه ، فهذا بينه وبين الغافل في الصلاة أفضل وأعظم مما بين السماء والأرض ، وهذا في صلاته مشغول بربه عز وجل قرير العين به .

فالقسم الأول معاقب ، والثاني محاسب ، والثالث مكفَّر عنه ، والرابع مُثاب ، والخامس مُقرب من ربه " (١).

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب ص (٢١) .

أرباح الصفقة

١) التلذذ بالصلاة :

الخاشع يلتذ بصلاته ويستأنس بمناجاته ، فسرعان ما تنقضي دون أن يشعر ، لأن (**سَنة الوصل سِنة**) ، فإن أصابته نزلة فتور فهجر الخشوع هجره الخشوع لتمر عليه أيام الهجر كأنها أعوام لأن (**سِنة الهجر سَنة**) .

يخفف الخشوع أمر الصلاة على العبد ، قال تعالى : **﴿وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾** [البقرة : ٤٥] ، بل يجعل الصلاة لذة فائقة ومتعة غامرة ، قال النبي ﷺ : " **وجُعلت قرة عيني في الصلاة** " [١]، فبالمعاني التي يحييها الخشوع في القلب يعود المسجد قطعة من الجنة مختبئة بين أربعة جدران ولا أروع ، فما ثم إلا السرور والنعيم وقرة العين .

كانت هذه اللذة عند **عروة بن الزبير** ﷺ بحراً غرقت فيه سفن الألم ، فلم تقترب من شاطئ الجسد ولم تصل إلى عالم الوجدان فكيف كان ذلك ؟

وقعت الأُكلة في رجله فأشاروا عليه بقطعها لا تفسد جسده كله ، فأشار عليهم بقطعها في الصلاة ، وخرج بخشوعه من دنيا البشر إلى لذة القرب من الله ، فقطعوا كعبه بالسكين دون أن يلتفت ، حتى بلغوا عظمه فوضعوا عليه المنشار ونشروها وهو لا يلتفت ، ثم جيء بالزيت المغلي فغمرت به فغشي عليه ساعة ، ثم أفاق وهو يقول : هل انتهيتم ؟

٢) أرحنا بها يا بلال :

كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة ، وإذا أعياه أذى الناس وصدودهم وبطشهم وكيدهم نادى في بلال:" **يا بلال أقم الصلاة، أرحنا بها**"[٢]، ولا تنبعث هذه الراحة من حركات مصطنعة تتخللها كلمات لا تجاوز الحناجر ، إنما الراحة حكر على من تدبر

---

(١) رواه أحمد والنسائي عن أنس كما في ص ج ص رقم (٣١٢٤) .

(٢) رواه أحمد وأبو داود عن رجل من خزاعة كما في ص ج ص رقم (٧٨٩٢) .

آيات الله وعاش في معانيها ، فانتشلته من همومه وأحزانه إلى تسليمه وإيمانه ، ونقلته من عالم الألم إلى عالم الأجر ، ومن ضيق الدنيا وكدرها إلى سعة الآخرة وصفائها . .

الصلاة الخاشعة هي اللمسة الحانية التي يختفي معها التعب في غمرات السكينة الإيمانية ، وعرصات الروحانية العالية . . هي البلسم الشافي لقلق النفس وضعفها ، فإذا بها تطمئن بعد قلق إذ بذكر الله تطمئن القلوب ، وتسكن بعد اضطراب إذ تتصل بباعث السكينة في نفوس المؤمنين ، وتأمن بعد فزع إذ تركن إلى من رزقها وأجلها بيده وحده ، وتقر بعد خوف إذ لن يصيبها إلا ما كتب الله لها .

٣) الأجر على قدر الخشوع :

يتناسب الأجر الذي يناله المرء عن صلاته تناسباً طردياً مع قدر خشوعه فيها ، قال رسول الله ﷺ : " **إن الرجل لينصرف وما يكتب له إلا عشر صلاته ، تسعها ، ثمنها ، سبعها ، سدسها ، خمسها ، ربعها ، ثلثها ، نصفها** " (١)، ولذا قرر **ابن عباس** هذه الحقيقة فقال : " ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها " (٢).

٤) مغفرة الذنوب :

قال رسول الله ﷺ : " **ما من مسلم يتوضأ فيسبغ الوضوء ، ثم يقوم في صلاته فيعلم ما يقول ، إلا انفتل وهو كيوم ولدته أمه** " (٣).

ثمن " **فيعلم ما يقول** " عند الله هو غفران الذنوب ، وكأن الخشوع ممحاة تمحو ما مضى وتنسف ما سلف ، صلاة واحدة يا أخي تسري فيها هذه الروح كافية لقلب صحائفك كلها بيضاء .

يا أرباح الخاشعين ما أثمنك . . يا فوز الخاشعين ما أغلاك . .

---

(١) رواه أحمد وأبو داود وابن حبان عن عمار بن ياسر كما في ص ج ص رقم (١٦٢٦) .

(٢) تهذيب مدارج السالكين ص (١٢٧) – ابن قيم الجوزية – هذبه عبد المنعم صالح – ط دار التوزيع والنشر الإسلامية .

(٣) رواه مسلم والحاكم عن عقبة بن عامر كما في صحيح الترغيب والترهيب رقم (٥٤٧) .

قال ﷺ : " **إن العبد إذا قام يصلي أتى بذنوبه كلها ، فوضعت على رأسه وعاتقيه ، فكلما ركع أو سجد تساقطت عنه** " (١).

ويربط **عبد الرؤوف المناوي** بين هذا الحديث وبين الخشوع فيقول : " المراد أنه كلما أتم ركناً سقط عنه ركن من الذنوب ، حتى إذا أكملها تكامل السقوط ، وهذا في صلاة متوفرة الشروط والأركان والخشوع ، كما يؤذن به لفظ العبد والقيام ، إذ هو إشارة إلى أنه بين يدي ملك مقام عبد ذليل " (٢).

الشروط الجزائية

قال **عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه : " الصلاة مكيال فمن أوفى استوفى ، ومن طفّف فقد علم ما قال الله : ﴿ **ويل للمطففين** ﴾ [المطففين : ١] " (٣).

وهذا الوعيد الذي توعده الله للمطففين يظهر جلياً في :

(١) فوات الأجر :

فإن مراد الصلاة الخشوع وحضور القلب ، ومدار الأجر فيها قائم على هذا ، وإلا فما أسهل هذرمة اللسان وحركة الأعضاء ، وإنما ينال الأجر العظيم على جهد مكافئ له ، ببذل في قطع العلائق الدنيوية واستجماع الهمم الأخروية .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس في ناحية المسجد ، فصلى ثم جاء فسلم عليه فقال له رسول الله ﷺ : " **وعليك السلام فارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ** " ، فصلى ثم جاء فسلم فقال ﷺ : " **وعليك السلام فارجع فصلِّ فإنك لم تصل** " ، فقال في الثانية أو التي تليها : علمني يا رسول الله ، فعلمه رسول الله ﷺ (٤).

---

(١) رواه الطبراني وأبو نعيم والبيهقي كما في ص ج ص رقم (١٦٧١) .

(٢) فيض القدير (٢ / ٣٦٨) - عبد الرؤوف المناوي - ط مصطفى محمد .

(٣) مكاشفة القلوب ص (٨٠) - أبو حامد الغزالي - المكتبة التوفيقية .

(٤) رواه الشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي كما في صحيح الترغيب والترهيب رقم (٥٣٦) .

٢) بئست المناجاة :

رأى النبي ﷺ رجلاً ينقر الصلاة فقال له : " **يا فلان ألا تتقي الله ؟ ألا تنظر كيف تصلي ؟ إن أحدكم إذا قام يصلي إنما يقوم يناجي ربه فلينظر كيف يناجيه** " (١).

إذا وقف المصلي في صلاته فإنما يناجي ربه ، ولو ناجى ملكاً من ملوك الأرض لارتعدت فرائصه ، واقشعر جلده ، ووقف شعر رأسه ، ولما غفل أو سها لحظة أو أقل ، فكيف بمناجاة مَنْ ملوك الأرض جميعاً لا يساوون ذرة في ملكه ؟ وإذا كان ملوك الدنيا يملكون حطامها وأمثالك يطلبون هذا الحطام ، فالأولى أن تعلق آمالك بمن يملك حطام الدنيا ونعيم الآخرة ، وأن تعرف قدر السلعة وعظم الجائزة ، وعلى هذا الأساس تتعلم فن الطلب وأدب المناجاة .

مرّ **الحسن البصري** برجل يعبث بالحصى ويدعو : اللهم زوجني من الحور العين ، فقال : بئس الخاطب تعبث بالحصى ، وتطلب الحور (٢).

٣) جريمة سرقة :

قال رسول الله ﷺ : " **أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته لا يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها** " (٣).

هو أسوأ الناس سرقة . . لأنه يسرق في بيت الملك ، وهو واقف بين يديه وليس بينه وبين ربه حاجب ولا ترجمان ، فأين الحياء إن لم يكن الأدب ؟

وهو أسوأ الناس سرقة . . لأنه يسرق من صلاته فيفسدها ، وهي التي لو فسدت فسد عمله كله ، وأصبح إلى العقوبة أسرع منها إلى الثواب .

وهو أسوأ الناس سرقة . . لأن سارق الدنيا ينتفع بما يسرقه ويتمتع به ، أما هو فيسرق من حق نفسه في الثواب ، ويشتري بذلك العقاب في الآخرة .

فأقبح بها من سرقة . . وأعظم بها من جناية . .

---

(١) رواه مسلم والنسائي وابن خزيمة عن أبي هريرة كما في صحيح الترغيب والترهيب رقم (٥٤٢) .

(٢) إحياء علوم الدين (١ / ٢٠٢) – أبو حامد الغزالي – ط دار إحياء علوم الدين .

(٣) رواه أحمد والحاكم عن قتادة وأبو يعلى والطيالسي عن أبي سعيد كما في صحيح الترغيب والترهيب رقم (٥٢٥) .

وأخبرني يا مضيّع الخشوع : ماذا يعز عليك من دينك إذا هانت عليك صلاتك ؟ إذا أردت أن تشعر بقبيح فعلك وعظيم جرمك ، فخاطب نفسك بما سبق وخاطب به **أبو الفرج ابن الجوزي** أحد البطالين في زمانه ، فقال له : " يا بطّال . . لو سافرت بلداً لم تربح فيه حزنت على فوات ربحك ، وضياع وقتك ، أفلا يبكي من دخل في الصلاة على قرة العين ، ثم خرج بغير فائدة ؟ " [(١)].

يصلي فيرسلها كالطيور ... إذا أرسلت من حصار القفص

يقوم ويقعد مستعجلاً ... كمثل الطروب إذا ما رقص

(٤) موت على غير ملة محمد ﷺ:

عن أبي عبد الله الأشعري ﷺ ، أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً لا يتم ركوعه وينقر في سجوده وهو يصلي ، فقال : " **لو مات هذا على حاله مات على غير ملة محمد** " [(٢)].

وهي كلمة لو سمعها هذا الرجل لخرَّ مغشياً عليه من هولها وثقلها ، كلمة تنوء الجبال بحملها ، قصد بها النبي ﷺ تعليم أصحابه أهمية السكينة والطمأنينة وحضور القلب في الصلاة ، هى كلمة يوجهها رسول الله ﷺ لفاقدي الوعي في صلاتهم ، يشير عليهم بإصبعه دون مواربة ، ويحددهم بأشخاصهم دون غيرهم ، ويحذر غيرهم من سلوك طريقهم ، ويقول لهم : لو متّم على هذا لمتّم على غير ملتي .

فاستدركوا ما فات عنكم ، وابحثوا عما ضاع منكم ، مادامت الأنفاس تتردد فالأمل فى اللحاق يتجدد . . ابذروا الإيمان فى الأرض البوار ، وأسرعوا قبل فوات القطار ، فليس أحد فى قبره يركع ويسجد .

وهذا هو النهج الذي جاءت به ملة محمد ﷺ ، وقد يبلغ الرجل من العمر عتياً ولا يكون قد أتم لله صلاة واحدة كاملة الأركان سليمة البنيان .

هذا ما قاله **عمر بن الخطاب** ﷺ ، وقد صعد المنبر يوماً :

---

(١) الياقوتة ص (١١٤) – ابن الجوزي – ط دار الفضيلة .

(٢) رواه الطبراني في الكبير وأبو يعلى بإسناد حسن وابن خزيمة في صحيحه عن أبي عبد الله الأشعري كما في صحيح الترغيب والترهيب رقم (٥٢٩) .

إن الرجل ليشيب عارضاه في الإسلام وما أكمل لله صلاة ، ولما سئل عن ذلك قال : لا يتم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله تعالى فيها [١].

بل قد يسجد هو وأمثاله سجدة سماها بعض السلف السجدة المذنبة فقال : إن العبد يسجد السجدة عنده أنه يتقرب بها إلى الله عز وجل ، ولو قسمت ذنوبه في سجدته على أهل مدينته لهلكوا ، قيل : وكيف يكون ذلك ؟ قال : يكون ساجداً عند الله وقلبه مصغ إلى هوى ومشاهد لباطل قد استولى عليه [٢].

و ترصد **أم سلمة** حالة التدهور في الخشوع من لدن رسول الله ﷺ إلى عهد عثمان رضي الله عنه فتقول :

" كان النبى ﷺ إذا قام أحدهم يصلى لم يعدُ بصره موضع قدميه ، فتوفى رسول الله ﷺ فكان الناس إذا قام أحدهم يصلى لم يعد بصره جبينه ، فتوفى أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، فكان الناس إذا قام أحدهم يصلى لم يعدُ بصرهُ موضع القبلة ، وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه فكانت الفتنة فالتفت الناس يمينا وشمالا !! " [٣].

تسهيلات الصفقة

كثيرا ما تعترى قلوبنا سحب من آثار المعاصى ، فيظلم القلب ويبرد الإيمان ، قال رسول الله ﷺ : **" ما من القلوب قلب إلا وله قلب كسحابة القمر ، بينما القمر يضيء إذ عليه سحابة فأظلم ، إذ انجلت عنه فأضاء "** [٤]، لكن هذه السحب ستنجلي بحول الله وقوته إذا تعرضت للأنوار المشرقة من ثنايا هذه التعليمات :

(١) قوت القلوب (٢ / ٢٠٦) .

(٢) الإحياء (١ /٢٠٢) ، قوت القلوب (٢ / ٢٠٨) .

(٣) الذل والانكسار للعزيز الجبار ص (٥٤) - ابن رجب الحنبلي - ط مكتبة القرآن .

(٤) رواه الحاكم فى المستدرك والطبرانى فى الكبير ، وحسنه الألبانى فى السلسلة الصحيحة رقم (١٥٨٥) .

١) لبّ النداء في الحال :

تصف أم المؤمنين **عائشة** رضى الله عنها حال النبي ﷺ وقت سماعه الأذان فتقول : كان يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لا يعرفنا ولا نعرفه .

قبس **إبراهيم بن ميمون المروزي** من مشكاة الاقتداء ، وكان يعمل صائغاً يطرق الذهب والفضة ، فإذا سمع النداء وكان رافعاً مطرقته لم يردها ، وهذا من فقه الخشوع ، لأن الإنسان إذا أسرع بتلبية النداء نزع بذلك نفسه من كل ما يشغله داخل الصلاة ، فلا يفكر في سواها ويصلي حاضر القلب خاشع الفؤاد ، أما إذا استرسل مع الشواغل وتأخر عن الإجابة دخل إلى الصلاة وقد بقي قلبه معلقاً بشغله ، فيتابع التفكير فيه وتضيع عليه الصلاة ، ولذا أوصى **أبو الدرداء** رضي الله عنه وصية مجرب : " من فقه الرجل أن يبدأ حاجته قبل دخوله في الصلاة ليدخل في الصلاة وقلبه فارغ " [(١)].

يرى الخشوع من تمام الفقه لأن الفقه علم ، وما العلم بكثرة الرواية ، وإنما العلم خشية يورثها الخشوع .

جاء مملوك إلى سيده فقال : ضاعت مخلاة الفرس ، فقام السيد يصلي ، فلما فرغ من الصلاة قال : هي موضع كذا وكذا ، فقال الغلام : يا سيدي أعد الصلاة فإنك كنت تفتش عن المخلاة [(٢)].

(٢) المسجد قبل الساجد :

عن **أنس** رضي الله عنه قال : كان لعائشة قرام سترت به جانب بيتها ، فقال لها النبي ﷺ : " **أميطي عنا قرامك هذا فإنه لا تزال تصاويره تعرض لي في صلاتي** " [(٣)]، ويدخل في هذا الاحتراز من الصلاة في أماكن مرور الناس ، وأماكن الضوضاء وبجانب المتحدثين ، وفي مجالس اللغو ، والاحتماء من كل ما يشغل البصر ، ولهذا لما صلى النبي ﷺ في خميصة ذات أعلام (مخططة) ، ونظر إلى أعلامها قال بعد انقضاء

---

(١) الإحياء (١ / ٢٠٢) - قوت القلوب (٢ / ٢٠٥) .

(٢) التبصرة (٢ / ٢٠٤) - ابن الجوزي - ط دار ابن خلدون .

(٣) رواه البخاري وأحمد عن أنس كما في ص ج ص رقم (١٤٠٥) ، والقرام : ستر رقيق من صوف ذي ألوان .

صلاته : " **شغلتني أعلام هذه ، اذهبوا بها إلى أبي جهم ، وأتوني بأنبجانيه** " [(١)].

(٣) لا صلاة لهؤلاء :

قال النبي ﷺ : " **لا صلاة بحضرة الطعام ، ولا هو يدافعه الأخبثان** " [(٢)]، والأخبثان هما البول والغائط ، ولا يستطيع الإنسان الخشوع وهو يدافعهما ، وبالنسبة للطعام فلأنه إذا حضر بين يدي المصلي قام يصلي ونفسه متعلقة به ، لذا يجب على الجائع أن يبدأ بطعامه قبل صلاته ، ولا يعجل حتى تنقضي حاجته لقول النبي ﷺ : " **إذا وضع عشاء أحدكم وأقيمت الصلاة فابدؤوا بالعشاء ، ولا يعجل حتى يفرغ منه** " [(٣)].

(٤) إياك وتكبيرة الكذابين :

تكبيرة الإحرام . . هي مفتاح الدخول على ملك الملوك ، ودليل افتقار المخلوقين إلى الخالق ، وشهادة إقرار بعظمة الرب وحقارة العبد .

الله أكبر . . تعني أن الله أكبر من كل شيء ، فإذا بالدنيا تنكمش وتنكمش حتى تعود إلى أصلها وحقيقتها ، فتكون في نظرك كما هي في نظر الله لا تساوي جناح بعوضة ، فعش هذا بقلبك مع كل تكبيرة ، إذا سهوت أثناء قيامك ثم ركعت أيقظك صوت الله أكبر ليذكرك بضرورة الصدق مع نفسك ، وموافقة قلبك لسانك فيما يقول ، وإذا غفلت في سجودك ثم قمت منه نبهك صوت : **الله أكبر** . . ليبعث فيك التعظيم يسري من فمك إلى أذنك ، ومن أذنك إلى قلبك ، فيكون تعظيم القلب تاليا لتعظيم اللسان .

ويعجب المرء . . ألا يستحيي المرء من أن يبدأ يومه بكذب على الله ؟ يدخل إلى صلاة الفجر بتكبيرة الله أكبر وهو كاذب في دعواه ، ثم يبدأ بدعاء الاستفتاح في الصلاة فيقول : " وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض . . " ، ثم هو بعد ذلك وجهته شهوته ، وقبلته متعته ، وغفلته مركبه ، وإلهه هواه .

فإذا أردت يا أخي الخشوع فابدأ صلاتك بصدق ، ودع عنك تكبيرة الكذابين ،

---

(١) رواه الشيخان عن عائشة كما في اللؤلؤ والمرجان رقم (٣٢٦) .

(٢) رواه مسلم وأبو داود عن عائشة كما في ص ج ص رقم (٧٥٠٩) .

(٣) رواه الشيخان وأحمد وأبو داود عن ابن عمر كما في ص ج ص رقم (٨٣١) .

وفجِّرها في وجه الشيطان ، واصدع بقوة : **الله أكبر** . .

(٥) صلِّ صلاة مودع :

قال النبي ﷺ موصياً **أبا أيوب** : " **إذا قمت في صلاتك فصل صلاة مودع** " (١).

يريد أن يقول لأبي أيوب ولمن جاء بعد أبي أيوب : قم إلى صلاتك وظلال الموت تغمرك ، وأنفاس ملك الموت تمازج أنفاسك ، يوشك أن يبتدرك فيقبض روحك فور تسليمك ، فهي آخر صلواتك ، وخاتم عهدك بدنيا البشر ، وإيذان بقرب طي صحيفتك وفراغ حفظتك ، فأدها أداء من علم أنه ليس بينه وبين القدوم على ربه غير التسليم . . عندئذ تخشع .

ولأهمية الوصية يكررها النبي ﷺ ، ولكن هذه المرة إلى **أنس** رضي الله عنه فيقول له : " **اذكر الموت في صلاتك ، فإن الرجل ، إذا ذكر الموت في صلاته لحَرِيٌّ أن يُحسن صلاته** " (٢).

كان **لأبي حلال العتكي** طريقة عجيبة في اقتلاع حشائش الدنيا من قلبه قبيل الصلاة ، وغرس أشجار الآخرة بدلا منها ، يهزها فتساقط من ثمار الخشوع رُطبا جنيا ، لكنه كريم لا يمنع فضله عن غيره ، فطن يريد أن يصيب أجورا كثيرة بعبادة وحيدة ، لذا كان يأتي فوق غرفة فيأتي بعض أبوابها فيشرف على شق من ناحية الحي فينادي : يا فلان بن فلان (من الأموات) ، ثم يقبل على الشق الآخر فيقول مثله ، حتى يأتي على الأركان الأربعة ، ثم يقول : ﴿ **هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا** ﴾ ، ثم يُقبل على الصلاة وقد استقر ذكر الموت في قلبه وقلب من سمعه (٣).

(٦) رتِّل وحسِّن صوتك :

وهو أمر الله لنبيه ﷺ : ﴿ **ورتل القرآن ترتيلاً** ﴾ [المزمل : ٤] ، لذا كانت قراءة النبي ﷺ مفسرة حرفاً حرفاً ، وهذا الترتيل أدعى إلى التفكر والخشوع بخلاف العجلة

---

(١) رواه أحمد وابن ماجة عن أبي أيوب كما في ص ج ص رقم (٧٤٢) .

(٢) رواه الديلمي في مسند الفردوس عن أنس ، وحسنه الألباني في ص ج ص رقم (٨٤٩) .

(٣) حلية الأولياء (٣ / ١٠٥) .

والإسراع .

وصنو هذا تحسين صوتك بتلاوة القرآن ، وهي وصية أريجها أطيب من شذى الزهور والرياحين ، يهديها إليك رسول الله ﷺ فيقول : " **زيّنوا القرآن بأصواتكم ، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً** " (١).

ولا يتذرعن أحد بقبح صوته ، فإن النبي ﷺ أخبر أن جمال الصوت يكون مع القراءة بحزن ، فقال ﷺ : " **أحسن الناس قراءة الذي إذا قرأ رأيت أنه يخشى الله** " (٢).

٧) تدبر وتفاعل :

من أراد الوصول إلى بر الخشوع فعليه أن يبحر في بحر التدبر ، وأن يغوص في نهر الدموع . . قال عز وجل : ﴿ **كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب** ﴾ [ص : ٢٩] ، ومن تدبر بقلبه دمعت عيناه ، ومن لم يجاوز القرآن حنجرته إلى قلبه قسا قلبه وأجدبت عيناه .

قال ترجمان القرآن الحبر **عبد الله بن عباس** رضي الله عنه : " إذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا، فإن لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه " (٣)، وسجدة سبحان هي سجدة سور الإسراء في قوله تعالى : ﴿ **ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا** ﴾ [الإسراء : ١٠٩] .

وبكاء القلب هو التدبر الذي يورث الخشية ، وبكاء القلب حتما سيورث بكاء العين ، لذلك إن رزقت هذه الخشية فأبشر فقد أوشكت على الوصول ، ومما يعين كثيرا على التدبر ترديد الآيات وتكرارها كما كان يفعل النبي ﷺ ، فقد قام ليلة بآية واحدة حتى طلع عليه الصبح ، وهي قول الله تعالى : ﴿ **إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ [المائدة : ١١٨] (٤).

---

(١) رواه الحاكم عن البراء كما في ص ج ص رقم (٣٥٨١) .

(٢) رواه البيهقي في الشعب والخطيب البغدادي عن ابن عباس والديلمي في الفردوس عن عائشة كما في ص ج ص رقم (١٩٤) .

(٣) قوت القلوب (١ / ٩٩) .

(٤) رواه ابن خزامة وأحمد (٥ / ١٤٩) ، وهو في صفة الصلاة ص (١٠٢) .

٨) حقق معاني الصلاة :

كل عمل من أعمال الصلاة يرمز لمعنى ويرمي لمغزى ، له دلالة وفي طياته إيماء :

- **الوضوء** . . هو مشاركة السماء لك وإفاضتها عليك بمعاني التزكية والسمو والترقي والعلو ، أو هو إزالة غبار شهواتك الذي امتد إلى أطرافك وغمر أعضاءك ، فهو طهارة الظاهر والباطن معاً ، وماؤه الماء الذي يروي شجرة الخشوع في القلب ، لتتمو وتنمو إلى أن تثمر وتثمر .
- **استقبال القبلة** . . هو استدبار غيرها ، وكما لا يتوجه إلى الكعبة إلا بالانصراف عن غيرها ، فكذلك القلب لا يتوجه إلى الله إلا بالانصراف عن غيره .
- **القيام** . . هو الوقوف بين يدي الله بلا حاجب ولا ترجمان ، تدريباً لوقوف أشق غداً يوم العرض الأكبر .
- **السجود** . . هو تمكين أعز أعضائك (الجبهة) ، من أذل الأشياء وهو التراب ، وهذا هو قمة الخضوع والتذلل لله ، وأنت بذلك ترد الفرع إلى الأصل ﴿ **منها خلقناكم وفيها نعيدكم** ﴾ [طه : ٥٥] ، وتنال جائزة : (**ما من عبد يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحطّ عنه خطيئة**) [١].

٩) حذار من خنزب :

عن **أنس** أن **عثمان بن أبي العاص** أتى النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها ، فقال رسول الله ﷺ : " **ذاك شيطان يقال له خنزب ، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه ، واتفل عن يسارك ثلاثاً** " ، قال : " ففعلت ذلك فأذهبه الله عني " [٢].

(**خنزب**) شيطان الصلاة الذي لا عمل له سوى إفساد صلاتك وتضييع خشوعك ، يبدأ عمله مع تكبيرة الإحرام وينتهي مع التسليم ، وبينهما الوسوسة وقطع الطريق ، فلا سير إلى الله بل بعيداً عنه ، ولا زيادة في إيمان بل أخذاً منه ، ولا بناء

---

(١) رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن حبان عن ثوبان كما في ص ج ص رقم (٥٧٤١) .

(٢) رواه مسلم عن أنس كما في مختصر صحيح مسلم رقم (١٤٤٨) .

قلب بل قلب قلب ، وتفصيل ذلك أن يلقي في قلبك ذكر أمور الدنيا التي لم تكن حاضرة في ذهنك قبل دخولك الصلاة ، فتنشغل بها وتستيقظ على تسليم الإمام معلنا انتهاء - أو بالأحرى - ضياع الصلاة .

فقه سلفنا الصالح هذه العداوة ، فلما جاء رجل إلى الإمام الأعظم **أبي حنيفة النعمان** ، يشكو إليه أنه دفن مالا في الصحراء ونسي مكانه ، فما العمل ؟ فأجابه الإمام أن قم من الليل فتوضأ وصل ركعتين وادع الله أن يذكرك مكان المال .

في اليوم التالي جاء الرجل متهلل الأسارير منشرح الصدر ، فسأله الإمام : ماذا فعل الله بك ؟ قال كل خير ، قمت كما أوصيتني فتوضأت وشرعت في الصلاة ، وبينما أنا أصلي إذ تذكرت مكان المال ، فقال له الإمام : كنت أعلم أن الشيطان لن يتم عليك صلاتك .

فالحذر الحذر من هذا العدو ، ونفذ وصية النبي العدنان لتصل بتوفيق الله إلى بر الأمان .

(١٠) عليك بصلاة أبي اليقظان :

صلى **عمار بن ياسر** رضي الله عنه صلاة خففها ، فقيل له : خففت يا أبا اليقظان ، فقال : هل رأيتموني نقصت من حدودها شيئا ؟ ، قالوا : لا ، قال : فإني بادرت سهو الشيطان [١]، وكذلك كان **الزبير وطلحة** رضي الله عنهما ، ونفر من صحابة النبي ﷺ من أخف الناس صلاة ، ولما سئلوا في ذلك قالوا : " نبادر بها وسوسة العدو " [٢].

وحد الاعتدال في هذا أن لا تطيل صلاتك إطالة تؤدي إلى سهوك وغفلتك عن معانيها ، ولا تقصرها إلى حد يخل بخشوعك فيها .

قال **أبو طالب المكي** في القوت : " واعلم أن طول الصلاة عليك غفلة ، وقصرها سهو ، لأنها إذا طالت عليك دل على عدم الحلاوة ، ووجود الثقل بها ، وكبرها على جوارحك ، وإذا قصرت عليك وخفت ، دل على نقصان حدودها ، ودخول الغفلة والسهو فيها ، فالنسيان قصرها والاستقامة في الصلاة أن لا تطول عليك لوجود الحلاوة

---

(١) الإحياء (١ / ٢٠٢) ، قوت القلوب (٢ / ٢٠٥) .

(٢) السابق .

ولذة المناجاة وحسن الفهم واجتماع الفهم ، ولا تقصر عليك ليقظتك فيها ورعايتك حدودها وحسن قيامك بها ، وهذه مراقبة المصلين ومشاهدة الخاشعين " (١).

وما أنت بالمشتاق إن قلت بيننا طوال الليالي أو بعيد المفاوز

عند التسليم

الله أكرم :

حكي عن **عبد الله بن المبارك** رحمه الله أنه جاء إليه في بعض الأيام سائل ليسأله شيئاً من الطعام ، فلم يحضر عنده شيء سوى عشر بيضات ، فأمر جاريته بأن تعطيه إياها ، فأعطته تسعة وخبأت واحدة ، فلما كان وقت غروب الشمس ، جاء رجل دق الباب وقال خذوا مني هذه السلة ، فخرج عليه **عبد الله** وأخذها منه ، فرأى فيها بيضاً ، فعده فإذا هو تسعون بيضة ، فقال لجاريته : أين البيضة الأخرى ؟ كم أعطيت السائل ؟ ، فقالت : أعطيته تسعاً ، وتركت واحدة نفطر عليها ، فقال لها : غرّمتِنا عشراً (٢).

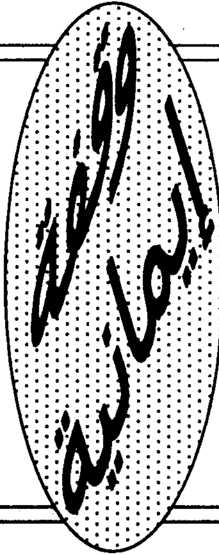


(١) قوت القلوب (٢ / ٢٠٨) .

(٢) الفتح الرباني ص (١٩٧، ١٩٨) – عبد القادر الجيلاني – ط دار الريان للتراث .

الصفقة الرابعة

أبواب السماء مفتوحة



إذا أجدبت الأرض ، وجف الضرع ، وانقطع الماء عن الزرع ، مد الزرع يد الطلب يستعطي ، وأمال الرأس خاضعا ، وخلع ثوب الأوراق شاكيا ، طالبا من الله حرارة الشمس ، وبرودة الماء ، ولطف الهواء ، واحتضان التربة ، مناديا إياك بلسان حاله : " بي مثل ما بك ولم أقبل على غيره ، وعلتنا متشابهة ولم ألجأ إلى سواه ، خالقنا واحد ولم أطرق باب فقير مثلي ، فتعلم مني " .

قبل التنفيذ

استغاثة :

■ **حين** تصرخ من قسوة الظلم فلا تسمع سوى صدى صوتك ، وتتأوه من شدة الألم فلا تجد غير رجع الأنين ، وتنهمر من عينيك العبرات من وقع القهر ، فاعلم أنك تملك سهاماً نافذة يغفل عنها الظالمون ، ولا يغفل عنها رب الظالمين ، تنطلق من قوس دعائك لحظة أن تصدح بهتاف . . **يا رب** . .

■ **حين** تشكل ذنوبك سداً يحول بينك وبين النور ، وحين تمثل آثامك قيداً يمنعك من المسارعة في الخيرات ، وحين يعلو الران وتستحكم الأقفال ، فاعلم أن لك رباً يغفر الذنوب جميعاً ، إذا سمع منك ابتهالات هتاف . . **يا رب** . .

■ **حين** يضطرب الموج ، وتهيج العاصفة ، وتطيش العقول ، ويعلو الصراخ ، ويفتضح الضعف ، ويعترف الناس بعجزهم وقدرته ، وفقرهم وغناه ، عندها تلهج الألسنة في استماتة وضراعة ، باستنجادات هتاف . . **يا رب** . .

■ **حين** تسلك الطرق فتجدها قد سُدت ، وتطرق الأبواب فتجدها قد أُغلقت ، وتطلب العون من أهل العون فما ثم إلا عاجز أو جبان ، فاعلم أنه إنما سد عليك الأبواب كلها لتطرق بابه ، وقطع عنك الحبال جميعها لتعتصم بحبله ، وأنه اشتاق إلى أن يسمع منك نغمات هتاف . . **يا رب** . .

■ **حين** تحل النكبة ، وتستحكم البلية ، وتتكسر النصال على النصال ، وتربط حبال الخطوب عقدها ، وتكون ظلمات بعضها فوق بعض ، فتيقن أن نوراً عظيماً يبدد دياجير هذه الظلمات ، يشرق من ثنايا هتاف . . **يا رب** . .

■ **حين** يستند الغني إلى ماله ، ويعتمد القوي على بطشه ، ويركن صاحب الجاه إلى نفوذه وسلطانه ، فإن المؤمن يطرح كل هذه القوى بعيداً ، ويستند إلى ربها وموجدها ويأوي إلى ركن شديد ، حين تنطلق من أعماق أعماقه استغاثات هتاف . . **يا رب** . .

أرباح الصفقة

أنشد الحطيئة أمام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ قائلا :

من يفعل الخير لا يُعدم جوائـزه لا يذهب العُرف بين الله والناس

ومن هذه الجوائز المستحقة بالدعاء أنه:

(١) أكرم شيء على الله :

قال النبي ﷺ : " **ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء** " [(١)].

وسبب هذه الكرامة : أن الدعاء في معناه الضمني هو تأكيد الإنسان على إنسانيته بكل ما تحويه من ضعف وعجز وجهالة ، واعترافه بقدرة الله وعظمتـه وقيومتـه ، أي إقراره بأن الرب رب والعبد عبد ، وإعادته سيرته الأولى إن كانت نفحة كبر أصابته ، أو طائف من غرور مسّه .

وهذا هو جوهر العبادات ولبها ، وليس العجب من عبد يتذلـل لسـيده ويتقـرب إليه ولا يمل خدمته ، فكل عبد محتـاج إلـى سـيده مفتقـر إليـه لا يسـتطيع العيـش بغيره ، وإنما العجب كـل العجـب مـن سـيد يتحبـب إلـى عبـده بصنـوف النعـم وفيوضات الكرم ، ويتودد إليه بشتى أنواع الإفضال والإحسان ، مع غنـاه عنـه وعـدم احتياجه إليه .

هذا الربح لمح بريقه من بعيد **مطرف بن الشخير** ، فـانطلق يحكـى مـا رأى : " تذكرت ما جماع الخير فإذا الخير كثير : الصـوم والصـلاة ، وإذا هـو فـى يـد الله عز وجل ، وإذا أنت لا تقدر على ما فى يد الله عز وجل إلا أن تسـأله فيعطيـك ، فـإذا جماع الخير : الدعاء " [(٢)].

---

(١) رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد والترمذي والحاكم عن أبي هريرة ، وحسنه الألبـاني في ص ج ص رقم (٥٣٩٢) .

(٢) الزهد ص (٢٩٥) – أحمد بن حنبل – ط دار الريان .

(٣) لا يرد القدر إلا الدعاء [١].

باب الملك مفتوح وأبواب العبيد مغلقة ، فإذا طرق عبد المغلق وترك المفتوح وآثر إفلاس المفاليس على غنى الغني فتعجب من حاله : ظمآن والماء بين يديه .. تائه والدليل أقرب إليه من حبل الوريد ، وعند ذاك اعلم أنه صار إلى الحيوان أقرب منه إلى الإنسان . .

كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

وقد يتبادر إلى الأذهان تساؤل مفاده : مادام القضاء قد مضى والقدر قد سبق به القلم ، فما فائدة الدعاء ؟

يجيب **أبو حامد الغزالي** فيقول :

" اعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء ، فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة ، كما أن الترس سبب لرد السهم ، والماء سبب لخروج النبات من الأرض ، فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء يعتلجان ، وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى أن لا يحمل السلاح ، وقد قال تعالى : ﴿ **خذوا حذركم** ﴾ [النساء : ٧١] ، وأنه كما يسقي الماء الأرض بعد بث البذر فيه فيقال : إن سبق القضاء بالنبات نبت البذر وإن لم يسبق لم ينبت ، بل ربط الأسباب بالمسببات هو القضاء الأول الذي هو كلمح البصر أو هو أقرب " [٢].

رأى أصحاب **نور الدين محمود زنكي** كثرة إنفاقه على الفقراء والمساكين ولا سيما طلبة العلم ، وشدة طلبه الدعاء منهم ، فعوتب في ذلك فقال : " والله إني لا أرجو النصر إلا بأولئك ، كيف أقطع صلات قوم يقاتلون عني وأنا نائم على فراش بسهام لا تخطئ (يريد الدعوات) ، وأصرفها إلى من لا يقاتل عني إلا إذا رآني بسهام قد تصيب وقد تخطئ " [٣].

ولذلك ولنفس السبب طلب إلينا **خالد بن صفوان** أن نتقى دعاء الضعفاء فقال في

---

(١) رواه الترمذي والحاكم عن سلمان كما في ص ج ص رقم (٧٦٨٧) ، والسلسلة الصحيحة رقم (١٥٤).

(٢) الإحياء (١ / ٣٩٠) .

(٣) وقفات مع الأبرار ص (١٠٥) نقلا عن خطط الشام لكردعلي – محمد لطفي الصباغ – ط المكتب الإسلامي .

كلمات معانيها أكبر بكثير من عدد كلماتها : " **اتقوا مجانيق الضعفاء** " (١).

(٣) اطلب ما تشاء :

قال ابن عطاء الله السكندري في إحدى حكمه : " كفى من جزائه إياك على الطاعة أن رضيك لها أهلاً ، ومتى أطلق لسانك فاعلم أنه يريد أن يعطيك " (٢).

يعطيك ما تشاء وقتما تشاء كيفما تشاء مهما عز مرادك وعظم مطلوبك .

قال تعالى : ﴿ **وقال ربكم ادعوني أستجب لكم** ﴾ [غافر : ٦٠] .

قال الإمام **القشيري** في تفسيره (لطائف الإشارات) : " ادعوني بالطاعات أستجب لكم بالثواب والدرجات ، ويقال : ادعوني بلا غفلة أستجب لكم بلا مهلة ، ويقال : ادعوني بالتنصل أستجب لكم بالتفضل ، ويقال : ادعوني ببذر الطاعة أستجب لكم بكشف الفاقة ، ويقال : ادعوني بالسؤال : أستجب لكم بالنوال والإفضال " (٣).

ومطالب العبد لا تنفد وحاجاته لا تنتهي ، فإذا أوى إلى ركن الله وألقى حمله عليه بالكلية لبى وأجاب ، قال النبي ﷺ : " **ادع إلى ربك الذي إن مسك ضر فدعوته كشف عنك ، والذي إن أضلك بأرض فلاة قفر فدعوته ردَّ عليك ، والذي إن أصابتك سنة فدعوته استجاب لك** " (٤).

واعلم أن من أُعطيَ منشور لادعاء أُعطيَ الإجابة ، فإن الله لو لم يرد إجابته لما ألهمه الدعاء كما قيل :

لو لم ترد نيلَ ما أرجو وأطلبهُ   من فيض جودك ما عوّدتني الطلبا

وإليك بشارة ونذارة **ابن عطاء السكندرى** : " ما توقف مطلب أنت طالبه بربك ، ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك " (٥).

---

(١) البيان والتبيين (١ / ٣٥٢) – الجاحظ – ط مكتبة الخانجى .

(٢) شرح الحكم (١ / ٦٩) – ابن عباد النفري الرندي – ط دار إحياء الكتب العربية .

(٣) لطائف الإشارات (٣ / ٣١٣) – الإمام القشيري – ط الهيئة المصرية للكتاب .

(٤) رواه أحمد وأبو داود والبيهقي عن أبي جري كما في ص ج ص رقم (٢٤٤) .

(٥) شرح الحكم (١ / ٢٥) .

(٤) دعاء الذليل أفضل الطاعات :

وبذا أخبر النبي ﷺ ، فقال : " **أفضل العبادة الدعاء** " [١].

وما نال الدعاء هذا الفضل إلا لأن العبد فيه يرمي بنفسه بين يدي خالقه ، خارجاً من حوله وقوته إلى حول الله وقوته ، مُقرّاً بالإساءة والعجز والجهالة ، مسلماً بكمال الله وعظمته وقوته ، وبهذين : سوء ظن بنفسه وتعظيم ربه يصل أو يوشك .

هذه تجربة **ابن قيم الجوزية** في الدخول على الله ، حكاها لنا فقال رحمه الله : " دخلت على الله من أبواب الطاعات كلها ، فما دخلت من باب إلا رأيت عليه الزحام ، فلم أتمكن من الدخول حتى جئت باب الذل والافتقار ، فإذا هو أقرب باب إليه وأوسعه ولا مُزاحم فيه ولا مُعوّق ، فما هو إلا أن وضعت قدمي في عتبته ، فإذا هو سبحانه قد أخذ بيدي وأدخلني عليه " [٢].

(٥) أرباح غير مرئية :

قال ﷺ : " **ما من داع يدعو الله إلا أتاه بها إحدى ثلاث : إما أن يعجل له حاجته ، وإما أن يعطيه من الخير مثلها ، وإما أن يصرف عنه من الشر مثلها** " [٣].

فليس الخير دائماً كما تظن ، في إجابة سؤلك وتحقيق طلبك .

- **فربما** . . لم يجبك لكنك لا تعلم ما رده الدعاء عنك من بلاء ، وما جرى من تصارع بين البلاء النازل والدعاء الدافع انتهى بنجاتك ودفع الشر عنك ، فحمداً لله على سلامتك .
- **وربما** . . لم يجبك لأنه سبق في علمه أن كفة حسناتك لن ترجح يوم القيامة ، إلا أن يوزن فيها أجر دعائك المؤجل إلى الآخرة ، فإذا رأيت يوم القيامة أن ما أجبت فيه قد ذهب ، وما لم تجب فيه قد بقي ثوابه قلت : ليتك يا رب لم تجب لي دعوة قط !!
- **وربما** . . لم يجبك لسابق علمه أن الخير في صرف هذا المطلوب عنك ، فهو وحده المطلع على الغيب ولذا فهو الأدرى بما ينفعك ويصلحك ، فإن كان المطلوب مالاً

---

(١) رواه الحاكم عن ابن عباس وابن سعد عن النعمان بن بشير كما في ص ج ص رقم (١١٢٢) .

(٢) تهذيب مدارج السالكين ص (٢٢٩) .

(٣) رواه الترمذي عن عبادة بن الصامت رقم (٣٥٧٣) .

فلربما أطغاك وأفسدك ، وإن كان ولدا فلربما كبر عاقا فأعياك وأجهدك ، وإن كان عملا أو وظيفة فلربما فتحت لك بابا للحرام أرداك وضيعك ، فكم من محبوب في مكروه ومكروه في محبوب ولا يعلم ذلك إلا الله .

- **وربما** . . لم يجبك لأنك أدخلت الحرام في رزقك أو أسكنت شهوة في قلبك ، فيكون عدم الإجابة بمثابة لفت نظر لتصحح ما سبق وتستدرك ما فات .
- **وربما** . . لم يجبك لأنه أراد أن يصل حبالا قطعتها ووشائج هجرتها ، فألجأك إليه حتى يسمع همسك في الأسحار ويرى دمعك المدرار ، فيغسل ذنوبا لا يغسلها غير دموع الأسى على ما فات والندم على ما انقضى .

أليس هذا الذي قلناه هو ما أوجزه **ابن عطاء** في قوله :

" لا يكن تأخر أمد العطاء مع الإلحاح فى الدعاء موجباً ليأسك ، فهو قد ضمن لك الإجابة فيما يختاره لك لا فيما تختاره لنفسك ، وفي الوقت الذي يريد لا الوقت الذي تريد " (١).

الشروط الجزائية

من ترك الدعاء فقد :

(١) غضب الله عليه :

قال النبي ﷺ : " **من لم يسأل الله يغضب عليه** " (٢).

وهذا بعكس العبد الذي يغضب إن أثقلت كاهله بطلب أو شغلت وقته بسؤال ، وما أصدق قول القائل :

لا تسألن بُنَيّ آدم حاجة ... وسل الذي أبوابه لا تُحجَبِ
الله يغضب إن تركت سؤاله ... وبُنَيّ آدم حين يُسأل يغضبِ

فطن **يحيى بن معاذ** لهذا المعنى فتذلل به في دعائه قائلاً : " يا من يغضب على

---

(١) شرح الحكم (١ / ٧) .

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد رقم (٦٥٨) والترمذي رقم (٣٣٧٠) وهو حديث حسن .

من لا يسأله لا تمنع من قد سألك " [١].

(٢) ووكله إلى نفسه :

فقد أجمع الصالحون على أن الخير كله في أن يكلك الله إليه ، والهلاك كل الهلاك في أن يخلي بينك وبين نفسك ، وهي نفس عاجزة لا تملك من أمر نفسها فضلاً عن أمر غيرها شيئاً ، ظالمة تورد صاحبها المهالك وتلحق به المعايب ، جهولة لا تعرف ما يضرها وما ينفعها ، بل قد تعمل أعمالاً تظن أنها صلاح وهي عين الفساد بأن تتحرك في موضع السكون ، أو تسكن في موضع التحرك ، أو تقدم في موضع الإحجام ، أو تُحجم في موضع الإقدام ، فإذا علم المرء ذلك عن نفسه أدرك هول المحنة وعظم المصيبة إن لم يتداركه الله بعون ، فانطلقت صرخات استغاثته معلناً:

" اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني لنفسي طرفة عين ،
وأصلح لي شأني كله ، لا إله إلا أنت " [٢]

ليجد الرد من رب كريم جواد على شكل وحي حوى النذارة والبشارة معاً .

أوحى الله إلى داود عليه السلام : " **يا داود . . أما وعزتي وجلالي لا يستنصر بي عبد من عبادي دون خلقي ، أعلم ذلك من نيته ، فتكيده السماوات السبع ومن فيهن ، والأرضون السبع ومن فيهن ، إلا جعلت له بهن فرجاً ومخرجاً . . أما وعزتي وجلالي وعظمتي . . لا يستعصم عبد من عبادي بمخلوق دوني ، أعلم ذلك من نيته إلا قطعت أسباب السماء دونه ، ولا أبالي في أى واد هلك** " [٣].

وأنت تعلم جيداً أنه (لما طلب آدم الخلود في الجنة من جانب الشجرة عوقب بالخروج منها ، ولما طلب يوسف الخروج من السجن من جهة صاحب الرؤيا لبث في السجن بضع سنين) [٤].

---

(١) صفوة الصفوة (٤ / ٦٦) .
(٢) رواه أحمد وأبو داود وابن حبان عن أبي بكرة وحسنه الألباني ص ج ص رقم (٣٣٨٨) .
(٣) شرح الحكم (١ / ٢٤) .
(٤) الفوائد ص (٤٦) .

(٣) وصار أعجز الناس :

ليس هذا وصفنا له بل وصف الصادق المصدوق ﷺ حيث قال : " **وأعجز الناس من عجز عن الدعاء** " (١).

من مثلك يا ابن آدم . . خُلِّيَ بينك وبين ربك لا تلقى على بابه حاجباً ولا ترجماناً ، تدخل عليه في أي وقت تشاء فترفع حاجتك وتُقدّم مسألتك ، فإن قَيَّد الذنب رجليك عن دخول المسجد ، وكبّل النوم يديك عن رفع أكف الضراعة ، افتضح أمرك ووصل خبرك إلى رسول الله ﷺ ، فأطلق عليك وصف (أعجز الناس) غير ظالم لك أو متَجَنَّ عليك .

كريم إذا يممت بالصدق بابه ... فإنك لا تلقى على الباب حاجبا
وإن كنت ذا ذنب فتب منه واعتذر ... كأنك لم تذنب إذا جئت تائبا

تسهيلات الصفقة

سئل **علي بن أبي طالب** ﷺ : كم بين الأرض والسماء ؟ ، قال : " دعوة مستجابة " (٢)، ليست أميالا وكيلومترات بمقاييس المادة ، وإنما دعوة مجابة بمقاييس الإيمان ، ولكن ما هي شروط إجابة الدعاء ؟

(١) أشهر إفلاسك أولا :

لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين . .

صيحة استغاثة أطلقها **يونس** عليه السلام من أعماق قلبه الغارق في دياجي الظلم : ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل ، أطلقها وقد ملأته مشاعر الخوف والوحشة والوجل والرهبة ، وقد تملكته حالات التضرع والخضوع والتذلل والخضوع ولذا استجيب دعاؤه .

فإذا رددت هذه الكلمات دون أن تغمرك هذه الظلمات فما حظك من دعائك غير تحريك لسانك وتضييع أوقاتك ، ومعنى أن تغمرك أن تنبض كل نبضة من قلبك بمعاني

---

(١) رواه أبو يعلى عن أبي هريرة كما في ص ج ص رقم (١٥١٩) .

(٢) البيان والتبيين (٣ / ٢٧٤ ، ٢٧٥) .

الضعف والفقر والذل والحاجة ، وأن تشعر كما شعر نبي الله يونس أن أمواج محنتك محيطة بك من كل جانب توشك أن تغرقك ، إلا أن يتداركك الله برحمة منه وفضل ، وأن يبرز ذلك في كلامك واضحاً ، فإن كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه برز، وعندها تصل إلى شاطئ الأمان كما وصل ذو النون وعد الله في كتابه ﴿ **وكذلك ننجي المؤمنين** ﴾ [الأنبياء : ٨٨] .

هذا الإفلاس سبق وطلبه منك **ابن عطاء الله في قوله** :

" تحقّق بأوصافك يمدك بأوصافه ، تحقق بذُلّك يُمدّك بعزه ، تحقّق بعجزك يُمِدك بقدرته ، تحقق بضعفك يمدك بحوله وقوته " (١).

عزة الله يا سادة لا تتنزل على عزيز أو من يظن فى نفسه العزة ، بل على الأذلاء تُمطر ، وقوة الله لا يقطفها إلا من ارتقى أعلى قمم الضعف ، وقدرة الله لا تمنح لقادر أو من يظن فى نفسه القدرة بل لمن نشيده العجز ، ولذا كان **بديع الزمان سعيد الدين النورسى** يردد دائما :

(عجزي كنزي)

وهذا من علمه وفقهه ونفاذ بصيرته الإيمانية رحمه الله .

(٢) أحضر قلبك معك :

قال النبي ﷺ : " **واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلب غافل لاه** " (٢).

قال الإمام الرازي معلقاً :

" أجمعت الأمة على أن الدعاء اللساني الخالي من الطلب النفساني قليل النفع عديم الأثر " (٣)، بل يجزم **يحيى بن معاذ** بأن (من جمع الله عليه قلبه في الدعاء لم يرده) (٤).

ولحضور القلب مؤشرات وعلامات ، إذا ظهرت فهي فرصة سانحة فاغتنمها

---

(١) حكم ابن عطاء ص (٢١١) - ط دار الشعب .

(٢) رواه الترمذي والحاكم عن أبي هريرة وحسنه الألباني في ص ج ص رقم (٢٤٥) .

(٣) فيض القدير (١ / ٢٢٩) .

(٤) الفوائد ص (٦٢) .

ولا تضيعها وليلهج لسانك عندها بالدعاء فإنك مجاب بإذن الله .

قال **ثابت بن أسلم البناني** : وإني أعلم حين يستجيب لي ، فعجبوا من قوله وقالوا : تعلم حين يستجيب لك ربك ؟ ، قال : نعم ، قالوا : كيف تعلم ذلك ؟ ، قال : إذا وجل قلبي واقشعر جلدي وفاضت عيناي وفتح لي الدعاء فثم أعلم أن قد استجيب لي [(١)].

فإذا لم يجب دعاؤك فاسأل نفسك وواجهها : هل وجل قلبك ؟ هل اقشعر جلدك ؟ هل فاضت عيناك ؟ فإن كان الرد بالنفي ، فعلى نفسك جنت نفسك فألق باللائمة عليها فهي المستحقة للتهذيب والتأديب لا غيرها .

ونظراً لأن شجرة الإيمان واحدة ونبع التلقي لا يتغير ، فقد فهم هذا الفهم المؤمنون الصادقون رجالاً كانوا أم نساءً . .

قالت **أم الدرداء** رضي الله عنها : إنما الوجل في قلب ابن آدم كاحتراق السعفة أما تجد لها قشعريرة ؟ ، قال أحدهم : بلى ، قالت : فادع الله إذا وجدت ذلك فإن الدعاء يستجاب عند ذلك .

سهام الليل صائبة المرامي ... إذا وُترتْ بأوتار الخشوع
يُسَدِّدُها إلى المرمى رجالٌ ... يطيلون السجودَ مَع الرُّكوع
بألسنة تُهَمهِمُ من دعاء ... وأجفانٍ تَفيضُ مِن الدموع

(٣) قدِّم العمل الصالح :

إن غاب العمل الصالح لم يرتفع الدعاء فوق رأس صاحبه شبراً ، وإن حضر استجاب الله دعاءه قبل أن يغادر لسانه ، وتأمل معي في الأعمال التي يصل ثوابها إلى الميت بعد موته لترى فيها (**وولد صالح يدعو له**) ، فلولا صلاحه ما وصل دعاؤه وما حصل به نفع .

قال بعض السلف : " الدعاء بلا عمل كالقوس بلا وتر " [(٢)].

ولذا لما قال نفر **لأنس بن مالك** ﷺ : يا أبا حمزة ادع الله لنا ، قال :

(١) صفوة الصفوة (٣ / ١٤٨) .

(٢) نزهة المجالس ومنتخب النفائس ص (١٢٨) – عبد الرحمن الصوري الشافعي – ط المكتبة التوفيقية .

" الدعاء يرفعه العمل الصالح " [١].

فاسمع نصيحتي وجَرِّب أن تدعو عقيب دمعة من خشية الله ذرفتها ، أو صدقة في ظلام الليل بذلتها ، أو جرعة غيظ تحملتها وما أنفذتها ، أو حاجة مسلم سعيت فيها فقضيتها ، وستذهلك سرعة الإجابة ، فلا ينسينك فرحك بها اسم الفقير الذي أرشدك إلى هذه الوصية وأدِّ حقه عليك : اذكرني بدعوة .

(٤) كن على يقين من الإجابة :

قال النبي ﷺ : " **ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة** " [٢].

قال **المناوي** : " أي جازمون بالإجابة ، لأن الداعي إذا لم يكن جازما لم يكن رجاؤه صادقا ، وإذا لم يصدق الرجاء لم يخلص الدعاء ، إذ الرجاء هو الباعث على الطلب ، ولا يتحقق الفرع بدون تحقق الأصل ، ولأن الداعي إذا لم يدع ربه على يقين أنه يجيبه ، فعدم إجابته إما لعجز المدعو أو بخله أو عدم علمه بالابتهال ، وذلك كله على الحق - تقدس - محال " .

فإن اعتزلت الدعاء بحجة أنك مثقل بالآثام مكبل بالخطايا ، فأنى لمثلك أن يستجاب له ؟ سألناك وقلنا : أيهما خير أنت أم إبليس ؟! ولا تستغرب سؤالنا واسمع إلى **سفيان بن عيينة** حين يقول : " لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فقد أجاب الله دعاء شر الخلق إبليس إذ قال : ﴿ **رب فأنظرني إلى يوم يبعثون** ﴾ [الحجر : ٣٦] وهو شر منك " [٣]، قال : ﴿ **فإنك من المنظرين * إلى يوم الوقت المعلوم** ﴾ [الحجر : ٣٧ ، ٣٨] .

(٥) مر بالمعروف وانه عن المنكر :

قال النبي ﷺ : " **والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده ، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم** " [٤].

فمن لم يبر سهام دعائه بسكين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جاءت سهامه

---

(١) الزهد ص (٣٩٠) - عبد الله بن المبارك - ط دار ابن خلدون .

(٢) رواه الترمذي والحاكم عن أبي هريرة كما في ص ج ص رقم (٧٠٧) .

(٣) المستطرف ص (٥٤٠ ، ٥٤١) .

(٤) رواه أحمد والترمذي عن حذيفة ، وحسنه الألباني في ص ج ص رقم (٧٠٧٠) .

باردة وطاشت ، وليست السهام معيبة لكن العيب في الرامي ، ومرد ذلك أن الله تعالى خلق أهل المنكر يبتلي بهم أهل المعروف ، ويختبرهم ويبلو أخبارهم **﴿ وجعلنا بعضكم لبعض فتنة ﴾** [الفرقان : ٢٠] ، فإن تقدم الصالحون وبادروا فأمروا ونهوا فقد قدموا البرهان على امتلاء قلوبهم بالإيمان والغيرة على دين الله ، فيفرح الله بهم أيما فرح ، ويكافئهم على صنيعهم ، فيلبي رغباتهم ويقضي حاجاتهم ويحقق أمانيهم ويستجيب دعاءهم ، أما من سكت وتخارس وتعامى وتقاعد فهل يرجو مسيء مثل ثواب المحسنين؟! وهل يطمع بطال فى منازل الأبطال ؟! وهل يترقب كسول تسلم هدية الوصول ؟!

(٦) لا تستعجل :

قال النبي ﷺ : " **يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ، يقول : قد دعوت فلم يستجب لي** " (١).

ولا تزال مظنة الإجابة قائمة إلى أن يستعجل فعندئذ يغلق باب الإجابة ، والمستعجل (بمنزلة من بذر بذرة أو غرس غرساً فجعل يتعاهده ويسقيه فلما استبطأ كماله وإدراكه تركه وأهمله) (٢).

ولتأخير الإجابة حكم لا تخفى على شيخ الحكمة **أبى الفرج ابن الجوزي** الذي قال : " اعلم أن دعاء المؤمن لا يرد غير أنه قد يكون الأولى تأخير الإجابة ، أو يعوض بما هو أولى له عاجلاً أو آجلاً ، فينبغي للمؤمن أن لا يترك الطلب من ربه فإنه متعبد بالدعاء كما هو متعبد بالتسليم والتفويض " (٣).

فإذا نفد صبرك فأنت الخاسر . . أسأت الأدب مع الله فصرت أحد رجلين : إما منان وإما بخيل .

قال **ابن بطال** معلقاً على الحديث السابق : " المعنى أن يسأم فيترك الدعاء فيكون كالمانّ بدعائه ، أو أنه أتى من الدعاء ما يستحق الإجابة ، فيصير كالمبخل للرب

---

(١) رواه الشيخان وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة كما في ص ج ص (٨٠٨٥) .
(٢) الداء والدواء ص (٢٤) .
(٣) فتح الباري (١١ / ١٤٥) .

الكريم الذي لا تعجزه الإجابة ولا ينقصه العطاء " (١).

فلا يدبّن اليأس إلى قلبك إذا تأخرت الإجابة ، فإن حدث . . بدّده صوت الأمـــل ينبعث معلناً :

جدوا في الدعاء فإن من يكثر قرع الباب يوشك أن يفتح له . .

أخي القارئ نأسف لهذا الخطأ المطبعي السابق ، فمن قال إن الباب مغلق حتـــى يحتاج أحدٌ إلى فتحه ؟!

كان **صالح المُرّي** يقول كثيراً : من أدمن قرع باب يوشك أن يفتح له ، فقالت له **رابعة** : إلى متى تقول هذا ؟ متى أُغلق الباب حتى ينفتح ؟ ، فقال صالح : شـــيخ جـــهل وامرأة علمت (٢).

٧) جدّد توبتك :

تشكل ذنوب العبد سداً منيعاً يقف حائلاً دون إنفاذ دعائه ، ولا يستبطئن أحدٌ إجابة دعائه وقد سدّ طرقاتها بالذنوب ، فإذا تخلص منها بتوبة أو غسلها بدمعة أو أحرقها بنـــدم هُدم الجدار، ووصلت رسائله مباشرة وجاءه الرد والإجابة .

ويعجب المرء من قوم يعصون المغيث ويســتغيثون بـــه ، يبـــارزون المعيـــن ويطلبون منه ، يكفر أحدهم بنعمة ربه ليلاً ويصبح وقد طلب المزيد ، ما هذا الإحســـاس البارد بل ما هذه الجرأة العجيبة ؟!

روى **ابن قدامة** في كتاب التوابين أنه لحق بنـــي إســـرائيل قحـــط علـــى عـــهد **موسى** عليه السلام ، فاجتمع الناس إليه فقالوا : يا كليم الله ادع الله لنا أن يسقينا الغيـــث ، فقـــام معهم وخرجوا إلى الصحراء وهم سبعون ألفاً أو يزيدون ، فقال موســـى عليه السلام : إلـــهي اسقنا غيثك وانشر علينا رحمتك ، وارحمنا بالأطفال الرضع والبـــهائم الرتـــع والمشـــايخ الركع ، فما زادت السماء إلا تقشعاً والشمس إلا حرارة ، فأوحى الله إليـــه : فيكـــم عبـــد يبارزني منذ أربعين سنة بالمعاصي فنادِ في الناس حتى يخرج من بيـــن أظـــهركم فبـــه منعتكم ، فقال موسى : إلهي وسيدي عبد ضعيف وصوتي ضعيف فأين يبلغ وهم ســـبعون

---

(١) السابق .

(٢) الرسالة القشيرية ص (٢٦٨) - ط دار الخير .

ألفاً أو يزيدون ، فأوحى الله إليه : منك النداء ومني البلاغ ، فقام منادياً وقال : يـــا أيــها العبد الذي يبارز الله منذ أربعين سنة ، اخرج من بين أظهرنا فبك منعنا المطـــر ، فقــام العبد العاصي فنظر ذات اليمين وذات الشمال فلم ير أحداً خرج ، فعلم أنه المطلوب فقــال في نفسه : إن أنا خرجت من بين هذا الخلق افتضحت على رؤوس بني إســـرائيل ، وإن قعدت معهم منعوا لأجلي ، فأدخل رأسه في ثيابه نادماً على فعاله وقال : إلــهي وســيدي عصيتك أربعين سنة وأمهلتني ، وقد أتيتك طائعاً فاقبلني ، فلم يستتم الكلام حتى ارتفعــت سحابة بيضاء فأمطرت كأفواه القرب ، فقال موسى : إلهي وسيدي بماذا سقيتنا وما خــرج من بين أظهرنا أحد ؟! فقال : يا موسى سقيتكم بالذي منعتكم به ، فقال موســى : إلــهي أرني هذا العبد الطائع ، فقال : يا موسى إني لم أفضحه وهو يعصيني أأفضحــه وهــو يطيعني [(١)].

٨) اشهد مجالس الخير :

فإن الله يستجيب دعاء شاهد مجالس الخير ويغفر له ببركة جلوسه معهم ، فيقـول لملائكته : " **فأشهدكم أني قد غفرت لهم** " ، فيقول ملك من الملائكة : " فيهم فلان ليــس منهم ، إنما جاء لحاجة " ، فيقول : " **هم القوم لا يشقى بهم جليسهم** " [(٢)].

فتأمل حفظك الله كيف أجاب الله دعاء هذا الرجل وغفر ذنبه ببركة مجالسة أهـل الإيمان حتى وإن كان جلوسه معهم طمعاً في مال ، أو رغبة في إنفاذ مصلحة ، أو نزولاً على رغبة صديق ملحاح لم يجد مفراً من إجابته .

الملك العظيم إذا نزل عليه ضيوف أكرمهم غاية الإكرام فأسكنهم قصره ، وقـدّم لهم ما لذ وطاب من الطعام والشراب ، وهيّأ لهم سبل الراحة النعيم ، ثم أمر بدوابــهم أن تعلف وتوضع في الحظيرة الملكية ، فأُكرمت البهائم بسبب الصحبــة ، ونعمــت بــالزاد والمبيت بسبب الرفقة ، وفي هذا إشارة لك:

ارتد ثياب الصالحين تحسب منهم ، وزاحم بمنكبيك مجالسهم تُرحم بسببهم ، عفواً فلست أحقر من بهيم ، وربك حاشاه ليس الملك أكرم منه .

---

(١) كتاب التوابين ص (٥٦ ، ٥٧) بتصرف – ابن قدامة المقدسي – ط دار المنار ومكتبة فياض .

(٢) رواه الشيخان وأحمد عن أبي هريرة كما في ص ج ص رقم (٢١٧٣) .

(٩) تأدّب :

كان بعض السلف يقول : إن استطعت أن لا تحك رأسك إلا بأثر فافعل ، فالخير كله في اتباع سنة النبي ﷺ والتأدب بآدابه ، ومن ضمنها آداب الدعاء والتي نوجزها فيما يلي :

ادعُ الله وأنت على طهارة مستقبلاً القبلة ، رافعاً يديك حذو منكبيك حتى يرى بياض إبطيك ، وابدأ الدعاء بحمد الله والثناء عليه بما هو أهله ، ثم الصلاة على النبي ﷺ ، وكرر دعاءك ثلاثاً ، وألح فيه ، ولا تدع بإثم ولا قطيعة رحم ، ولا بأمر قد فُرغ منه ، ولا بمستحيل وقوعه ، واسأل الله بعزم فلا تقل : اللهم اغفر لي إن شئت أو أدخلني الجنة إن شئت ، وتجنب السجع في الدعاء والتكلف فيه ، وليكن صوتك فيه بين المخافتة والجهر ، واحرص على جوامع الدعاء من القرآن الكريم ومن السنة المطهرة فهو أرجى للإجابة ، واختم بالصلاة على النبي ﷺ كما بدأت ، وانتظر بعد ذلك الإجابة فهي أقرب إليك مما تظن .

(١٠) كن من هؤلاء :

يستجيب الله للمضطر إذا دعاه ، وللمظلوم ولو كان فاجراً أو كافراً ، ولمن يدعو لأخيه بظهر الغيب وللوالدين على ولدهما وللإمام العادل وللمسافر حتى يرجع وللمريض حتى يبرأ ، وللصائم حتى يفطر ، فإذا استطعت أن تكون واحداً من هؤلاء فافعل .

(١١) أدمن أكل الحلال :

لأن (مثل المجتهد في الدعاء مع الاغتذاء بالحرام كمثل الرامي بالسهام في هدف من رخام) [١]، ولقد ذكر النبي ﷺ (الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغُذّي بالحرام فأنى يستجاب له) [٢].

---

(١) التذكرة في الوعظ ص (٢١٩ ، ٢٢٠) - ابن الجوزي - ط دار ابن خلدون .

(٢) رواه مسلم في الزكاة رقم (١٠١٥) ، والترمذي في التفسير رقم (٢٩٩٢) عن أبي هريرة .

أشبّهُ من يتُوبُ عَلى حرامٍ — كبيضٍ فاسد تحت الحَمَام
يطول عَناؤه في غير شُغْلٍ — وآخِرهُ يَقوم بِلا تَمام
إذا كان المُقامُ عَلى حَرامٍ — فلا مَعنى لتطويلِ القِيام

وهي وصية النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : " **يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة** " ، والذي نعلمه من خلال كتب السير أن سعداً نفذ الوصية فكان رضي الله عنه لا ترد له دعوة .

شكا أهل الكوفة **سعد بن أبي وقاص** رضي الله عنه إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فأرسل عمر رجلاً إلى الكوفة يسأل عنه فلم يترك مسجداً إلا سأل عنه ويثنون معروفاً ، حتى دخل مسجداً لبنى عبس فقام رجل منهم يقال له **أسامة بن قتادة** ويكنى **أبا سعدة** فقال : أما إذ نشدتنا - أي طلبت منا الشهادة - فإن سعداً لا يسير بالسرية ولا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية ، فقال سعد : أما والله لأدعون بثلاث : " اللهم إن كان عبدك هذا كاذباً قام رياء وسمعة ، فأطل عمره وعرضه للفتن ". قال **عبد الملك بن عمير** راوي الواقعة : فأنا رأيته يتعرض للإماء في السكك بعد أن سقط حاجباه على عينيه من الكبر ، فإذا قيل له : كيف أنت يا أبا سعدة ؟ قال : " كبير مفتون أصابتني دعوة سعد " (١).

وقد تشدد سلفنا الصالح في التحذير من أكل الحرام ومصاحبة أهله ، وما هو في حقيقته بتشدد ولكنها حياة قلوبهم أرتهم الذنوب على حقيقتها دون تزيين ، وموت قلوبنا صيَّر عيوننا حولاء .

قال واعظ الدنيا في زمانه **أبو الفرج ابن الجوزي** : " من الحرام يتولد عمى البصيرة وظلام السريرة ، فاكسب مالاً حلالاً ، وأنفق في قصد واجتنب الحرام في أهله ؛ ولا تجالسهم ، ولا تأكل طعامهم ، ولا تصحب من كسبه من الحرام إن كنت صادقاً في وعدك ، ولا تضيفن أحداً على الحرام فيأكله هو وتحاسب أنت عليه ، ولا تعنه أيضاً على طلبه فإن المعين شريك ، واعلم أنما يتقبل الله من الأعمال من أكل الحلال " (٢).

وأشكال الحرام كثيرة منها :

---

(١) كتاب مجابي الدعوة ص (٤٤ ، ٤٥) - أبو بكر بن أبي الدنيا - ط مؤسسة الرسالة .
(٢) بحر الدموع ص (١٨٠) - ابن الجوزي - ط دار الصحابة .

أكل الربا والرشوة والاختلاس والغصب والغش ، والاتجار في المحرمات وأكـل مال اليتيم والقمار ، وغير ذلك من صور أكل أموال الناس بالباطل .

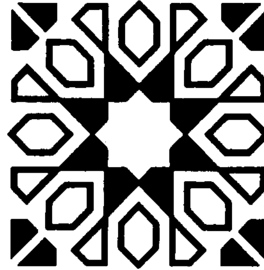
أعاذنا الله وإياكم من أكل الحرام ليس فقط لنكون مجابي الدعـوات ، لكـن لأن الرسول ﷺ يخبرنا في كلمات قصار وقعها مخيف وجرسها عنيف أن :

" **كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به** " (١).

(١٢) تخير وقت الطلب :

إن كان من توفيق الله لك أن يقيمك بين يديه ، ويقذف فيك روح الإقبـال عليـه لتدعوه وتناجيه ، فإن كمال التوفيق يتمثل في معرفة الأوقات التي تُوزَّع فيـها الأربـاح بالجملة ، وتتنزل فيها البركات والرحمة :

كيوم عرفة من أيام السنة ، وشهر رمضان من بين الأشـهر ، ووقـت السـحر من ساعات الليل ، كما يُجاب الدعاء أيضـاً بيـن الأذان والإقامـة ، ودبـر الصلـوات المكتوبات ، وأثناء السجود ، وعند صعود الإمام المنبر يوم الجمعة ، وآخر سـاعة مـن نهار ذلك اليوم ، وأثناء شرب ماء زمزم ، وعند سماع صوت الديك ، وعنـد التحـام الصفوف في القتال ، وعند نزول الغيث .



---

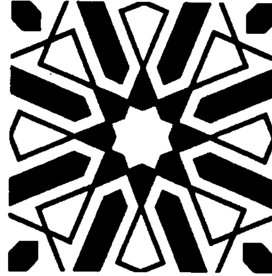
(١) رواه الطبراني وأبو نعيم عن أبي بكر ، والدارمي وأحمد والحاكم عن جابر في ص ج ص رقم (٤٥١٩) .

عند التسليم

تحفة شوكانية :

عدد محمد بن على بن محمد الشوكاني علامات استجابة الدعاء وجاد لنا بذكرها فقال :

" علامة استجابة الدعاء : الخشية والبكاء والقشعريرة ، وربما تحصل الرعدة والغشي والغيبة ، ويكون عقيبه سكون القلب ، وبرد الجأش وظهور النشاط باطنا والخفة ظاهرا ، حتى يظن الداعي أنه كان على كتفيه حملة ثقيلة فوضعها عنه ، وحينئذ . . لا يغفل عن التوجه والإقبال والصدقة والإفضال والحمد والابتهال ، وأن يقول : الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات " (١).



(١) تحفة الذاكرين ص (٥٨) - محمد بن علي بن محمد الشوكاني - ط دار الكتب العلمية .

استراحة

تزود ثم انطلق . .

▪ النفس والشيطان والهوى أعداؤكم فأعلنوا الحرب عليهم **﴿ وليجدوا فيكم غلظة ﴾** [التوبة : ١٢٣]، ولا تلقوا سلاحكم **﴿ حتى تضع الحرب أوزارها ﴾** [محمد : ٤] ، ودّ أعداؤكم **﴿ لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ﴾** [النساء : ١٠٢] ، ولا تقعد بكم الجراح عن المواصلة فإنها علامة المجاهدة ، وحذار من المهادنة فإنها دليل الذل **﴿ فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون ﴾** [محمد : ٣٥] .

▪ تذكروا نعم الله عليكم **﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم ﴾** [البقرة : ٢٣٧] ، وإذا التفتُّم إلى الدنيا **﴿ فلا تميلوا كل الميل ﴾** [النساء : ١٢٩] . . ألزموا نفوسكم حدودها ، وقيِّدوا شرودها **﴿ واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن ﴾** [النساء : ٣٤] ، وداوموا على النصح **﴿ فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً ﴾** [النساء : ٣٤] .

▪ عقارب ساعتك عقارب .. تلدغ وقت ملئها بالذنوب وتأمن شرها عند ملئها بالطاعات ، وتكون منها على حذر وقت الفراغ، عقرب الثواني يحذر من التواني، وعقرب الدقائق يشهد على الذنوب الدقائق، وعقرب الساعات كلما قطع في مشواره ساعة قطع من عمرك ساعة .

▪ هل سمعت قط عن عبد شهوة استمتع بخلوة ؟ أو استأنس بطاعة ؟ أو التذّ بمناجاة ؟ الشهوة امرأة ولمسها بدون حائل ينقض الوضوء ، فكيف تصح بعدها الصلاة ؟

▪ مثل من انشغل عن أداء الفرائض ، مثل من هش الذباب من على وجهه وترك الثعابين تحت أقدامه ليجد القبر قدامه ، أو كمن سفك دم الحسين وسأل عن حكم دم البراغيث . . أغثنا يا مغيث .

▪ إذا أجهدت نفسك بطاعة فأعطها راحة ، فإن الله تعالى قال : ﴿ **ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف** ﴾ [البقرة : ٢٢٨] ، إن كسلت عن قيام الليل فليس أقل من استحضار نيته ، إن لم تطلق يدك للصدقة فاكففها عن الظلم ، إن لم تشغل لسانك بالذكر فاحبسه عن الغيبة ، إن لم تكن شمس هداية فليس أقل من قمر اهتداء ، إذا لم تكن **أبا عبيدة** فلا تكن أباه ، وإذا لم تشبه **مصعباً** فلا تشبه أخاه . . لك في المباح متسع فلماذا الحرام ؟!

▪ من عجيب الأمر أنك تقدم حسن الجوار لجيران سكن ، وتؤذي جيراناً ليس بينك وبينهم حائل ولا جدار ﴿ **وإن عليكم لحافظين ۞ كراماً كاتبين** ﴾ [الانفطار : ١٠ — ١١] ، إخواني . . لا تنفروا الحفظة منكم بكثرة ذنوبكم وقبيح فعلكم فإن الملائكة لا تطيق رائحة الذنوب .

▪ من الغريب أن الذي يخاف هو الذي يعمل ، والذي يأمن هو الكسلان ، الأول وسامه : ﴿ **وقلوبهم وجلة** ﴾ [المؤمنون : ٦٠] ، والثاني عاره : ﴿ **زين له سوء عمله فرآه حسناً** ﴾ [فاطر : ٨] ، وعند شم الرائحة يبين الفرق . .

واعجباً . . خاف **عمر** النفاق وهو المبشر بالجنة ، وأمنه **ابن أُبَيّ** وقد حجز مكانه سلفاً في الدرك الأسفل من النار ! !

▪ كان السلف يوصون : اتخذ صاحباً يحصي عليك ، فبدّل الخلف وقالوا : انصحوا غيرنا وارحلوا من هنا ، والنتيجة : تراكم العيوب واتساع الخروق وغرق السفينة ، كانت المعصية عندهم شذوذاً وأصبحت عندنا قاعدة ، ولا يجمعنا بهم سوى الوضوح ، فبقعة سوداء في الثوب الأبيض كبقعة بيضاء في الثوب الأسود .

▪ إذا أعجبتك البضاعة فاشتر ، وإن راقت لك الصحبة فالحق بها ، فإن تأخرت عن سوق أرباحنا حتى قالوا : تخلّف فلان ، قلنا : إن علم الله فيه خيراً ألحقه بنا وإن يك غير

ذلك فقد أراحنا الله منه ، ثم أوصيناك بقراءة الفاضحة [1] ، قبل سماع أعذارك عند الرجوع .

- إذا أظلم قلبك بذنب تسلل إليه شيطان دون أن تلمحه ، وإذا أضاء بطاعة توارى لأن السارق لا يظهر في الليلة المقمرة ، إذا سرق شيطانك شيئاً من إيمانك فأعدّ نفسك غدا لتمثل للمساءلة ، فأنت شريكه في الجريمة .

- كل إنسان يرى في منامه الأحوال التي ألفها سائر يومه ، فإن قضى يومه في التجارة رأى في منامه أحوال التجارة والتجار ، وإن قضى يومه في العلم رأى منامه أحوال العلماء والمتعلمين ، وسكرات الموت تشبه النوم فطول إلف المعصية يفرض تذكرها عند الموت والتعلق بها ، فإن قبضت روحه هذه الساعة ختم له بسوء ، وكذلك الأمر بالنسبة للطاعة سواء بسواء ، فحدّد لنفسك نوع أحلامك من الآن أو بالأحرى نوع خاتمتك .

- يا من كلما نقص أجله زاد كسله ، وكلما قرب من القبور قوى عنده الفتور ، اسمع يا مصاب . . لو فقدت أحد أقاربك وشيعته إلى قبره لعمّك الحزن وذرفت عليه الدموع ، وأنت تفقد كل يوم طاعة ، وتُشيع كل ساعة أكواماً من الأجر والثواب ، فأين البكاء يا صاحب المصيبة ؟! وأين الوجيعة يا صاحب الفجيعة ؟!

- لو سافرت سفراً ولم ترجع منه بربح لبكيت فوات أرباحك وضياع أوقاتك ، ورحلتك في صفحات هذا الكتاب سفر إن لم ترجع منه بربح فابك ثواباً ضاع منك وجنة أوشكت أن تفلت من يديك ، إن لم يكن في الأسفار ربح فمن الحمق تكبد مشاقها ، إن لم تنفعك كلمات الكتاب فلماذا أنفقت فيه وقتك ومالك ؟!

- جامع العلم والعمل كمتحدث الفصحى في قريش ، وجامع العلم طارح العمل

---

(١) اسم من أسماء سورة التوبة ، وسميت بذلك لأنها فضحت المنافقين .

كالأعجمي يملي على العربي ، لا العربي يكتب ولا الأعجمي يُبين ، وما لا يُسجَّل في الكتاب لا يوزن في الميزان .

- المُسوِّف مرعاد مبراق بغير مطر ، قعقعة بلا طحن ، جعجعة بلا عمل ، فلو ارتقى سلم عزيمة لخرج من مضيق الأقوال إلى ساحات الأفعال **﴿ ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم ﴾** [التوبة : ٤٦] .

- ليس العجب في اشتياق بشر إلى الجنة ، لكن العجب كل العجب في اشتياق الجنة إلى بشر ، أناس سمت أرواحهم وزكت سرائرهم حتى صاروا جزءاً من الجنة هبط إلى الأرض ، فلا تسكن الجنة ولا تقر إلا أن يرجع الفرع إلى الأصل ، لأن ألذ الأشواق ما كان بالتبادل **(ثلاثة تشتاق لهم الجنة : علي وسلمان وعمار)** (١).

- إذا انتفعت بالكتاب وعملت بما جاء فيه فهذا علامة الحياة ، وإلا فأعطه لمن فيه الرمق ، ولا تمسكه عندك إلى أن يعلوه التراب . . ألم تقرأ **﴿ فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ﴾** [البقرة : ٢٢٩] . .

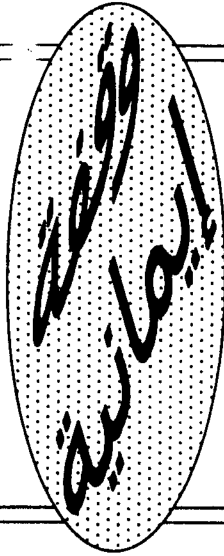
يا أخانا . . ليس من شيم الكرام إمساك الخير عن الجيران **﴿ ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا ﴾** [البقرة : ٢٣١] .



(١) رواه الترمذي والحاكم عن أنس ، وحسنه الألباني في ص ج ص رقم (١٥٩٤) .

الصفقة الخامسة

دقائق الليل غالية



سلّ المجاهدون خنجر الخوف، فذبحوا به كبش الكسل، ففزع النوم وطار، ودوّى في أسماعهم صوت الحق: (هل من داع)، فلبوا النداء، واستنشقت أنوفهم عبير الجنة، حملته رياح الأسحار، فاشتد الشوق وقوي العزم، ونصبت الأقدام وهطلت الدموع، إلى أن انتهى زمن الزيارة، وحان وقت الفراق، وآذن الأنس بالرحيل.. طلع الفجر.

قبل التنفيذ

لأنه مهم :

- فقد كان النبي ﷺ إذا فاته ورده من قيام الليل قضاه نهاراً ، فصلى اثنتي عشرة ركعة .

- وكان رسول الله ﷺ لا يترك قيام الليل في صحة أو مرض ، فإن مرض أو كسل صلى قاعداً .

- وكان رسول الله ﷺ يوقظ أهله ليشهدوا هذا الخير ، فيمر على ابنته فاطمة وزوجها علي رضي الله عنه ويطرق بابهما ليلاً ، ويتعجب من إيثارهما النوم على القيام قائلاً لهما : **" ألا تصليان ؟! "** .

- وكان رسول الله ﷺ إذا سمع الصارخ (الديك) وثب ، ليصرخ هو بدوره في الناس ، يترجم صرخة الديك إلى لغتهم قائلاً : **" أيها الناس جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاءكم الموت بما فيه "** .

أرباح الصفقة

كان **أبو الحسن سريّ بن المغلِّس السقطي** يقول: " رأيت الفوائد ترد في ظلم الليل" [1]، ومن هذه الفوائد التي رآها سريّ :

(١) لطائف المعارف ص (١٠٩) .

(١) دخول الجنة :

أوصى النبي ﷺ أبا هريرة قائلاً له : " **أطب الكلام ، وأطعم الطعام ، وصل الأرحام ، وصلِّ بالليل والناس نيام ، ثم ادخل الجنة بسلام** " [١].

وفي وصف تفصيلي للغرف المعدة لاستقبال رهبان الليل يقول النبي ﷺ : " **إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها ، أعدَّها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام** " [٢].

(٢) أفضل أنواع الصلاة :

وذلك لقوله ﷺ : " **أفضل الصلاة بعد المكتوبة الصلاة في جوف الليل** " [٣].

وصلاة الليل أفضل من صلاة النهار . . عقد المقارنة بينهما **عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه ثم أخبرنا بما وصل إليه قائلاً : " فضل صلاة الليل على النهار كفضل صدقة السر على العلن " [٤]، بل يذهب **عمرو بن العاص** رضي الله عنه إلى أن (ركعة بالليل خير من عشر بالنهار) [٥]، وإنما فضلت صلاة الليل على صلاة النهار لأنها أبلغ في الإسرار وأقرب إلى الإخلاص .

(٣) نيل حب الله :

يقول النبي ﷺ : " **ثلاثة يحبهم الله ويضحك إليهم ويستبشر بهم : الذي إذا انكشفت فئة قاتل وراءها بنفسه لله عز وجل ، فإما أن يقتل وإما أن ينصره الله ويكفيه ، فيقول انظروا إلى عبدي هذا كيف صبر لي بنفسه ؟ والذي كان له امرأة**

---

(١) رواه ابن حبان وأبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة كما في ص ج ص رقم (١٠١٩) .

(٢) رواه أحمد وابن حبان والبيهقي في الشعب عن أبي مالك الأشعري والترمذي عن علي كما في ص ج ص رقم (١٢٣) .

(٣) رواه مسلم والنسائي وابن ماجة والترمذي عن أبي هريرة كما في ص ج ص رقم (١١١٦) .

(٤) الزهد لابن المبارك ص (٢٢٦) ، وأخرجه أبو نعيم في الحلية ورمز له الطبراني بالحسن .

(٥) لطائف المعارف ص (٩٣) .

حسنة وفراش لين حسن فيقوم من الليل ، فيقول يذر شهوته ويذكرني ولو شاء رقد ، والذي إذا كان في سفر وكان معه ركب فسهروا ثم صحوا فقام من السحر في ضراء وسراء " (١).

فانظر إلى هذه البشارة النبوية . . اثنان من الذين يضحك الله إليهم من قوَّام الليل تركوا النساء والمائدة ليرتلوا النساء والمائدة ، وحطمت أرواحهم أسوار الجسد لتحلق عالياً مع الملائكة السيارة حول العرش ، في إخاء إيماني بديع وسمو روحاني رفيع ، فأجسادهم بشرية ، وأرواحهم ملائكية ، بعثوها رسائل إلى الله في الخفاء ، مدادها الدموع وسائقها الخشوع ، فأتاهم الربح سريعاً من رب كريم عظيم الأفضال : " **يحبهم الله** " .

٤) علامة حب وبشارة رحمة :

علامة حب . . دخل **السري السقطي** سوق النخاسين قال : فرأيت جارية ينادى عليها بالبراءة من العيوب فاشتراها بعشرة دنانير ، فلما انصرفت بها أى إلى المنزل عرضت عليها الطعام ، فقالت لى : والله يا سيدى ما رأيت أحدا فى دارنا أكل نهارا قط ، قال : فخرجت ، فلما كان العشاء أتيتها بطعام فأكلت منه قليلاً ، ثم قالت : يا مولاي بقيت لك خدمة ؟ قلت : لا . قالت : دعني لخدمة مولاى الأكبر ، قلت : أي وكرامة ، فانصرفت إلى بيت تصلي فيه ، وصليت أنا العشاء الآخرة ورقدت ، فلما مضى من الليل الثلث ضربت الباب عليّ ، فقلت لها : ماذا تريدين ؟ قالت : يامولاي أما لك حظ من الليل ؟ قلت : لا ، فمضت ، فلما مضى النصف منه ضربت عليّ الباب وقالت : يا مولاي ، قام المتهجدون إلى وردهم ، قلت : يا جارية .. أنا بالليل خشبة وبالنهار جلبة ، فلما بقي من الليل الثلث الأخير : ضربت عليّ الباب ضربا عنيفا ، وقالت : أما دعاك الشوق إلى مناجاة الملك ، قم لنفسك وخذ مكانا فقد سبقك الخُدّام ، فهاج مني كلامها خاطرا ، وقمت فأسبغت الوضوء وركعت ركعات ، ثم تحسست إليها فوجدتها ساجدة وهى تقول: بحبك لى إلا غفرت لى ، فقلت لها : يا جارية ومن أين علمت أنه يحبك ؟ قالت : لولا محبته ما أنامك وأقامني ، فقلت : اذهبي فأنت حرة لوجه الله العظيم ، فدعت ثم خرجت

---

(١) رواه الطبراني في الكبير وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم (٦٢٥) .

وهي تقول : هذا العتق الأصغر بقى العتق الأكبر [١].

بشارة رحمة . . قال النبي ﷺ : " **رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته ، فإن أبت نضح في وجهها الماء ، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها ، فإن أبى نضحت في وجهه الماء** " [٢].

قال **المناوي** : " فقوله رحم الله رجلاً تنبيه للأمة بمنزلة رش الماء على الوجه لإيقاظ النائم ، وذلك أن المصطفى ﷺ لما قال ما قال بالتهجد من الكرامة ، أراد أن يحصل لأمته حظ من ذلك وحثهم عليه عادلاً عن صيغة الأمر للتلطف "[٣].

فهل أحسست ببرد الماء الذي نثره رسول الله ﷺ على وجهك ؟ أم أن نوم أصحاب الكهف راق في عينيك فغرقت فيه ؟ وامتثل **أبو هريرة** ﷺ هذا الأمر فكان (يقوم ثلث الليل ، وتقوم امرأته ثلث الليل ، ويقوم ابنه ثلث الليل ، إذا نام هذا قام هذا) [٤].

(٥) عقد زواج :

إذا قام المتهجد إلى تهجده فقد قام إلى مخطوبته ، فإذا دخل إلى الصلاة فقد شرع في إعداد المهر ، فإذا فرغ فقد استوفاه ، ولا يزال في شوق إلى إتمام العقد حتى يقترب الموعد ويأذن الله ، وعندها يلذ اللقاء ويطيب العناق ، على فرش بطائنها من إستبرق ولسان المفهم يقول : ﴿ **هل جزاء الإحسان إلا الإحسان** ﴾ [الرحمن : ٦٠] .

نام **أبو سليمان الداراني فأيقظته** حوراء وقالت : " يا أبا سليمان تنام وأنا أُربى لك في الخدور منذ خمسمائة عام " [٥]، ويحكي عن **مالك بن دينار** تجربته قائلاً : سهرت ليلة عن وردي ونمت ، فإذا أنا في المنام بجارية كأحسن ما يكون ، في يدها رقعة فقالت لي : أتحسن تقرأ ؟ ، فقلت : نعم ، فدفعت إلى رقعة فإذا فيها :

---

(١) الصلاة والتهجد لابن الخراط ص (٣٩٢) .

(٢) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وأحمد وابن خزيمة عن أبي هريرة كما في ص ج ص رقم (٣٤٨٨) .

(٣) فيض القدير (٤ / ٢٥-٢٦) .

(٤) الزهد لأحمد ص (٢٢١) .

(٥) لطائف المعارف ص (١١٠) .

ءألهتكَ اللّذائذُ والأماني عن البِيْضِ الأوَانِسِ في الجِنَانِ
تَعيش مُخلّداً لا موت فيه وتلهو في الجنان مع الحسان
تَنَبَّهْ من منامك إنَّ خيراً مِنَ النَّوم التهجُّد بالقُرآنِ

(٦) **وقاية من النار**:

عن **عبد الله بن عمر** رضي الله عنه: " كان الرجل في حياة النبي ﷺ إذا رأى رؤيا قصها على رسول الله ﷺ، فتمنيت أن أرى رؤيا فأقصها على رسول الله ﷺ، وكنت غلاماً شاباً وكنت أبيت في المسجد على عهد الرسول ﷺ، فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطيِّ البئر وإذا لها قرنان، وإذا فيها أناس قد عرفتهم فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار، قال: فلقينا ملك آخر فقال لي: لم تُراع، فقصصتها على **حفصة** فقصتها على رسول الله ﷺ، فقال: **نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل**، فكان بعد لا ينام من الليل إلا قليلاً ".

قال **القرطبي**: " إنما فسّر الشارع من رؤيا عبد الله ما هو ممدوح لأنه عُرض على النار ثم عوفي منها، وقيل: لا روع عليك، وذلك لصلاحه غير أنه لم يكن يقوم من الليل، فحصل لعبد الله من ذلك تنبيه على أن قيام الليل مما تتقى به النار والدنو منها، فلذلك لم يترك قيام الليل بعد ذلك "[1].

(٧) **الفائدة الخماسية**:

قيام الليل شعار الصالحين، وعلامتهم المسجلة بها يعرفون ويميزون، أو هو عنوان أخوتهم الإيمانية والحبل الوثيق الذي يربطهم جيلاً بعد جيل، أو هو روضتهم الزاهرة وفردوسهم المنشود وواحتهم الريانة على مر العصور والأزمان (**دأب الصالحين قبلكم**)، امتطوا صهوته ليكون مركب الوصول بهم إلى أرض الأجر والثواب فازدادوا بذلك (**قربة إلى الله**)، وزرع الوجل في قلوبهم من ذنوب اقترفوها أو آثام ولغوا فيها فحصدوا ما زرعوا (**تكفير للسيئات**)، وأورثهم الحياء من زلل يعرض أو معصية

---

(١) فتح الباري (٣ / ١٠).

تلوح ، فالعين التي بكت من خشية الله كيف تلتذ بنظر محرم ؟! واللسان الذي رتل وسبح واستغفر كيف يتحول لساناً يغتاب ويكذب وينمّ ؟! والجسد الذي هوى ساجداً لله كيف يهوي ساجداً لملذاته وشهواته ؟! ويظل هذا الحياء ينمو إلى أن يصير إرادة نافذة وسلطة قادرة تشكل في مجملها (**منهاة عن الإثم**) ، وبتكفير ما مضى والعصمة فيما بقى تبرأ الروح ، وإذا برئت الروح انتقلت العدوى إلى الجسد فبرء كما برء جاره من قبل ، أو إن شئت قل : لما برئت الروح كرَّم الله الجسد الذي يحملها لأجلها وعافاه لطهرها ، فلم يصبه داء ولم يمسسه ضر (**مطردة للداء عن الجسد**) .

أجمل النبي ﷺ هذه الفوائد في قوله : " **عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وقربة إلى الله عز وجل ، ومنهاة عن الإثم ، وتكفير للسيئات ، ومطردة للداء عن الجسد** " (١).

(٨) جبر الكسر :

قيام الليل يجبر كسر الفريضة ويستدرك التقصير فيها ، وهو لا بد حاصل من تضييع خشوع أو سهو أو تأخير وقت وغير ذلك مما لا يكاد يسلم منه أحد .

قال رسول الله ﷺ : " **إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة ، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح ، وإن فسدت فقد خاب وخسر ، وإن انتقص من فريضة قال الرب : انظروا هل لعبدي من تطوع ؟ فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله بعد ذلك** " (٢).

(٩) اختر اليقظة أو القنوت أو القناطير :

رحمات الله قريبة قريبة في متناول يدك تطلب إليك قطفها، قيام الليل بعشر آيات فحسب كاف ليخلع عنك ثوب الغفلة ، فإن واصلت إلى المائة ألبسك ثوب القانتين ، فإن ذقت حلاوة الوصال فأتممت الألف خلع عليك خلع المقنطرين . . سبحانه ما أعظم

---

(١) رواه الترمذي والبهقي والحاكم في المستدرك عن بلال ، وابن عساكر عن أبي الدرداء كما في ص ج ص رقم (٣٩٥٨) .

(٢) رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة عن أبي هريرة كما في ص ج ص رقم (٢٠٢٠) .

كرمه وما أسخى جوده ، ألا فتعرضوا نفحات الكرم والجود يا معاشر الفقراء .

قال النبي ﷺ : " **من قام بعشر آيات لم يكن من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين** " (١).

والمقنطرون هم من ينالون أجورهم بالقناطير ، وخشية أن يتقالَّ أحد المقنطرين قدر قنطاره أخبرهم النبي ﷺ بقيمة القنطار الواحد فقال : " **والقنطار خير من الدنيا وما فيها** " (٢).

ولا يخفى ما في هذا الحديث من حث على التنافس بين المؤمنين والاستكثار من الطاعات عن طريق بيان جزاء كل واحد ، وكل يبذل على قدر همته ويؤجر على قدر مشقته ، فأي الفرق الثلاث أنت ؟!

(١٠) ذكر الله كثيراً :

قال النبي ﷺ : " **من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا ليلتئذ من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات** " (٣).

ركعتان خفيفتان في جوف الليل تعدل ذكراً كثيراً يستغرق وقتاً طويلاً ، والفطن من عرف السبيل إلى أعظم الأجر بأيسر الجهد .

(١١) الجائزة الخفية :

قال عز وجل : ﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون ۞ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون** ﴾ [السجدة : ١٦ - ١٧] .

قال **مجاهد والحسن** : " تتجافى جنوبهم يعني قيام الليل " (٤).

---

(١) رواه أبو داود وابن حبان عن ابن عمر وكما في ص ج ص رقم (٦٤٣٠) ، والصحيحة رقم (٦٤٢) .

(٢) رواه الطبراني في الكبير والأوسط وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم (٦٣٤) .

(٣) رواه أبو داود عن أبي سعد وأبو هريرة كما في ص ج ص رقم (٦٠٣٠) ، وصحيح أبي داود رقم (١١٨٢) .

(٤) تفسير القرآن العظيم (٦ / ٣٦٤) – أبو الفداء ابن كثير – ط دار الشعب .

تأمل صاحب القلم السيال والسحر الحلال **ابن قيم الجوزية** في هذه الآية ، فقال : " تأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذي أخفاه لهم مما لا تعلم نفس ، وكيف قابل قلقهم واضطرابهم على مضاجعهم حين يقومون إلى صلاة الليل بقرة الأعين في الجنة " [١].

بعد أن يتسلم كل جائزته في الجنة ويسكن درجته التي أعد الله له ، تبقى الجائزة الكبرى مدخرة لهذه الثلة المباركة ، مصونة لا تخدشها عين ، مكنونة لا تعبث بها يد ، خفية لا يطلع عليها أحد ، وإذا كان نعيم الجنة الذي أعلنه لا يخطر على بال بشر فكيف بنعيمها الذي أخفاه ؟ وما أعظم كرمه إذ أخفى كرمه وما ألطف جوده عندما أخفى جوده ، إذ النفس دوماً تواقة إلى سبر أغوار ما أخفي عنها . . تطمح في نيله وتسعى في أثره وتستفرغ الجهد في تحصيله ، فكأنه عز وجل بإخفائه جزاء القائمين أعان على سلوك طريقهم وأمدنا بالزاد لنلحق بهم ونفخ فينا نفخة من عزمهم .

تسهيلات الصفقة

قال **ربيعة الجرسي** : " إن الله جعل الخير من أحدكم كشراك نعله ، وجعل الشر منه مدّ بصره " [٢].

(١) نم قيلولتك :

هذه فرصة ثمينة وغنيمة دفينة ، فلئن اشتريت ساعة من ساعات الليل الغالية التي تتنزل فيها الملائكة بساعة من ساعات النهار التي تنشط فيها الشياطين تغوي ، إنك إذن لمن الرابحين .

قال النبي ﷺ : " **قيلوا فإن الشياطين لا تقيل** " [٣].

---

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص (٢٧٨) - ابن قيم الجوزية - ط م المدني .

(٢) حلية الأولياء (٦ / ١٠٦) .

(٣) رواه أبو نعيم في الطب والطبراني في الأوسط عن أنس ، وحسنه الألباني كما في ص ج ص رقم (٤٣٠٧) والسلسلة رقم (٢٦٤٧) .

فلا تجعل الشيطان قدوة لك فتلعب وتصخب بالنهار ، فتآخى نفراً مر عليهم **الحسن البصري** في السوق ، فرأى صخبهم ولغطهم فقال : أما يقيل هؤلاء ؟ ، قالوا : لا قال : إني لأرى ليلهم ليل سوء [١].

(٢) أقلل من طعامك :

جاء رجل إلى **محمد بن سيرين** فقال له : علمني العبادة ، فقال ابن سيرين : أخبرني عن نفسك كيف تأكل ؟ قال : آكل حتى أشبع ، فقال : ذلك أكل البهائم ، ثم قال : كيف تشرب ؟ قال : أشرب حتى أروي ، قال : ذلك شرب الأنعام ، اذهب فتعلم كيف الأكل والشرب ثم جئ أعلمك العبادة .

فإذا تعلمت الأكل والشرب توصلت إلى النتيجة التي توصل إليها **مسعر بن كدام** بعد طول عناء ولم يبخل بها عليك فقال :

وجدتُ الجوع يطرده رغيف ... وملء الكف من ماء الفرات
وقِلُّ الطُّعمِ عون للمصلي ... وكثر الطعم عون للسُّبات

وليس المراد بالجوع المقعد عن الحركة الذي يورث العجز والكسل ، فهذا جوع استعاذ الرسول ﷺ منه ، وإنما المراد قلة الطعام بحيث توافق سنة النبي ﷺ التي أخبرنا بها فقال : " **بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه** " [٢].

وها هو **سفيان الثوري** يخاطب عُشّاق السحر بصيغة الأمر قائلاً : " عليكم بقلة الطعام تملكوا قيام الليل " [٣]، فإن خالف سفيان وصيته ووقع فيما حذَّرنا منه ، أدب نفسه بطريقته الخاصة حيث شبع ليلة فقال : إن الحمار إذا زيد في علفه زيد في عمله ، فقام تلك الليلة حتى أصبح [٤].

---

(١) رهبان الليل (٢ / ٤٦١) - د سيد العفاني - ط مكتبة ابن تيمية .
(٢) رواه أحمد والترمذي وابن ماجة والحاطم عن المقدام بن معد يكرب كما في ص ج ص رقم (٥٥٥٠) .
(٣) تنبيه المغترين ص (٣٥) .
(٤) إحياء علوم الدين (١ / ٤١٩ - ٤٢٠) .

(٣) خشّن فراشك :

وصف لنا **عمر بن الخطاب** فراش النبي ﷺ حين دخل عليه فقال : " فدخلت على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على حصير فجلست ، فأدنى عليه إزاره وليس عليه غيره ، وإذا الحصير قد أثر في جنبه " (١).

ووصفت لنا **أم المؤمنين عائشة** وِسَادَتَهُ ﷺ فقالت : " كانت وسادته التي ينام عليها بالليل من أدم حشوها ليف " (٢).

وما كان يفعل هذا إلا ليكون أيسر له في الاستيقاظ وأنشط له في القيام ، يفعل هذا وهو الذي غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وهو الذي كان إذا نامت عيناً لم ينم قلبه ، ويقوم من الليل حتى تتفطر قدماه ويسجد حتى يظن أصحابه أنه قُبض ، ويُلح على ربه في دعائه حتى يسقط رداؤه عن منكبيه ، وما ترى أنه فعل ما فعل في تخشين فراشه إلا ليعلّم أمته من بعده ، وينصحها بلسان حاله كما نصحها بلسان مقاله .

وليس معنى هذا أننا نطلب منك أن تترك فراشك كل ليلة لتفترش الأرض أو أننا نحرم ما أحل الله لك ، بل المعنى ما قاله **المناوي** في نصيحته القيمة : " الأولى لمن غلبه الكسل والميل للدعة والترفه أن لا يبالغ في حشو الفراش ، لأنه سبب لكثرة النوم والغفلة ، والشغل عن مهمات الخيرات " (٣).

يا نائماً عن قيام الليل . . يا غارقاً في ثنايا السيل . . ضجّ الليل من كثرة منامك ، واشتكى الفراش من كثرة رقادك ، وتعجبت الحور من قسوة جفائك ، وبكى الحفظة من فوات أرباحك ، فأحب من يحبك ، واشتغل بمن يشتاق إليك ، وقف بين يدي مولاك وتعرض لنفحة من نفحاته ولو لحظة عساك تفلح ففي لحظة واحدة أفلح السحرة .

(٤) رفيق الخير ينبهك :

عن **الحسن بن علي بن أبي طالب** ﵁ أن أباه أخبره أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة بنت النبي ﷺ ليلة ، فقال : **ألا تصليان ؟** ، فقلت : يا رسول الله أنفسنا بيد الله ،

---

(١) رواه مسلم عن عمر رقم (١٤٧٩) .

(٢) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة عن عائشة كما في ص ج ص رقم (٤٧١٤) .

(٣) فيض القدير (٥ / ١٨٠) .

إن شاء أن يبعثنا بعثنا ، فانصرف حين قلت ذلك ، ولم يرجع إلى شيئاً ، ثم سمعته يقول وهو مُولٍّ ، يضرب فخذه وهو يقول : " **وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً** " (١).

قال **الطبري** معلقاً : " لولا علم النبي ﷺ من عظم الصلاة في الليل ، ما كان يزعج ابنته وابن عمه في وقت جعله الله لخلقه سكناً ، لكنه اختار لهما إحراز تلك الفضيلة على الدعة والسكون ، امتثالا لقوله تعالى : ﴿ **وأمر أهلك بالصلاة** ﴾ [طه: ١٣١]" (٢).

لذا نقول : اجعل لك رفيق خير يعينك . . إذا سقطت في بئر غفلة فنادِ بأعلى صوتك : واغوثاه واغوثاه . . فربما جاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه ، فإذا وجدته فتعلق به تنجُ ، وإلا فكم غرق في آبار الغواية من سكتوا عن طلب النجدة والهداية ، ويحك . . صَوِّت في الأسحار بالمستغفرين لعلهم يحنون عليك . . تعرَّض لجياد المتهجدين لعل بعضهم يستصحبك ، نادِ في القائمين :

خذوني معكم . . احملوني معكم . . اصحبوني معكم . . اشفعوا لي معكم . . لا تتركوني طريدا . . لا تدعوني وحيدا . . ذنوبي أثقلتني فساعدوني . . أهوائي حاصرتني فلا تخذلوني . . نفسي ضيَّعتني فلا تُسلموني . . قد وجدتُم قلوبكم فارحموا من لم يَجِد . . وجُدْتُم بأوقاتكم ولذاتكم فعلِّموا من لم يَجُدْ . . يا اخوتاه . . يا أغنياء الطاعة تصدقوا على الفقراء ﴿ **إن الله يجزي المتصدقين** ﴾ . . يا أحباب الرحمن اعطفوا على عبد حبيبكم ، فإن من صدقت محبته بذل حياته ارضاءً لحبيبه ، واستفرغ وسعه في خدمة إمائه وعبيده . . فهل من مجيب أثابكم الله ؟!

(٥) لا تعصه يُقِمْك :

قال رجل **لإبراهيم بن أدهم** : إني لا أقدر على قيام الليل فصف لي دواءً ، فقال له : " لا تعصه بالنهار وهو يقيمك بين يديه بالليل ، فإن وقوفك بين يديه في الليل من أعظم الشرف، والعاصي لا يستحق ذلك الشرف " (٣).

ويُثنِّي القول وارث من ورثة النبوة هو **الفضيل بن عياض** فيقول : " إذا لم تقدر

---

(١) رواه الشيخان عن الحسن كما في اللؤلؤ والمرجان رقم (٤٤٣) .

(٢) فتح الباري (٣ / ١٥) .

(٣) تنبيه المغترين ص (٥٣) .

على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم مكبل ، كبلتك خطيئتك " (١).

ويأتيك بالثالثة علم القيام ورمز الصيام **الحسن البصري** فيقول : " ما ترك أحد قيام ليلة إلا بذنب أذنبه ، تفقدوا أنفسكم كل ليلة عند الغروب وتوبوا إلى ربكم لتقوموا الليل" (٢).

كل محروم معاقب ، والمعاقبة درجات لكن أعظم المعاقبة (أن لا يحس المعاقب بالعقوبة) (٣).

يا معشر القوام اشفعوا في النوام . . يا أحياء القلوب ترحموا على الأموات . . ماذا وجد من فقد قيام الليل ؟ وماذا وجد من فقده ؟

لا نور يشبه نور المتهجدين . . خلوا بالرحمن فكساهم من نوره . .

ولا ظلمة تشبه ظلمة الراقدين . . نفد عندهم زاد الليل فانطفأ سراجهم بالنهار، فإذا وجوههم مظلمة . .

يا حُسنهم والليل قد جَنَّهم ... ونورهم يفوق نور الأنجمِ

أسحارهم بهم هم قد أشرقت ... وخُلَعُ الغفران خير القِسَمِ

(٦) لعرف قدر السلعة يهن عليك دفع الثمن :

كان **يزيد بن هارون** يقول : " نظرت في قيام الليل فإذا الحارس يحرس الليلة كلها بدانقين ، أو يطلب أحدكم الجنة بسهر ليلة واحدة ، بعبادة لعلها لا تساوي دانقين وربما مَنَّ بهما على ربه " (٤).

واعجبا لمن باع قيام الليل بفضل لقمة ، وضحى بنسيم السحر في سبيل نومة ، وأعلن انسحابه من نادي المجتهدين من أجل هجعة . . يا هذا . .

لو بعت لحظة تهجد بعمر نوح في ملك سليمان لكنت من الخاسرين .

يا نفس ما هو إلا صبر أيام ... كأن مدتها أضغاث أحلام

---

(١) الحلية (٨ / ٩١) .

(٢) تنبيه المغترين ص (٣٤) .

(٣) صيد الخاطر ص (١٠) - ابن الجوزي - ط دار الفكر .

(٤) تنبيه المغترين ص (١٠٩) ، والدانق سدس درهم .

يا نفس هبّي إلى الفردوس عازمة وخلّ نوماً فإن العيش قُدّامي

واسمع إلى **يحيى بن معاذ** وهو يخبرك : " ما أمر الإنسان في هذه الدار ولو طال إلا كنفس واحد في جنب عيش الجنة ، ومن ضيّع نفساً واحداً يعيش به عيش الأبد ، إنه والله من الخاسرين " [١].

علم السلف ذلك بل أيقنوا به ، فهان عليهم لعلمهم أين المقصد ، فالشوق حاديهم ، والسهر راحتهم ، والنصب لذتهم ، والله وجهتهم ، ولا راحة لأمثال هؤلاء إلا حين يحطون رحالهم في الجنة .

فاعرف قدر ما ضاع منك ، وابك بكاء من يجري مقدار ما فاته ، واجتهد في الاستدراك عساك تلحق بمن بسقط ، وتصل إلى مرادك بعد سلوك مسلك اللبلابة في الوصول ، فإنه (لما عشقت اللبلابة الشجر تسلقت طلب الاعناق الأعناق ولثم الخدود ، فقيل لها : مع الكثافة لا يمكن فرضيت بالنحول فالتفّت فالتقت) [٢].

(٧) اعرف سيرة السلف :

إذا بزغت شمس السلف غارت نجوم الخلف ، سماع أخبارهم حياة ، دعوا إلى الله في حياتهم بألسنتهم وأحوالهم ، فلما ماتوا سكنت الألسنة وبقيت الأحوال تتكلم فكانوا دعاة إلى الله أحياء وأمواتاً ، لا تزال شجرتهم ورافة الظلال غزيرة الثمار عظيمة الفوائد ، تؤتي أكلها إلى الآن : تؤنس من استوحش ، وتهدي من ضل ، وتثبت من اضطرب ، ويأوي إلى ظلها كل ظمآن . .

- كان **السريّ السقطي** إذا جن عليه الليل دافع أوله ، ثم دافع ثم دافع فإذا غلبه الأمر أخذ في النحيب والبكاء [٣].
- وكان **علي والحسن ابنا صالح بن يحيى وأمهما** قد جزءوا الليل ثلاثة أجزاء : فكان علي يقوم الثلث ثم ينام ، ويقوم الحسن الثلث ثم ينام ، وتقوم أمهما الثلث ، ثم ماتت أمهما ، فجزءا الليل بينهما : فكانا يقومان به حتى الصباح ، ثم مات علي فقام الحسن بهن

---

(١) السابق ص (٤٦) .

(٢) المدهش ص (٣٢٩) .

(٣) حلية الأولياء (٣ / ١٢٦) .

، فكان يقال : الحسن حيّة الوادي [١].

■ ولما سألت **بنت جار منصور بن المعتمر** أباها ، وقالت : يا أبت أين الخشبة التي كانت في سطح منصور قائمة ؟ ، قال : يا بنية ذاك منصور كان يقوم الليل " [٢].

(أي يظل منتصبا كالخشبة من طول قيامه) .

■ ولا ندري بأيهما نعجب ؟ **برياح القيسي** أم بامرأته وإليك الخبر : تزوج رياح القيسي امرأة فبنى بها ، فلما كان الليل نام ليختبرها ، فقامت ربع الليل ثم نادته : قم يا رياح ، فقال : أقوم ، فقامت الربع الثاني ثم نادته فقالت : قم يا رياح ، فقال : أقوم ، فلم يقم فقامت الربع الثالث ثم نادته فقالت : قم يا رياح ، فقال : أقوم ، فقالت : مضى الليل وعسكر المحسنون وأنت نائم ؟ ليت شعري من غرّني بك يا رياح ، قال : وقامت الربع الباقي [٣].

ما اكتسب السحر عطره الخاص إلا من أنفاس هؤلاء ، وما توارت شمس الهجير عند الغروب إلا خجلاً من نورهم ، وما غارت النجوم ليلاً إلا طمعاً في قربهم ، وما تنزل الله بجلاله إلى سمائه الدنيا في ثلث الليل الآخر إلا من أجلهم ، فأكرم بهم أكرم بهم أكرم بهم .

٨) اصدق الله يصدقك :

إذا صدقت نيتك وصحَّ عزمك ، وطال شوقك إلى الوقوف بين يدي ربك ، فتأكد أن أي شيء سيوقظك : اضطراب ريح أو عبث فأرة أو بكاء طفل ، فإن لم يكن شيئاً من هذا ، فأرق لا تعرف له سبباً .

فإن حدث ولم تقم بعد تصحيح النية والعزم والأخذ بالأسباب ، فلا تحزن فإنما الله قد تصدق عليك . .

قال النبي ﷺ : " **من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل ، فغلبته**

(١) رهبان الليل (١ / ٤٠١) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٥ / ٤٠٣) .

(٣) صفة الصفوة (٤ / ٢٧) .

عينه حتى يصبح كتب له ما نوى ، وكان نومه صدقة عليه من ربه " (١).

فوا عجباً لنائم أجره أعظم من قائم ، ولمفطر أزكى عند الله من صائم ، ولميت على فراشه بلغ منزلة ما بلغها صريع على أرض القتال . .

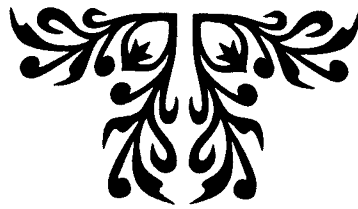
قال **أبو الدرداء** : " يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم ، كيف يغبنون به سهر الحمقى وصيامهم ؟ لو مثقال ذرة من بر صاحب تقوى أعظم وأفضل وأرجح من أمثال الجبال من عبادة المغترين " (٢).

فإن فغرت فاك دهشة مما قرأت وأردت ترجمة لما أقول تركنا المجال **لابن القيم** فهو أقدر من يقوم بهذا الواجب ، قال رحمه الله :

" فالكيّس يقطع من المسافة ، بصحة العزيمة وعلو الهمة وتجرد القصد وصحة النية ، العمل القليل أضعاف أضعاف ما يقطعه الفارغ من ذلك مع التعب الكثير والسفر الشاق ، فإن العزيمة والمحبة تذهب المشقة وتطيب السير والتقدم ، والسبق إلى الله سبحانه إنما هو بالهم وصدق الرغبة والعزيمة ، فيتقدم صاحب الهمة مع سكونه صاحب العمل الكثير بمراحل " (٣).

(٩) **تأدَّب** :

تأدَّب بآداب النوم وارجع إليها في صفقة (الصلاة خير من النوم) .



---

(١) رواه النسائي وابن ماجة وابن حبان والحاكم عن أبي الدرداء ، وحسنه الألباني في ص ج ص رقم (٥٩٤١) .

(٢) حلية الأولياء (١ / ٢١١) .

(٣) الفوائد ص (١٨٦ - ١٨٧) .

عند التسليم

قاعدة السر والعلانية :

إذا فرغت من عملك الصالح فاستودعه خزانة الأسرار ، وضع عليه قفل الإخلاص ، فإنك لا تأمن الشيطان على عملك لعله سطا عليه ، فأخرجه من ديوان السر إلى ديوان العلن ، ولعله زاد في الكيد لك حتى أخرجه من ديوان العلن إلى ديوان الرياء ، فيسجل العمل في السيئات وقد ظننت أنه في الحسنات سُجِّل ، فإن قصدت بإظهار علمك أن يقتدي بك الناس في غياب القدوات ، فعليك قبل أن تقرأ قاعدة السر والعلانية التي استنبطها **أبو حامد الغزالي** من منخولات تجاربه ، وقدمها لك على طبق من ذهب موصياً كل مشترك :

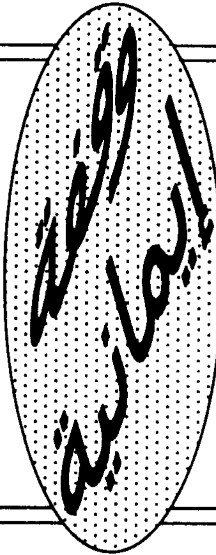
" أن يراقب قلبه فإنه ربما يكون فيه حب الرياء الخفى ، فيدعوه الإظهار بغير الاقتداء ، وإنما شهوته التعجل بالعمل وبكونه يقتدي به ، وهذا حال كل من يظهر أعماله إلا الأقوياء المخلصين وقليل ما هم ، فلا ينبغي أن يخدع الضعيف نفسه بذلك فيهلك وهو لا يشعر ، فإن الضعيف مثاله مثال الغريق الذي يحسن سباحة ضعيفاً ، فنظر إلى جماعة من الغرقى فرحمهم ، فأقبل عليهم حتى تشبثوا به فهلكوا وهلك ، والغرق بالماء في الدنيا ألمه ساعة وليت كان الهلاك بالرياء مثله ، لا بل عذابه دائم مدة مديدة ، وهذه مزلة أقدام العباد والعلماء " [١].

---

(١) إحياء علوم الدين (٣ / ٣٣٥) .

الصفقة السادسة

الصبر مفتاح الفرج



لما صابر الورد الألم، وتحمّل مجاورة الشوك ووخز الإبر، استحق أن يتصدّر مجالس الأمراء، ويصبح رمز الحسن والبهاء، ولا تكاد تجد هدية أرق من الورد، ولما آثر الحشيش السلامة، صار مرتع الحمير وعلف البهائم، ورخص وداسته الأقدام، حتى غدا رمز المهانة.

قبل التنفيذ

۞ **مواجهة** :

واجهك ابن القيم بقوله :

" شكرك لا يساوي قدر قوتك ، ولا بارك الله في دابة لا تعمل بعلفها ، متى رأيت العقل يؤثر الفاني على الباقي فاعلم أنه قد مُسِخَ ، ومتى رأيت القلب قد ترحل عنه حب الله والاستعداد للقائه ، وحل بدلا من ذلك الرضا بالحياة الدنيا والاطمئنان إليها ، فاعلم أنه قد خُسِفَ به ، ومتى رأيت العين قد قَحُطت فاعلم أن قحطها من قسوة القلب ، وأبعد القلوب عن الله القلب القاسي ، ومتى رأيته يستزيد غيرك وأنت لا تطلب ، ويستدني سواك وأنت لا تُقرّب فاعلم أنه الحجاب والعذاب " .

أرباح الصفقة

■ ما مثل البلاء إلا كمثل الضيف ينزل عليك ، فإن رحبت بقدومه وتفقدت حوائجه مقدماً له قرى الصبر ، دون أن يشكو اللسان ضجراً ، أو ينقلب القلب تسخطاً ، فيا لذة مدائحك على لسان الملائكة ، ويا فرحة تسجيل وصفك بالكرم والجود في صحفهم ، وما أصدق قول القائل :

الصبر مثل اسمه في كل نائبة ... لكن عواقبه أحلى من العسل

■ ومن هذه العواقب الحلوة هذه الأرباح :

(١) صبر يستوجب الحب :

قال تعالى : ﴿ **والله يحب الصابرين** ﴾ [آل عمران : ١٤٦] ، وهل رأيت حبيباً يعذب حبيبة أو يقطع وده أو يؤثر هجره ؟ إنما هو سبحانه رؤوف رحيم بعباده المؤمنين ، يبتليهم ليضع عنهم الأوزار ويصرف عنهم عذاب النار ، يضعهم في اختبار لحظة واحدة — وما الدنيا إلا لحظة واحدة — ليستحقوا به إن هم اجتازوه الخلد في دار الخلد ، والنعيم في دار النعيم .

ولذا كان الصبر عطاء -وأي عطاء - لا يناله إلا من حاز الرضا وحظي

بالقرب ، قال رسول الله ﷺ : " **وما أعطي أحد عطاءً خيراً أو أوسع من الصبر** " (١).

تتلمذ **الرافعي** في هذه المدرسة - مدرسة النبوة - حتى نضحت كلماته بمعانيها ، لذا عجب غاية العجب من نفر ارتدوا ثياب الإيمان ، حتى إذا نزلت بهم نازلة أو ألمت بهم ملمة ، ارتدوا ثياب التشكي ورفعوا راية العصيان ، فقال مستغرباً : " وأي شيء لا صبر عليه عند الرجل المؤمن الذي يعلم أن البلاء مال غير أنه لا يوضع في الكيس بل في الجسم !!" (٢).

(٣) اللا محدود في عالم الثواب :

سبحانه سبحانه غارس شجرة الكرم في قلوب الكرماء ، وباذر الجود في أكف الأسخياء ، فكل كرم من كرمه ، وكل جود من جوده .

من فيوضات كرمه أنه لما التزم الصالحون أمره فصبروا ، كافأهم بمكافأة : ﴿ **ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾ [النحل : ٩٦] ، فأغدق عليهم ثوابه وأجزل لهم عطاءه ، حتى جازى الواحد منهم على أعماله الصالحة بثواب أفضلها ، وإن تفاوتت بضاعته وتغير منسوب الإيمان في قلبه من وقت لآخر .

ومن فيوضات كرمه أن كل أجير أجره بحساب ، أما أجر الصابرين فبغير حساب ، قال تعالى : ﴿ **إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾ [الزمر : ١٠] .

ترى ما قدر ﴿ **بغير حساب** ﴾ في مقاييس الله ؟ إن العقل البشري ليتيه في تصور هذا الثواب ، ويقف عاجزاً عن تصور ما لا طاقة له به ، حتى يصل إلى أن النعيم الدنيوي من يوم خلق الله الدنيا إلى يوم فنائها ، لا يساوي ذرة رمل في صحراء ﴿ **بغير حساب** ﴾ .

ومن فيوضات كرمه أنه كلما صعب عليك البلاء أجزل لك العطاء ، قال النبي ﷺ : " **إن عظم الجزاء مع عظم البلاء** " (٣).

---

(١) متفق عليه من حديث أبي سعيد كما في رياض الصالحين رقم (٢٧) .

(٢) وحي القلم (٢ / ٩٢) - مصطفى صادق الرافعي - ط دار المعارف .

(٣) رواه الترمذي وابن ماجة عن أنس وحسنه الألباني في ص ج ص رقم (٢١١٠) .

٣) معية تورث السكينة :

قال الله تعالى : ﴿ **إن الله مع الصابرين** ﴾ [البقرة : ١٥٣]

وهذه المعية المذكورة في الآية ليس المراد منها معية الإحاطة والعلم فحسب ، بل معية التأييد والنصرة والمنعة والغلبة ، المعية التي تورث صاحبها سكينة النفس وطمأنينة القلب وراحة البال ، والثقة الغامرة في تأييد ذي العزة والجبروت والقوة والملكوت ، ولما كانت معية الله متحققة للصابر بمقتضى هذه الآية كان النصر حليفه ولا شك ، فالصبر والنصر رفيقا درب وفرعا غصن ورضيعا لبان ، قال رسول الله ﷺ : " **واعلم أن النصر مع الصبر** " (١).

٤) ودلعاً دنيا السيئات :

قال النبي ﷺ : " **ما من مسلم يصيبه أذى : شوكة فما فوقها إلا كفّر الله بها سيئاته، وحطت عنه ذنوبه كما تحط الشجرة ورقها** " (٢).

فإذا صَبَّ الله البلاء على عبده صبا فصبر فإنما أراد به خيراً كثيراً وفوزاً عظيماً ، قال النبي ﷺ : " **ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة** " (٣).

سمع **الفضيل** هذا الحديث فخرج منه إلى (أن الله عز وجل ليتعاهد بدن المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل أهله بالخير) (٤)، وعلى هذا يرى المؤمن المحنة منحة ، والبلية هدية ، والألم دواء مراً لا يحصل الشفاء إلا به ، وبها وحده يعود (الفقر باباً من الزهد ، والمرض نوعاً من الجهاد ، والخيبة طريقاً من الصبر ، والحزن نوعاً من الرجاء) (٥).

بل يرى المحنة تزرع فيه من الفضائل ما لم يكن يعلم ، وتلقي في روعه من الأخلاق ما كان لها هاجراً ، فينمو خَلْقاً آخر . . قال **الشعبي** : " ما أشبه النكبة بالبيضة

---

(١) رواه الترمذي عن ابن عباس من طريق حنش الصنعاني ، وهو حديث حسن .

(٢) متفق عيه عن ابن مسعود كما في رياض الصالحين رقم (٣٩) .

(٣) رواه الترمذي عن أبي هريرة كما في ص ج ص رقم (٥٨١٥) .

(٤) الإحياء (٤ / ١٣٩) .

(٥) وحي القلم (٢ / ٩٤) .

تحسب سجناً لما فيها وهي تحوطه وتربيه وتعينه على تمامه ، وليس عليه إلا الصبر إلى مدة ، والرضا إلى غاية ، ثم تتقف البيضة فيخرج خلقاً آخر " [١].

أرى البلايا تحيط المرء تُحصِنه حتى لئن صحَّ ذوبُ الصَّخر لم يذُبِ
أو صَحَّ أن قناة الصلب قد وهنت فلا يلين إذا ما صُبَّ في اللهبِ
ما حصحص الحق إلا بعد ما انسلخت من عمر يوسف أعوام من النصبِ

ولا تنمو الفضائل التي تزرعها المحنة في المؤمن إلا أن تُسقى بماء الصبر، أما محنة صاحبها جزع وبلية لحقها ضجر ، فإنها تقلع ولا تزرع . . تضر ولا تنفع . . تُفني ولا تذر .

(٥) استحقاق الإمامة في الدين :

قال تعالى ﴿ **وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا** ﴾ [السجدة : ٢٤] ، فجعل الله سبحانه الصبر شرط للإمامة في الدين ، وقد كان النبي ﷺ إمام الأئمة ، كان جبل صبر يتحرك ، بل لو كان الصبر رجلاً لغار من النبي ﷺ ، صبر على الفقر والجوع حتى يربط على بطنه الحجر والحجرين ، وصبر على فقد الزوج والولد ، وصبر على إيذاء قومه له سباً وضرباً ، وصبر على إخراجه من بلده ، وصبر على فقد أصحابه أمام عينيه والتمثيل بهم ، وصبر على قذفه في عرضه وأحب الخلق إليه عائشة رضي الله عنها ، صبر على كل هذا وترك لنا رسول الله ﷺ هذه التركة ولكل من ورثته فيها نصيب بحسب قربه منه ، فعلى قدر صبرك تحدد درجة قرابتك .

كان الإمام **أحمد بن حنبل** رحمه الله آية من آيات الله في الثبات على الحق والصبر على البلاء أثناء محنة خلق القرآن ، حتى قيل : نصر الله هذا الدين بأبي بكر يوم الردة وبأحمد يوم المحنة ، واستحق بهذا لصبر أن ينصب إماماً للعامة ، ولئن حال بطش الظالمين دون ظهور ذلك في حياته فقد ظهر جلياً في مماته ، إذ شيَّعه إلى قبره أربعة ملايين نفس ، وتوقفت عقارب الزمن آنذاك ، وسكنت عجلة الحياة في بغداد يومها ، واستمرت الصلاة عليه من الفجر حتى مغيب الشمس ، وعلا النواح والصراخ

---

(١) السابق (٢ / ١١٣) .

في أربع طوائف من الأمة : المسلمين واليهود والنصـــارى والمجــوس - ولا غــرو - فالإمام كان خيراً للبشرية جمعاء ، وهذا والله لهو شرف الدنيا قبل شرف الآخــرة ، ولــم تكن جنازة الإمام جنازة ساقها مشيّعوها إلى قبرها ، بل موكب عرس زفّ فيه المحبـــون محبوبهم إلى الجنة المنتظرة له على شوق ، فالمح آخر طريق الصبر تسلك أوله ، وتصل إلى ما وصل إليه أحمد وإخوان أحمد .

٦) النائحة الثكلى أصدق :

فمن الناس من لا يعبد الله إلا فــي المواســم ، ولا تعرفــه المحــاريب إلا فــي الجمعات ، فتنزل المحنة على أمثاله لتسوق الشارد عن الله إلى الله ، ولترد الهارب منـــه إليه ، ولترسم الطريق بوضوح إلى بيت الملك ، فإن رفع أكف الضراعة ، ولــــزم مقـــام الرضا ، وارتدى ثياب الصبر أُذن له بالدخول على مولاه ، فيقف بين يديه مقراً بذنبـــه ، مقتنعاً بفقره ، معترفاً بعجزه ، ملحاً في مسألته ، باعثاً دعاءً قد خضبته الدموع ، وعطّــوه الأسف ، وأنفذته الحاجة ، وزيّنه الوجل ، وعندها فقط تجوز عليه الصدقة مصداق قولـــه عز وجل : ﴿ **إنما الصدقات للفقراء** ﴾ [التوبة : ٦٠] .

٧) علامة حب وخيــرية :

ولما كان الله يغار وغيرته أن تنتهك محارمه ، أو تضيع حدوده فقد أوجب علـــى الخائض فيها عقوبة ولابد ، وهذه قد تكون في الدنيا فيتسلى عنها بغيرها ويخف وقعـــها ، أو في الآخرة وهذه تدوم وإن لم تدم فلا سبيل إلى تخفيفها بالتســـلي إذ أســـباب التســـلي منقطعة ، فإن تركك وأخّرك فقد كرهك وأبغضـــك ، وإن آخــذك وعجّلــك فقــد أحبــك وقرّبك .

قال رسول الله ﷺ : " **إذا أراد الله بعبده الخير عجّل له العقوبة في الدنيــا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يُوافى به يوم القيامة** " (١)، وإذا كـــان أعظـــم نعيم الدنيا تمسحه غمسة في النار فهل يسمى هذا نعيماً ؟ وإذا كان أشد بؤس الدنيا تنســـيه غمسة في الجنة فهل يسمى هذا بؤساً ؟

---

(١) رواه الترمذي والحاكم عن أنس والطبراني عن عمار بن ياسر في ص ج ص رقم (٣٠٨) .

(٨) **الجنـــة** :

قال النبي ﷺ : " **إن الله تعالى يقول: إذا أخذت كريمتي عبـــدي (عينيـــه) فـــي الدنيا، لم يكن له جزاء عندي إلا الجنة** " (١).

وقال ﷺ مخبراً عن ربه : " **ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضـــت صفيـــه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة** " (٢).

ولربما كان ميزان حسناتك يوم القيامة لا يثقل عن ميزان سيئاتك إلا أن يوضـــع فيه مثقال صبر صبرته فتستحق بذلك دخول الجنة . .

واسمع الى ما قاله لك النبى ﷺ : " **إن العبد اذا سبقت له مـــن الله منزلـــة لـــم يبلغها بعمله أبلاه الله فى جسده أو فى ماله أو فى ولده** " (٣).

والحق أن النعمة وتحولها طريقان لدخول الجنة إذا تعامل معهما المؤمـــن كمـــا أراده الله ، ومعنى هذا أنه . .

(تأتى النعمة فتدنى الأقدارُ من يدكُ فرع الثمرة الحلو وأنت لا تدرى جـــذره ولا تملكه ، ثم تتحول (النعمة) فإذا يدك كذلك على فرع الثمر المر وأنت كذلك لا تـــدرى ولا تملك ، ألا فاعلم أن **الإيمان هو اليقين** بأن الفرعين كليهما يصلانك بـــالله ، فـــالحلو فرع عبادته بالحمد والشكر وهو الأحلى عندك حين تذوقه بالحس ، والمُرُ فـــرع عبادتـــه بالصبر والرضا وهو الأحلى حين تذوقه بالروح) (٤).

وفى الجنة تنسى كل مصيبة ومصاب وكل بلية وبلاء فما هنـــاك غـــير السـعد والهناء . .

كان **أبو معاوية الأسود** إذا قام من الليل يستقى الماء يذكر هذا المعنى فيقـــول : " ما ضرّهم ما أصابهم فى الدنيا، جبر الله لهم كل مصيبة بالجنة " (٥).

---

(١) رواه الترمذي عن أنس كما في ص ج ص رقم (١٩٠٤) .

(٢) رواه البخاري عن أبي هريرة كما في ر ص رقم (٣٣) .

(٣) رواه أحمد وأبو داود كما فى صحيح أبي داود (٢٦٤٩) ، والصحيحة (٢٥٩٩).

(٤) السحاب الأحمر ص (١٠٤) - مصطفى صادق الرافعي - ط الشركة المصرية العالمية للنشر .

(٥) حلية الأولياء (٤ / ٢٧٣) .

الشروط الجزائية

(١) ضياع الإيمان :

الصبر على الضراء مثله مثل الشكر على السراء سيماء يحتكرهـا المؤمنـون ، قال رسول الله ﷺ : " **عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن : إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له ، وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له** " (١).

وعلى هذا (من لم يكن صابراً على بليته فقد تخلّق بأخلاق الكافرين ، بل نقول : إن وصف الإيمان ينزوي حينئذ عن قلبه ويكن على رأسه كالظلة حتى يراجع نفسه) (٢).

ومن مظاهر انزواء الإيمان عن القلب الشكوى إلى غير الله ، وهي ذنب عرفك عقوبته **شقيق البلخي** ، فقال : " من شكا مصيبة إلى غير الله لم يجد حلاوة الطاعة " (٣).

فالصبر إذن روح الإيمان ، وكما أنه لا حياة للجسد بغير روح فكذلك لا حياة للإيمان بغير صبر ، قال **علي بن أبي طالب** ؓ : " الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد فإذا قطع الرأس مات الجسد " (٤).

وإذا رفع الصبر حل محله الجزع الذي تفقد مرارته طعم حقيقة الإيمان ، نطق بهذا الصحابي الجليل **عبادة بن الصامت** ؓ في وصية مودع ، أوصى بها ولده قبل موته فقال : " يا بني إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك " (٥).

---

(١) رواه مسلم عن صهيب بن سنان كما في رياض الصالحين رقم (٢٨) .

(٢) المختار من كنور السنة ص (١٤٤) - د. محمد عبد الله دراز - ط دار الأنصار .

(٣) سير أعلام النبلاء (٩ / ٣١٥) .

(٤) قوت القلوب (١ / ٣٩٤) .

(٥) سنن أبي داود (٤ / ٢٢٥) - ط مصطفى محمد .

٢) الرسوب في الامتحان :

الدنيا دار ابتلاء ومن جهل هذا فقد نسي الغاية التي خلقه الله لها ﴿ **ليبلوكم أيكم أحسن عملاً** ﴾ [الملك : ٢] ، ومن جزع ونفد صبره عند نزول البلاء ، فقد جنى على نفسه وكتب اسمه بيده في سجلات الخائبين .

هو الامتحان إذن أو التجربة بلغة **لقمان الحكيم** حين أوصى ابنه قائلاً : " يا بني إن الذهب يجرب بالنار والعبد الصالح يجرب بالبلاء ، فإذا أحب الله قوماً ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فعليه السخط " [١].

وإذا نظر المؤمن إلى الدنيا من زاوية الابتلاء كان على حذر فيها من الخير والشر على السواء ، قال العلامة **الفيروز آبادي** صاحب القاموس :

" اختبار الله تعالى لعباده تارة بالمسار ليشكروا ، وتارة بالمضار ليصبروا ، فصارت المنحة والمحنة جميعاً بلاء ، فالمحنة مقتضية للصبر ، والمنحة مقتضية للشكر ، والقيام بحقوق الصبر أيسر من القيام بحقوق الشكر ، فصارت المنحة أعظم البلاءين ، ولهذا قال عمر ﷺ : بلينا الضراء فصبرنا ، وبلينا بالسراء فلم نصبر ، وقال علي ﷺ : من وسع عليه في دنيا فلم يعلم أنه قد مكر به فهو مخدوع عن عقله ، وقال تعالى : ﴿ **ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون** ﴾ " [٢].

ولعلمه باقتران الإيمان بالابتلاء قال **الرافعي** :

" فمن آمن بالله فكأنما قال له : امتحني ، وكيف تراك إذا كنت بطلاً من الأبطال مع قائد الجيش ؟ أما تفرض عليك شجاعتك أن تقول للقائد : امتحني وارم بي حيث شئت ، وإذا رمى بك فرجعت مثخناً بالجراح ، ونالك البتر والتشويه أتراها أوصافاً لمصائبك ، أم ثناء على شجاعتك ؟! " [٣].

وتظهر قوة الإيمان في النكبات لا في الركعات ، وعند الرزايا لا في الزوايا ، قال **الحسن البصري** : " استوى الناس في العاقبة فإذا نزل البلاء تباينوا " [٤].

---

(١) إحياء علوم الدين (٤ / ١٣٠) .

(٢) بصائر ذوي التمييز (٢ / ٢٧٤) – ط شركة الإعلانات الشرقية .

(٣) وحي القلم (٢ / ٩٢ – ٩٣) .

(٤) صيد الخاطر ص (٢١٦) .

(٣) الانهيار :

قال ﷺ : " **مثل المؤمن كمثل الزرع ، من حيث أتتها الريح كفأتها ، فإذا سكنت اعتدلت ، وكذلك المؤمن من يكفأ بالبلاء ، ومثل الفاجر كالأرزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله إذا شاء** " (١).

أو هي شجرة الصنوبر والدُبّاء في لغة **أبي الفرج ابن الجوزي** الذي نقل هذا الحوار : " شجرة الصنوبر تتم في ثلاثين سنة وشجرة الدباء تصعد في أسبوعين فتدرك الصنوبر ، فتقول شجرة الدبّاء : إن الطريق التي قطعت في ثلاثين سنة قطعتها في أسبوعين ، فيُقال لك شجرة ولي شجرة ، فتجيبها : مهلاً إلى أن تهب ريح الخريف " (٢).

تسهيلات الصفقة

لأن من لم يعمل بعلمه لم يزد ما معه ، ولأن حامل المسك إذا كان مزكوماً لاحظ له فيما حمل ، ولأن هذه الصفحات حجة لك أو عليك ، فقد قدمنا لك هذه التسهيلات سائلين المولى عز وجل أن يعينك على تنفيذها :

(١) تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة (٣):

من بذر بذرة طاعة في ظل رخاء استظل بشجرتها في هجير شدة ، ومن قاسى حر مجاهدة في سراء وجد في قلبه برد يقين في ضراء .

شرح **عبد الرؤوف المناوي** هذه الوصية النبوية فقال : " يعرفك في الشدة بتفريجها عنك ، وجعله لك من كل ضيق مخرجاً ، ومن كل هم فرجاً بما سلف من ذلك التعرف ، كما وقع للثلاثة الذين آووا إلى الغار ، فإذا تعرفت إليه في الرخاء والاختيار جازاك عليه عند الشدائد والاضطرار بمدد توفيقه وخفي لطفه كما أخبر تعالى عن

(١) رواه الشيخان عن أبي هريرة كما في ص ج ص رقم (٥٨٤٣) .
(٢) اللطائف ص (٨٣) - ابن الجوزي - ط دار الهجرة .
(٣) رواه أحمد والطبراني وأبو نعيم في الحلية والحاكم عن ابن عباس كما في ص ج ص رقم (٩٥٨) .

يونس عليه السلام بقوله : ﴿ **فلولا أنه كان من المسبحين** ﴾ [الصافات : ١٤٣] ، يعني قبل البلاء ، بخلاف فرعون لما تنكر إلى ربه في حال رخائه لم ينفعه اللجوء عند بلائه ، قال : ﴿ **ءالئن وقد عصيت** ﴾ [يونس : ٩١] " (١).

ولنا رجعة مع **الإمام أحمد بن حنبل** الذي عرف الله في العافية فأيّده الله وثبته ساعة الشدة ، وانظر – حفظك الله – إليه حين ضرب بالسياط ضرباً لو ضرب لفيل لهدّه ، حتى لم يبق بين سرواله وقميصه سوى خيط لو انقطع لبانت عورة الإمام ، وعندها انقطعت أسباب الأرض وحضرت أسباب السماء ، وتمتم الإمام بكلمات في سره ، وتوالى الضرب على الخيط واشتد واشتد . . وتعاقب الجلادون . . تسعة يضربه كل واحد منهم سوطين ليسلم السوط إلى الذي يليه . . كل هذا والخيط لا ينقطع ، وكأنّ الحق بصلابته قد تجمع في هذا الخيط فانقلب خيطاً من حديد . . وستر الله إمامنا وحفظه ، وظل الأمر لغزاً عند جلاده لا يجد له حلاً حتى قابل الإمام بعد أيام ، فسأله عن هذه الكلمات التي رددها ، فقال له الإمام : " قلت : اللهم إني أسألك باسمك الذي ملأت به أرجاء العرش ، إن كنت تعلم أني على الصواب فلا تهتك لي ستراً " (٢).

وحين انصرف جُلُّ العلماء إلى جمع الأموال والسعي على العيال والحرص على إرضاء الزوجات ، جاءه التأييد والتثبيت على الحق والتصبير على البلاء والعذاب في سبيل الله من اللصوص والنشالين . .

قال ابنه **عبد الله** : كنت كثيراً أسمع والدي – **أحمد بن حنبل** – يقول : رحم الله أبا الهيثم ، غفر الله لأبي الهيثم ، عفا الله عن أبي الهيثم، فقلت له : يا أبي من أبو الهيثم ؟ قال : ألا تعرفه ، قلت : لا ، قال : **أبو الهيثم الحداد** ، اليوم الذي أخرجت فيه للسياط ، ومدت يداي للعُقَّابَيْن – هما خشبتان يشبح الرجل بينهما ليجلد – إذا أنا بإنسان يجذب ثوبي من ورائي ويقول : تعرفني ؟ قلت : لا ، قال : أنا أبوالهيثم العيّار (أي النشيط في المعاصي ، اللص الطرّار (أي النشال من الجيوب) ، مكتوب في ديوان أمير المؤمنين أني ضربت ثمانية عشر ألف سوط بالتفاريق ، وصبرت في ذلك على طاعة الشيطان لأجل الدنيا ، فاصبر أنت في طاعة

(١) فيض القدير (٣ / ٢٥١) .
(٢) صفة الصفوة (١ / ٢١٢) .

الرحمن لأجل الدين " (١).

(٢) مشاهدة النعم :

ما أكثر نعم الله على العباد وأجلها ، والناس عمي عن هذه النعم فإذا فقدوا إحداها رجعت إليهم أبصارهم ، والعاقل يعرف أن الله إذا سلب منه نعمة فما هي إلا قطرة في بحر نعم الله المعلومة عنده ، بل إن نعم الله المعلومة عنده ليست سوى قطرة في بحر ما لا يعلم من النعم ، وما مثل من جزع لفقد نعمة من النعم إلا كمثل من أنعم عليه الملك بما لا يُعدّ ولا يُحصى من الأموال ، ثم سلبه ديناراً واحداً ليختبره في منحته وليبرهن على معدنه وأصالته ، فإذا بصاحبنا ويجزع وينوح ويفزع كالطفل إذا نزعت منه لعبته فهو يبكي حتى ترجع إليه . .

هذا فهم **يونس بن عبيد** الذي برز جلياً حين تكلم مع الثرى الموسر صاحب الملايين، فماذا قال له ؟

جاء رجل إلى **يونس بن عبيد** فشكا إليه ضيقاً من حاله ومعاشه واغتماماً لذلك ، فقال: أيسرك ببصرك مائة ألف ؟ قال : لا ، قال : فبسمعك ؟ قال : لا ، قال : فبلسانك ؟ قال : لا ، قال : فبعقلك ؟ قال : لا ، وذكَّره نعم الله عليه ، ثم قال يونس : أرى لك مئين ألوفا وأنت تشكو الحاجة !! (٢).

وقد كان **الإمام الشافعي** حاد البصر ، فكان له من مشاهدة النعم نصيب ، حتى قال عند موت ابنه : " اللهم إن كنت قد ابتليت فقد عافيت ، وإن كنت أخذت فقد أبقيت ، أخذت عضواً وأبقيت أعضاء ، وأخذت ابناً وأبقيت أبناء " .

ومن قبله حبر الأمة وترجمان القرآن **عبد الله بن عباس** ﷺ حين أصابه العمى انطلق ينشد :

إن يأخذ اللهُ من عينيّ نورهما	ففي لساني وسمعي منهما نور
قلبي ذكي وعقلي غير ذي عوج	وفي فمي صارم كالسيف مأثور

---

(١) مناقب الإمام أحمد ص (٣٣٣ - ٣٣٤) - أبو الفرج ابن الجوزي - دار الآفاق الجديدة .

(٢) سير أعلام النبلاء (٦ / ٢٩٢) .

(٣) اقتفاء الأثر يهدي :

قيل للحسن : سبقنا القوم على خيل دُهم ، ونحن على حُمُرٍ مُعَقَّرة ، فقال : " إن كنتم على طريقهم فما أسرع اللحاق بهم " (١).

■ هذه **أم طلحة** لما مات ابنها سمت فوق أحزانها حتى لم يبق في المصيبة معنى المصيبة ، ولا مع النكبة حزن النكبة بل الأجر والثواب فحسب ، فأنستها حلاوة أجرها مرارة ألمها وفاضت ، حتى جعلتها تتزين لزوجها وكأنها عروس ليلة الزفاف ، فأصاب منها ولما فرغ قالت له : يا أبا طلحة لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم ؟ ، فقال : لا ، قالت : فاحتسب ابنك ، فغضب العريس وشكاها إلى النبي ﷺ فوجده يقدم التهنئة له على صورة دعاء : **اللهم بارك لهما** ، فأخلف الله عليهما ورزقهما ولداً غيره .

■ وهذا **عمرانُ بن حصين** كان صابراً على البلاء ثلاثين سنة ، كان عظاماً ممددة على سريرها ، ولما دخل عليه أخوه مع **الإمام الشعبي** رأياه ممدداً على سرير كأنما شُدَّ بالحبال ، وما شد إلا بانتهاك أعصابه وذوبان لحمه ووهن عظامه ، فبكى أخوه فقال عمران : لا تبك فإنّ أحبَّه إلى الله أحبُّه إليَّ .

■ وهذا **بشير الطبرى** أغارت الروم على جواميس له نحوا من أربعمائة جاموس ، فلقى عبيده الذين كانت معهم الجواميس ، فقالوا : يا مولانا ذهبت الجواميس ، فقال : وأنتم أيضا فاذهبوا معهم فأنتم أحرار لوجه الله ، فقال له ابنه : يا أبت أفقرتنا ، قال : اسكت يا بنى ، إن الله اختبرنى فأحببت أن أزيده .

■ وهذا **ابن عباس** ﷺ نعيت له ابنته فاسترجع وقال : عورة سترها الله ، ومؤونة كفاها الله ، وأجر قد ساقه الله ، ثم نزل فصلى ركعتين ثم قال : قد صنعنا ما أمر الله تعالى . قال تعالى : ﴿ **واستعينوا بالصبر والصلاة** . . ﴾ [البقرة : ٤٥] .

(٤) تلمح فجر الأجر :

الحيوان الأعجمي الذي لا عقل له يدربه صاحبه ، فيصبر على السير على الحبال واقتحام حلقات النيران وخوض الصعاب طمعا فى قطعة لحم يحظى بها عند اتمام

---

(١) الفوائد ص (٥٧) .

فقرته يوم العرض ، فاصبر أنت يا صاحب العقل على ما هـــو دون ذلـك مـن محـن الزمان ، طمعا فيما أعده الله للصابرين من جزاء يوافيهم به يوم العرض .

ولأن شمس الأجر فوق رؤوس الصالحين بازغة لا تغيب ، ساطعة لا تحجبــها غمامة شك أو سحابة هوى فقد كانوا كما وصفهم النبي ﷺ : " **ولأحدهم كان أشد فرحـاً بالبلاء من أحدكم بالعطاء** " [١].

فرح حقيقي من أعماق القلب من علاماته عدم الشكوى قال **مغيرة** : ذهبت عيـن **الأحنف** ، فقال : " ذهبت من أربعين سنة ما شكوتها إلى أحد " [٢].

ومن علاماته تقديم الشكر عليه ، صدع بهذا **فتـح الموصلـي** فقـال : " يـارب ابتليتني ببلاء الأنبياء ، فشكر هذا أن أصلي الليلة أربعمائة ركعة " [٣].

ومن علاماته الاستسلام لقدر الله وتفويض الأمر إليه عند نزول البلاء ، واعتقـاد أن الخير كل الخير فيما اختاره لعبده ، قال أحدهم عن الحمى وقد نزلت به وأعيته :

زارت مُكفِّرة الذنوب ديارنا فسألتـهـا بالله أن لا تُقلعي

(٥) منع الله عطاء :

قال **شيبان الراعي** لسفيان الثوري : " يا سفيان عُدّ منع الله إياك عطاء منه لـك ، فإنه لم يمنعك بخلاً إنما منعك لطفاً " [٤].

خرق **الخضر** السفينة لكي تنجو ، وقتل الغلام لكي ينقذ أبويه من طغيانه وكفـره ، وبنى الجدار لكي ينتفع الغلامان بكنزهما المدفون تحته عند الكبر .

حدثني من أثق في صدقه ، أن أحد أصحابه سجن ظلمـاً عـام ١٩٦٥ ، وكـان ضابطاً في الجيش ، فلما حلت النكسة عام ١٩٦٧ أبيدت فرقته بالكامل ، فحمد الله الـذي حفظه في سجنه وحماه من موت محقق .

وحدثني أحد مشايخي ، أن أخا له أراد سفراً وتأخر عن موعـد الحافلـة ففاتـه

---

(١) رواه ابن ماجة وأبو يعلى في مسنده والحاكم في المستدرك عن أبي سعيد كما في ص ج ص رقم (٢٣١) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٤ / ٩٢) .
(٣) حلية الأولياء (٨ / ٢٩٢) .
(٤) صيد الخاطر ص (٢٥٣) .

ركوبها ، فتملكته الحسرة إذ كان على موعد هام يخشى فواته ، ولما ركب الحافلة التـي تليها وجد الحافلة الأولى غارقة في النيل وقد هلك جميع ركابها ، وألسنة العامـة تفيـض بوقائع تؤكد هذا المعنى ، وإذا نظر المؤمن إلى مصائبه من هذه الزاوية عـرف معنـى قول الله تعالى : ﴿ **وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم** ﴾ [البقرة : ٢١٦] .

وإذا استقر هذا المعنى يقيناً في القلب أورث التسليم الكامل والرضا التام بما قـدره الله ، لأن العبد جاهل كل الجهل بما ينفعه والرب عالم كل العلم بذلك .

قال **عمر** ﷺ : " ما أبالي على أي حال أصبحت أعلى ما أحـب أم علـى مـا أكره ؟ ذلك أني لا أدري الخير فيما أحب أو فيما أكره ؟ " [1].

لا تكره المكروه عند نزولـه ... إن الحوادث لم تزل متباينـة

كم نعمة لا يُستهان بشكرها ... لله في طيّ المكاره كامنـة

(٦) **استرجع** :

قال تعالى مادحاً عباده المؤمنين : ﴿ **الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله إنا إليه راجعون** ﴾ [البقرة : ١٥٦] ، وهذا من فضل الله تعالى وكرمـه . . ابتلانـا ليكفـر آثامنا ويرفع درجاتنا فوق ذلك ، وأعاننا على سلوك طريق الصبر بإرشادنا لـترديد هـذه الكلمات المباركات .

غاص الإمام **ابن القيم** في أعماقها واستخرج منها درر المعاني تتلألأ في ضـوء البصيرة الإيمانية فقال : " وهذه الكلمة من أبلغ علاج للمصاب ، وأنفعه له فـي عاجلتـه وآجلته فإنها تتضمن أصلين عظيمين إذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلى عن مصيبته :

أحدهما : أن العبد وأهله وما له ملك لله عز وجل حقيقة ، وقد جعله عنـد العبـد عارية ، فإذا أخذه منه فهو كالمعير يأخذ متاعه من المستعير ، وأيضـاً فإنـه محفـوف بعدمين عدم قبله وعدم بعده وملك العبد له منحة معارة في زمن يسر ، وأيضاً فإنه ليـس الذي أوجده من عدمه حتى يكون ملكه حقيقة ولا هو الذي يحفظه من الآفات لعلمه وجوده

---

(١) رواه أحمد في العلل (١ / ١٤٩) نقلاً عن رسالة المسترشدين .

ولا يبقى عليه وجوده فليس له فيه تأثير ولا ملك حقيقيين وأيضاً فإنه متصرف فيه بالأمر تصرف العبد المأمور ، ولهذا لا يباح له من التصرفات إلا ما وافق أمر مالكه الحقيقي .

والثاني : أن مصير العبد ومرجعه إلى الله مولاه الحق ، ولابد أن يخلف الدنيا وراء ظهره ويجئ ربه فرداً كما خلقه أول مرة ، بلا أهل ولا مال ولا عشيرة ولكن بالحسنات والسيئات ، فإذا كانت هذه بداية العبد وما هو له ونهايته فكيف يفرح بموجود أو يأسى على مفقود ؟! ففكره في مبدئه ومعاده من أعظم علاج هذا الداء " [١].

(٧) عند اشتداد الكرب تبدو مطالع الفرج :

لم يجعل الله اليسر بعد العسر أو عقبه بل معه فقال: ﴿ **فإن مع العسر يسرا ۝ إن مع العسر يسرا** ﴾ [الشرح : ٥ - ٦] وذلك ليؤكد على أمرين :

الأول : قرب تحقق اليسر عند العسر حتى كأنه معه ومتصل به ، وفي هذا قال بعض السلف : لو دخل العسر جحراً لتبعه اليسر .

الثاني : إن مع العسر بالفعل يسراً ، ومع المنع عطاءً ، ومع الفقر غنى قد يكون ظاهراً ملموساً ، وقد يكون خفياً مكتوماً ، وهذا هو اللطف ، ففي كل قدر لطف وفي كل بلاء نعمة ، ومن ظن انفكاك لطف الله عنه فذلك لقصور نظره عن مشاهدة آثار قوله تعالى : ﴿ **إن ربي لطيف لما يشاء** ﴾ [يوسف : ١٠٠] .

إذا ضاق بك الأمر ففكّر في ألم نشرحْ
فعسر بين يسرين لذا لا بد أن يبرحْ

وهذه أم **المؤمنين عائشة** توقد فيك جذوة الأمل ، إن كانت عواصف البلاء قد أخمدتها ، وتمحو في نفسك آثار اليأس والقنوط عن طريق قولها لك : " كن لما لم ترجُ أرجى منك لما ترجو ، فإن موسى بن عمران خرج يقتبس ناراً فرجع بالنبوة " [٢].

فإن أردت المزيد معك أتيناك بشعر الفقيه **الأديب الثاري** :

اشتدي أزمة تنفرجي قد آذنَ ليلكِ بالفرج

---

(١) زاد المعاد (٣ / ١٢٥ - ١٢٦) .

(٢) الفرج بعد الشدة ص (٥٢) - جلال الدين السيوطي - ط دار الشهيد .

مهما اشتدت بك نازلـة فاصبر فعسى التفريج يجي

يريد أن يقول لك إذا ضاق الأمر اتسع ، وإذا اشتد الحبل انقطـع ، واعلـم (أن وراء الظلام فجراً ، وخلف الغمام بدراً ، أن ضحك الرياض في بكاء السـحاب ، وحيـاة النبات في شق التراب ، وأنها الغمرات ثم ينجلين ، والظلمات ثم يوليـن ، وإن حالـها لا يدوم أبداً ، وأن مع اليوم غداً) (١).

عند التسليم

هل شكوت ؟:

قال أبو حامد الغزالي :

" ومما ينبغي أن تعالج به القلوب البعيدة عن الشكر: أن تعرف أن النعمة إذا لـم تشكر زالت ولم تعد ، ولذلك كان **الفضيل بن عياض** يقول : عليكم بملازمة الشكر علـى النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت إليهم ، وقال بعض السلف : النعم وحشـية فقيدوهـا بالشكر " (٢).

فإذا عقدت هذه الصفقة وكنت من أصحابها ، فاستمسك بهذه النعمة وعض عليـها بالنواجذ ، واحمد الله الذي استعملك في طاعته بينما حقت كلمته على غيرك فكـان مـن العاصين ، وأعزك بالقرب منه بينما طرد غيرك عن جنابه فكان من الغاوين ، وخصـك بفضله ورحمته والمحرومون كثير ، فليلهج لسانك بشكر هذه النعمة ، ثـم عَضِّـد شـكر اللسان بشكر الجوارح ، فلا تستعملها في معصية وهي حديثة عهد بطاعـة ، بـل أتبـع الحسنة بمثلها ، وآنس الطاعة بأختها .

---

(١) النفحات ص (١٣٤) - د/ عبد الوهاب عزام - ط مكتبة النور .

(٢) إحياء علوم الدين (٤ / ١٣٢) .

استراحة

من عبير الرعيل الأول . .

■ إخلاص محمد ﷺ حوّل كل بقعة حل بها إلى طهر " **وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً** " ، ونفاق المنافقين حوّل المسجد إلى نجاسة والصلاة في موضع النجاسة حرام بالإجماع ﴿ **لا تقم فيه أبدا** ﴾ [التوبة : ١٠٨] .

■ دراهم **أبي بكر** أصلية ضرب عليها ﴿ **ولكن يناله التقوى منكم** ﴾ [الحج : ٣٧] ، ودراهم **ابن أبي** زائفة نقش عليها : ﴿ **لن يتقبل منكم** ﴾ [التوبة : ٥٣] وعند الشراء ينكشف الزيف .

■ **سعيد بن عامر** ﷺ والي حمص وأفقر فقرائها ! ! بعث له أمير المؤمنين عمر مالا يصلح به شأنه فأصلح به شأنه . . تاجر مع الله فربحت تجارته . . بذل على فاقة ليغنم يوم الفاقة . . وأنفق في تجهيز محل الإقامة ليطيب اللقاء يوم الوصول . .

سعيد لما جاءه المال قال : إنا لله وإنا إليه راجعون . . لسان حاله : ما أصنع بهذا البلاء ، **وشقي** لما أتاه المال قال : إنا والله في لهونا غارقون . . لسان حاله : مرحى مرحى بالفحشاء . . **سعيد** أجره عالي لأن بذله غالي ، **وشقي** سيره غاوي فهو للنار غاوي .

■ أرهب **عمر** ﷺ شيطانه ، فكان عمر إذا سلك فجا غير الشيطان طريقه وسلك فجا غير فجه ، لأن عمر ورث قوته المرعبة من نبي قال عن نفسه : " **نصرت بالرعب مسيرة شهر** " .

■ رأى **عبد الله بن رواحة** ﷺ مصرع أخويه أمام عينيه يوم مؤتة بعد حملهما راية الموت ، وجاء دوره فتردد ثم استنزل نفسه فقاتل حتى قتل ، علم الذي لا تخفى عليه خافية الفارق فأعلن على لسان حبيبه " **لكني رأيت ازورارا** (١) **في سرير ابن رواحة** " ،

---

(١) ازورارا : ميلا يدل على نقصان في المرتبة .

العدالة حتمية لأن الدقة خردلية ﴿ **وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين** ﴾ [الأنبياء : ٤٧] .

■ نزع **حنظلة** ﷺ نفسه من أحضان عروسه ليلة الزفاف لأن الحور نادته ، وهو يعلم جيداً الفارق بين هذه وتلك ، وعند إراقة دمه أعلنت الملائكة حالة الطوارئ : فريق يُغَسِّله ، وفريق يطيبه ، وفريق يَزُفُّه إلى عروسه الجديدة .

■ في طريقهم إلى تبوك مر الصحابة على آبار عاد وثمود ، فمنعهم النبي ﷺ من الشرب منها رغم شدة عطشهم لأن سؤر الكلاب نجس .

■ لما دنت قافلة المحبين من أحد لاحت لهم من بعيد ديار الحبيب ، وما إن خالطت أنفاس **أنس بن النضر** أنفاس معشوقته حتى هبت النسمات فزفر بالأنات : واها لريح الجنة إني لأجد ريحها خلف أحد . . . ، ثم دخلها بعد أن دفع رسم الدخول : بضعاً وثمانين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم .

■ تنافس **معاذ ومعوذ** على ذبح رأس الكفر أبي جهل على الطريقة الإسلامية ، ليقدما رأسه هدية إلى النبي ﷺ ، فهذا ضربة وذاك أخرى حتى قتلاه ، وعند قبض الثمن اختلفا فتخاصما إلى النبي ﷺ فطلب رؤية دليل الإثبات (السيوف) ، وبعد المعاينة قضى باقتسام الأجر مناصفة قائلاً : " **كلاكما قتله** " .

■ اشتد الجوع على المسلمين في حصار يهود خيبر فلجأوا إلى أكل الحمر الأهلية ، وعند التسمية والهم بالبدء جاء الأمر صارماً من النبي ﷺ : " **حُرِّمَتْ عليك الحمر الأهلية** " ، صدر الأمر بعد تجشم مشقة جمع الحطب ، وتكبد أثمان الحمر ليكون اختبار الإيمان أصعب وبرهان المحبة أوضح .

تقدم إلى الامتحان ١٤٠٠ من تلامذة النبي ﷺ ، ونظرا لكفاءة المعلم فقد جاءت نسبة النجاح ١٠٠ % .

■ **عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح** ﷺ ، صحابي له من اسمه نصيب ، عصمه ربه وثبته فأفلح ، حفظ الله فحفظه الله ، أقسم ألا يمس مشركا ولا يمسه مشرك فثار الكون كله من أجله يوم استشهد : الدبابير خرجت نهارا تحميه ، والسيل انهمر ليلا يفديه ، فما استطاع أحدٌ من المشركين مس شعرة منه ، **غَاظَ عاصمٌ أعداءَه** لأنه في الجملة فاعلٌ وليس مفعولاً به ، والفاعل دوما مرفوع لا يكسره شيء .

الصفقة السابعة

اسكب العطر الأول

وقفة إيمانية

لك مقدار دمع . . إن لم تكفك الدنيا لتذرفه ، ذرفته في الآخرة ، وعندك مخزون حزن . . إن استنفدته في دنياك ، انمحى من ذاكرتك معنى الحزن في أخراك ، وكنت من الذين لا يحزنهم الفزع الأكبر ، ادفع الثمن كاملا اليوم فلا مجال هناك للمساومة .

قبل التنفيذ

ابدأ مستغفراً :

- **قال ابن قيم الجوزية :**

" وقلت لشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – يوماً : سئل بعض أهل العلم : أيهما أنفع للعبد : التسبيح أو الاستغفار ؟ فقال : إذا كان الثوب نقياً فالبخور وماء الورد أنفع له ، وإذا كان دنسا فالصابون والماء الحار أنفع له ، ثم قال لي رحمه الله : كيف والثياب لا تزال دنسة ؟! " [1].

- **أخي المشترك :**

امنح نفسك دقيقة واحدة قبل بداية القراءة ، أغمض فيها عينيك ، وأحضر قلبك ، وأحرق خبث ذنبك بنار ندمك ، ثم الهج بالاستغفار ليطهر القلب ، فتلاقي الموعظة في قلبك موضع قدم ، وتحدث أثرها فتنجح الصفقة وتجني أرباحها .

أرباح الصفقة

- لأن **عبد الله بن عمر** ﷺ اطلع على هذه الأرباح فقد قال : لأن أدمع من خشية الله أحب إلي من أن أتصدق بألف دينار ، وكان رفيقه في المشاهدة وأخوه في التفكر **أبو الفرج ابن الجوزي** الذي قال : قطرة من الدمع على الخد أنفع من ألف مطرة على الأرض ، ومن هذه الأرباح غير المبالغ فيها أن الباكي من خشية الله :

(١) في ظل العرش :

فإن الباكي من خشية الله قد وعده النبي ﷺ بأن يكون من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله **(ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه)** .

هذا رجل امتلأ قلبه خشية لربه حتى فاض على عينيه بالعبرات ، وعامل الله

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب ص (٨٥) .

سراً فأثابه الله جهراً ، بل وسلَّمه جائزته على رؤوس الخلائق يوم القيامة ، ولما قاسى حرارة الخوف من الله في الدنيا ، كان جزاؤه من جنس عمله ، فعافاه الله من حر يوم القيامة وأظله في ظل العرش .

٢) في مأمن من عذاب الله :

عن **ابن عباس** رضي الله عنهما قال : سمعت النبي ﷺ يقول : " **عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله** " (١).

إن عينا ذرفت الدمع خشية من الله لهي عين ناجية ، ولو كان هذا الدمع طفرة ثم ولت ، أو مرةً في العام ثم أدبرت .

قال **سفيان الثوري** : " البكاء عشرة أجزاء فواحد منها لله والتسعة كلها رياء ، فإذا جاء ذلك الجزء الذي لله تعالى في السنة مرة واحدة ، نجا صاحبه من النار إن شاء الله " (٢).

ويسمى **القشيري** ذلك الباكي (عتيق الله بشعرة) ، ويحكي قصته قائلاً :

" إن عبداً شهد عليه أعضاؤه بالزلل ، فتطايرت شعرة من جفن عينيه فتستأذن بالشهادة ، فيقول الحق : تكلمي يا شعرة جفن عبدي واحتجي عن عبدي ، فتشهد له بالبكاء من خوفه ، فيغفر له وينادي مناد : هذا عتيق الله بشعرة " (٣)، فتقوم الشعرة بمهمة الشاهد الذي حسمت شهادته القضية وجلبت الحكم بالبراءة .

هي الدموع المباركة إذن تقي صاحبها من عذاب الله ، ولا تمس موضعا إلا حمته ، ولا عضوا من أعضاء الجسد إلا حرمت عليه النار ، قال أبو معشر : " رأيت **أبا حازم** (سلمة بن دينار الأعرج) يقص في المسجد ويبكي ويمسح بدموعه وجهه ، فقلت : يا أبا حازم ، لم تفعل هذا ؟ قال : " بلغني أن النار لا تصيب موضعا أصابته الدموع من خشية الله " (٤).

---

(١) رواه الترمذي عن ابن عباس وأبو يعلى في مسنده عن أنس كما في مشكاة المصابيح رقم (٣٨٢٩) .

(٢) تنبيه المغترين ص (٤٤) .

(٣) لطائف الإشارات (٣ / ٢٢٣) .

(٤) صفة الصفوة (٢ / ٩٢) .

وقد يحتاط تقي ورع أو عابد مجاهد فيحضر شهود إثبات غير شعر جفن العين ، كما هو في حالة **ثابت البناني** الذي قال : " ما تركت في المسجد سارية إلا ختمت القرآن عندها وبكيت عندها " (١).

وإن كان الكثيرون ينظرون إلى البكاء على أنه عبادة فردية ، إلا أن **للحسن البصري** رأى آخر حيث يراه عبادة متعددة النفع ، فيقول : " لو بكى عبد من خشية الله لرحم من حوله ولو كانوا عشرين ألفا " (٢).

(٣) في كنف المحبة الإلهية :

عن **أبي أمامة** ﷺ ، عن النبي ﷺ قال : " **ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين وأثرين : قطرة دموع من خشية الله ، وقطرة دم تهرق في سبيل الله ، أما الأثران فأثر في سبيل الله (الجهاد) ، وأثر في فريضة من فرائض الله** " (٣).

والسر في هذا أن البكاء من خشية الله أبلغ دليل على أن خوف الله في القلوب طرد الخوف ممن سواه ، وصار متربعاً على عرش القلب لا نِدَّ له ولا شريك ، فلا خوف ولا وجل ولا رجاء ولا توكل ولا رغبة ولا تعلق إلا بالله وحده الذي تتصدع الجبال إذا نزل عليها كلامه ، وتوجل القلوب وتنفطر إذا تليت عليها آياته ، وتسري هذه القشعريرة من القلب إلى العين ، فتترجمها دموعاً جارية أصدق ما توصف به :

وليس الذي يجري من العين ماؤها ... ولكنها روحي تذوب فتقطر

ويصوغ هذا المعنى سيد الزهاد **يحيى بن معاذ** في كلمات مذاقها أشهى من العسل فيقول : " من كان يريد القرب من المحبوب فليكثر البكاء على المحبوب " (٤).

ولأن الله يحبهم يحبب فيهم خلقه . . إنسهم وجنهم . . حيهم وجمادهم . . فالزهر يحن إلى شجوهم . . والكون يطرب لشدوهم . . والأرض عطشى إلى دمعهم . .

---

(١) صفة الصفوة (٣ / ١٤٩) .

(٢) المدهش ص (٤٣٦) .

(٣) رواه الترمذي والضياء عن أبي أمامة كما في الجامع الصغير رقم (٧٦٠٠) ورمز له السيوطي بالصحة .

(٤) تنبيه المغترين ص (١٧٨) .

بكى الباكون للرحمن ليلا وباتوا ليلهم لا يسأمونا
بقاع الأرض من شوق إليهم تَحِنّ متى عليها يسجدونا

(٤) **غفران الذنوب :**

قرر **أبو يحيى مالك بن دينار** أن البكاء على الخطيئة يحط الخطايا كما تحط الريح الورق اليابس ، وإن كان الحافظان يحصيان أنفاسك ويسجلان همساتك ويستعينان في ذلك بذاكرة لا يعرف النسيان إليها سبيلاً ، فإن الوضع في حالة البكاء مختلف . . قال **يزيد الرقاشي** : بلغني أن من بكى على ذنب من ذنوبه نسي حافظاه ذلك الذنب . .

كتبت بأدمعي في صحن خدي كتاباً بالتذلل والخضوع
فقالوا قد عفونا عنك لما محوت قبيح فعلك بالدموع

(٥) **علامة التوبة الصادقة :**

من مشاهداته وتفرساته في أحوال المؤمنين ، رأى **يحيى بن معاذ** أن (علامة التائب إسبال الدمعة وحب الخلوة ، والمحاسبة تنفس عنه كل همة) [1]، بل جزم بعضهم أنه ما ارتوى زرع توبة قط إلا من جداول الحدق ، وتعليل هذا أنه لما كثر الزيف وعم البهرج ، وتسلل إلى الصالحين أدعياء الصلاح ، ولبس المراؤون لباس الأبرار، وأتقن بعضهم فن التصنع واحترف التمثيل احتاج أمر التوبة إلى دليل ، والاعتراف سيد الأدلة ، فإن صاحب الاعتراف قرينة تؤكده كالدموع ، جاء العفو شاملاً وقضى القاضي بالبراءة .

لتذرف دمعك المدرار حتى تعود الصحف بيضاءً نقية
فإن سقوط دمع العين سَحًّا دليل العفو من رب البرية

(٦) **شعار القلب الحي :**

لأن (الخشبة اليابسة إذا دخل طرفها الواحد في النار عرق طرفها الآخر ، وكذلك القلب إذا كانت فيه حرقة ندامة الذنوب جادت العينان بوابل الدموع ، ولانت

---

(١) صفة الصفوة (٤ / ٦١) .

الجوارح بالخضوع ، والقلب بالإنابة والخشوع) [١].

يا أخي . . إن المسافر إذا طالت غيبته ترحموا عليه وعدوه في الأموات ، فيا من طالت غيبته عن المجلس : إن كان قلبك وقت المواعظ يخشع وعينك تدمع فهناك أمل ، وإلا فعظَّم الله أجرك وأحسن عزاءك .

الشروط الجزائية

♦ لعلمه بفضل البكاء من خشية الله وفداحة مصاب من فاته ثوابه ، فقد نفى **أبو محمد ثابت البناني** الخيرية عن العين المجدبة ، وحين رق الناس لحاله لما رأوا كثرة بكائه ، قالوا : لا تبك ، قال : " وما خير في عين لا تبكي " [٢].

(١) قسوة القلب :

لما قدم أهل اليمن زمان **أبي بكر الصديق** ﷺ وسمعوا القرآن جعلوا يبكون ، فقال **أبو بكر** : " هكذا كنا ثم قست القلوب " [٣].

هكذا عدّ الصديق قحط العينين وعدم جودهما بالبكاء من علامات قسوة القلب ، وإحاطته بطبقات الران ، وفقدانه لحساسيته الإيمانية فلا يستقبح ذنباً ولا ينكر منكراً ولا يستوحش خطيئة ، ويسبح في قسوته كالحجارة أو أشد قسوة ، وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وإن منها لما يهبط من خشية الله .

بل سمّى **أبو سليمان الداراني** قحط العينين علم الخذلان والعياذ بالله ، فقال : " لكل شيء علم ، وعلم الخذلان ترك البكاء " [٤].

بخلت عيونك بالبكا فلتستعر ... عينا لغيرك دمعها مدرار

---

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين ص (١٧٨) – ابن الجوزي – ط دار الريان .

(٢) صفة الصفوة (٣ / ١٤٨) .

(٣) حياة الصحابة (٣ / ١٧٣) .

(٤) سير أعلام النبلاء (١٠ / ١٨٣) .

من ذا يُعيرك عينه تبكي بها   أرأيت عيناً للدموع تُعار

فإذا ارتبطت قسوة القلب برجحان كفة السيئات على كفة الحسنات كان من العقوبات في الآخرة :

(٢) البكاء في النار :

قال النبي ﷺ مخبراً عن رب العزة : " **وعزتي وجلالي لا أجمع لعبدي أمنين ولا خوفين ، إن أمنني في الدنيا أخفته يوم أجمع عبادي ، وإن هو خافني في الدنيا أمنته يوم أجمع عبادي** " (١).

ويتناول واعظ الآفاق **أبو الفرج ابن الجوزي** هذا الحديث معلقاً وشارحاً فيقول : " لا بد من قلق ومن حرقة : إما في زاوية التعبد أو في هاوية الطرد ، إما أن تحرق ثيابك بنار الندم على التقصير والشوق إلى لقاء الحبيب ، وإلا فنار جهنم أشد حراً " (٢).

وعن صفة هذا البكاء يحدثنا النبي ﷺ في كلمات ، لولا أن رسول الله ﷺ هو الذي أخبر بها لحسبناها لوناً من الخيال أو ضرباً من الأوهام ، فيقول وكأنه يرى هذا المشهد أمام عينيه : " **يرسل البكاء على أهل النار فيبكون حتى تنقطع الدموع ، ثم يبكون الدم حتى يصير في وجوههم كهيئة الأخدود ، ولو أرسلت فيه السفن بحرت** " (٣).

تسهيلات الصفقة

♦ قال **سلام ابن أبي مطيع** : متى شئت أن ترى من النعمة عليك أكثر منها على غيرك رأيته . قال سلام : " أي والله ، إن أغلقت عليك بابك جاءك من يدق عليك بابك

---

(١) رواه ابن حبان وأبو نعيم عن شداد ابن أوس وحسنه الألباني في ص ج ص رقم (٤٢٠٨) .

(٢) المدهش ص (٢٦٤) .

(٣) رواه ابن ماجة عن أنس كما في ص ج ص رقم (٨٠٨٧) والسلسلة الصحيحة رقم (٣١٧٩) .

يسألك ، ليعرفك نعمة الله عليك " (١).

أغلق الباكى عليه بابه يسكب العبرات ويطلق الزفرات فإذا بالباب عليه يطـرق ، ليجد معاشر المحرومين وجموع المطرودين يسألون ، ولفضله يطلبون ، وبهداه يسترشدون ، فما بخل عليهم بإرشاد ، وما ضن عليهم بنصح ، وأمر كل واحد منهم إن هو أراد بلوغ ما بلغ بتسعة أوامر أولها :

(١) **تفكر في ذنوبك** :

من أعظم بواعث البكاء إلى العين ، لأن الذنب هو علامة هوان العبد عند الله ولو عز عنده لعصمه ، ولأنه يبعد الملك ويدني الشيطان ، ويُبكي الحفظة ، وينفر الصالحين ، ويقرب المذنبين ، ويمنع الرحمات ، وينزع البركات ، ويوجب اللعنات ، ويدني من النار ، ويصرف عن الجنة ، ولو مات العبد فور ارتكابه له لختم له بسوء ، كل هذا يدفع العبد إلى أن يغسل الحوبة بدمع ، ويرفع الزلل بندم ويحرق الذنب بوجل .

دخل **أبو داود الحفري** على **كرز بن وبرة** فإذا هو يبكي ، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : " إن بابي لمغلق ، وإن ستري لمسبل ، ومُنعت جزئي أقرأه البارحة ، وما هو إلا بذنب أحدثته " (٢).

وانظر إلى **الحسن البصري** الذي وصفه بعضهم فقال: كأن النار لم تخلق إلا له ، كان له من التفكر في ذنوبه باع ، لذا كان غزير الدمع ، فلما قيل له في ذلك قال : " وما يؤمنني أن يكون اطلع علي في بعض ذنوبي ، فقال : اذهب لا غفرت لك " (٣).

وبجواب مشابه أجاب **أبو سليمان داود الطائي** من استغرب حزنه وبكاءه ، بقوله : " كيف لا يحزن في الدنيا من تتجدد عليه المصائب في كل ساعة ؟! " (٤).

(يعني : الذنوب) .

---

(١) حلية الأولياء (٦ / ١٨٨ ، ١٨٩) .

(٢) صفة الصفوة (٣ / ٥٩) .

(٣) صيد الخاطر ص (١٠٢) .

(٤) تنبيه المغتربين ص (١١٤) .

٢) جُل في الحشر بقلبك :

ما ظنك بيوم ينادي فيه المصطفى آدم والخليل إبراهيم والكليم موسى والروح عيسى ، وهم على سلم الكرامة على الله وقمة جبل المحبة ، ومع هذا كل ينادي : نفسي نفسي شفقاً من شدة غضبه وهول عذابه ، ويذهل فيه رسل الله وتطيش عقولهم ، لما رأوا ما لا طاقة لهم به ، ويتلعثمون في إجابة سؤال ربهم ﴿ **ماذا أجبتم** ﴾ فيقولون في وجل وذهول ﴿ **لا علم لنا** ﴾ ، فما ظننا بهم ذلك اليوم الذي يقف الناس فيه خمسين ألف سنة ، لا يأكلون فيها أكلة ولا يشربون شربة ، حتى تنقطع أعناقهم من العطش وأجوافهم من الجوع ، ويتمنون الانصراف ولو إلى النار التي يرتفع عنقها ، لتنطق بلسان فصيح يسمعه بوضوح كل من شهد الموقف ، وتنادي على من وُكلت بأخذهم من الخلائق ، فتلتقطهم التقاط الطير للحب ، والناس يشاهدون ولأدوارهم ينتظرون ، وبسبب هذا الخوف بكى **بديل بن ميسرة العقلي** حتى قرحت مآقيه ، فكان يعاتب في ذلك فيقول : " إنما أبكي خوفاً من طول العطش يوم القيامة " [١].

ولما دخل **علي بن محمد بن إبراهيم** على **أسود بن سالم** ليلة ، أنشأ يقول :

أمامي موقف قُدّام ربي ... يسائلني وينكشف الغطاء

فحسبي أن أمر على صراط ... كحَدّ السيف أسفله لظاء

فصرخ أسود ولم يزل مغشياً عليه حتى أصبح [٢].

٣) أحضر جهنم أمام عينيك :

ينادي أهلها بأعلى صوتهم : يا مالك قد حق علينا الوعيد . . قد أثقلنا الحريق . . يا مالك قد نضجت منا الجلود . . يا مالك أخرجنا منها فإنا لا نعود ، فيرد عليهم بعد أربعين سنة في رد يشبه الصاعقة : إنكم ماكثون ، لا ينجيهم الندم . . ولا ينفعهم الأسف . . فهم غرقى في النار . . طعامهم نار . . وشرابهم نار . . ولباسهم نار . . ومهادهم نار . . فهم بين عذاب النار وسرابيل القطران وضرب المقامع وثقل السلاسل ، تغلي بهم النار كما تغلي باللحم القدور ، ويهتفون فيها بالويل والعويل والثبور ، يصب من

---

(١) صفة الصفوة (٣ / ١٥١) .

(٢) صفة الصفوة (٢ / ١٨٦) .

فوق رؤوسهم الحميم ، يصهر به ما في بطونهم والجلود ، ولهم مقامع من حديد ، يهشم بها جباههم ، فينفجر الصديد من أفواههم ، وتنقطع من العطش أكبادهم ، ويسيل على الخدود الحدق ، كلما نضجت جلودهم بدلوا جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ، غُلّت أيديهم إلى أعناقهم ، وجمع بين نواصيهم وأقدامهم ، يمشون على النار بوجوههم ، ويطأون أشواك الحديد بأحداقهم ، فلهيب سار في بواطن أجزائهم ، وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر أعضائهم .

فبالله هل لأحد منا طاقة على تحمل لحظة واحدة من اللبث فيها ؟ أوما تفتدي نفسك من لحظة واحدة فيها بنعيم الدنيا بأسره ؟ أو ما تشري البعاد عنها بسهر الليل كله وعطش النهار كله إن كان يصلح ثمناً ؟

هذا هو الذي أبكى **يزيد بن مرثد** ، لما سأله أحد أصحابه : ما لي أرى عينك لا تجف ؟ ، قال : وما مسألتك عن ذلك ؟ ، قلت : عسى الله أن ينفع بي ، قال : " يا أخي إن الله توعّدني إن أنا عصيته أن يسجنني في النار ، ولو توعّدني أن لا يسجنني إلا في حمام ، لكان حرياً أن لا تجف لي عين " [1].

كان **إبراهيم الخواص** يكثر البكاء أواخر عمره ويقول : " يا رب . . قد كبرت وقد ضعف جسمي وقلت عبادتي ، فاعتقني بفضلك من النار ، فإني لا أقدر على أن أمكث فيها لحظة " [2].

إن الملوك إذا شابت عبيدهمُ ... في رقّهم عتقوهم عِتقَ أبرار
وأنت يا سيدي أولى بذا كرما ... قد شِبْتُ في الرّق فاعتقني من النار

(٤) ما أقل الزاد وأبعد الطريق :

كان **فضالة بن صيفي** كثير البكاء ، دخل عليه رجل وهو يبكي فقال لزوجه : ما شأنه ؟ ، قالت : " زعم أنه يريد سفراً بعيداً وما له زاد " [3].

كيف لا أبكي على عيش مضى ... بعت عمري بحقير الثمن

---

(١) الزهد لابن المبارك ص (١٠٥) - ط دار ابن خلدون .
(٢) تنبيه المغتربين ص (١١٨) .
(٣) المدهش ص (٢٠٤) .

كيف أرجو البرء من داء الهوى وطبيبي في الهوى أمرضني

هذا طريق القائم فيه على خطر فكيف بالنائم ؟ الوقت يكفي المُجِدّ بالكاد فكيف بمن أصابته نزلة فتور؟ من انقطعت به راحلته عن إتمام السفر فلا يلومن إلا نفسه ، ومن هلك من شدة العطش فعلى نفسها جنت براقش ، لو جئت بعبادة الثقلين خفنا عليك ، فكيف إذا لم يكن فى جعبتك غير نفس معيبة ، وقلب قاس ، وروح آسنة ، وفكر عاطل ، وإيثار الدنيا على الآخرة .

(٥) إحذر فوات الجنة :

قام رجل من الصالحين يصلى من الليل فمر بقوله تعالى : ﴿ **وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين** ﴾ [آل عمران : ١٣٣] ، فجعل يرددها ويبكي حتى أصبح ، فقيل له : لقد أبكتك آية ما مثلها يبكي ، إنها جنة عريضة واسعة ، فقال : " يا ابن أخي ، وما ينفعني عرضها إذا لم يكن لي فيها موضع قدم " (١).

وما أحد أحوج إلى البكاء أقرب إلى الحسرة ، من رجل ظن أن الجنة منتهاه والنعيم مثواه ثم بدا له خلاف ذلك ، أو رجل فقد طاعة كانت ستمهد سبيله إلى الجنة وتدنيه منها ، كبكاء **يونس بن عبيد** حين نظر إلى قدميه عند موته وبكى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ ، قال : " قدماى لم تغبرا فى سبيل الله " (٢).

قام **أبو عبد الله محمد بن المنكدر** ليلة يصلي ، فكثر بكاؤه حتى فزع له أهله ، فسألوه : ما الذي أبكاك ؟ ، فاستعجم عليهم فتمادى في البكاء ، فأرسلوا إلى **أبي حازم** وأخبروه بأمره ، فجاء **أبو حازم** إليه فإذا هو يبكي ، فقال : يا أخي ما الذي أبكاك ؟ قد رعت أهلك ، فقال له : إني مرَّت بي آية من كتاب الله عز وجل ، قال : وما هي ؟ ، قال : قول الله عز وجل ﴿ **وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون** ﴾ [الزمر : ٤٧] فبكى أبو حازم معه واشتد بكاؤهما ، فقال بعض أهله لأبي حازم : جئناك لتفرج عنه

---

(١) الصلاة والتهجد لابن الخراط ص (٢٧٧) .

(٢) الحلية (٣ / ١٩) .

فزدته " (١).

ولذات السبب كان عمر بن عبد العزيز لا يجف له دمع من هذا البيت (٢):

ولا خير في عيش امرىء لم يكن له   من الله في دار القـرار نصيـب

(٦) ابك تعجيل الحسنات :

هذا **عبد الرحمن بن عوف** ﷺ يؤتى بطعام وكان صائماً ، فقال : " قُتل **مصعب بن عمير** وهو خير مني ، فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة ، إن غطى بها رأسه بدت رجلاه ، وإن غطى بها رجلاه بدا رأسه ، ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط ، قد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت ، لنا ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام " (٣).

مصعب بن عمير ﷺ . . الذي كان يرتدي الثوب مرة واحد فإن تواضع فمرتين ، ثم يخلعه لا ليلبسه بل ليرميه ، ويسبل إزاره حتى يكاد يتعثر به ، ويضع عطواً يعرف بين الناس باسمه ، ويمشي مشية يحسده عليها الطاووس ، في سباق دائم مع أصحاب النعيم عفواً بل مع النعيم نفسه ، بذر هذا الخوف في قلب عبد الرحمن بن عوف ﷺ ، وهو المبشر بالجنة ، أفلا يبذر الخوف في قلبك ؟!

(٧) خف سابق علم الله فيك :

كان **الفضيل بن عياض** رحمه الله إذا لقي سفيان الثوري ، يقول له : " تعال حتى نبكي في علم الله فينا . . هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي " (٤).

وكان **أبو بكر الشبلي** يقول : " ليت شعري ما اسمي عندك يا علام الغيوب ، وبم تختم عملي يا مقلب القلوب " (٥).

وكان **بلال بن سعد** يقول : " رب مسرور مغبون ، يأكل ويشرب ويضحك وقد

---

(١) صفة الصفوة (٢ / ٨٣) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٥ / ١٣٨) .
(٣) رواه البخاري .
(٤) الفتح الرباني ص (٣٧) .
(٥) صفة الصفوة (٢ / ٢٧٧) .

حق له في كتاب الله أنه من وقود النار " [١].

(٨) نتناغم مع الكون :

البكاء من خشية الله هو المنظومة التي يسير عليها الكون بأسره ، والنشيد الذي يشترك الخلق كل الخلق في ترديده ، فإذا لم تذرف دموع الخشية فقد شذذت عن الناموس وخالفت النظام .

مر رجل على **عبد الله بن عمر** ﷺ وهو ساجد في الحجر وهو يبكي ، فقال : أتعجبون أن أبكي من خشية الله وهذا القمر يبكي من خشية الله ؟! ، قال : " ونظر إلى القمر حين شف أن يغيب (كاد أن يغيب) ولم يبق منه إلا القليل " [٢].

ما أقسى قلبك يا ابن آدم . . وما أعظم جحودك . . وما أعصاك على الله . . وصدق رسول الله ﷺ حين قال : " **ليس شيء إلا وهو أطوع لله تعالى من ابن آدم** " [٣].

(٩) ارتفاع بنقصان :

إذا قحطت عينك عن البكاء فابك على مصيبة قلبك المصاب ، وإذا بكيت فابك مرة ثانية على عدم صدقك فى بكائك ، فكلما ازدرى العبد عمله ازداد قرباً إلى الله ، وكلما استعظم عمله لم يزدد من الله إلا بعداً .

سألت **عائشة** - **امرأة أبي حفص النيسابورى** - زوجها عن البكاء ، فقال : " بكاء الصادق أن يبكى ، ويبكى على بكائه أنه غير صادق فى بكائه ، لعل الله تعالى ألا يرضى منه ذلك البكاء ، فبكاؤه على قلة صدقه فى بكائه أنفع له من ابتداء بكائه ، لأن لا يرفع للعبد حال إلا بنقصانه عنده " [٤].

---

(١) صفة الصفوة (٤ / ١٥٠) .

(٢) تاريخ دمشق (٣٧ / ٤٦) - الحافظ ابن عساكر - مؤسسة الرسالة .

(٣) رواه البزار عن بريدة ، وحسنه الألباني في ص ج ص رقم (٥٢٦٩) .

(٤) ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات ص (٧٥) - أبو عبد الرحمن السلمي - ط الهيئة المصرية العامة للكتاب .

عند التسليم

من ترك لله عوّضه الله:

لما عقر **سليمان** عليه السلام الخيل غضباً لله إذ شغله عن ذكره . . أعاضه الله عنه متن الريح وتسخير الشياطين . .

لما ترك الصحابة ديارهم وأموالهم ابتغاء مرضاته . . أعاضهم عنها أن ملكهم الدنيا بأسرها . .

لما احتمل **يوسف الصديق** عليه السلام ضيق السجن . . شكر له ذلك بأن مكّن له في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء . .

لما تغيرت أفواه الصائمين له . . كان خلوف فم الصائم أطيب عنده في الآخرة من ريح المسك . .

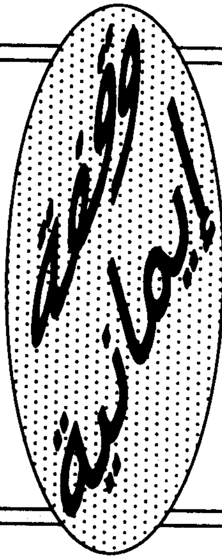
لما عطش أولياؤه في صيامهم . . كان جزاؤهم دخولهم من باب الريان لا يدخله غيرهم . .

لما بذل الشهداء أرواحهم في سبيله كافأهم بالخلود في نعيمه . . ولما تركوا زوجاتهم في الدنيا أبدل الله كل واحد منهم باثنتين وسبعين زوجة من الحور العين . .

لما بذل رسله أعراضهم فيه لأعدائهم فنالوا منهم وسبوهم . . عوّضهم الله عن ذلك بأن صلى عليهم هو وملائكته . .

الصفقة الثامنة

خير الناس أنفعهم للناس



كلمة الرجال عقد ، فلا تكونن سحابة الصيف أثبت من قولك ، ولا يكونن الخط على الماء أبقى من عهدك ، لا تكن ممن وقع العقد ، ثم لا هو يُمضي البيع ، ولا هو ينوي الفسخ ، احزم أمرك وخاطب نفسك قائلا لها : إن كان محمد صادقا فأجيبي المؤذن ، وإلا فراعي الكنيسة يدق أجراسها صباح مساء .

قبل التنفيذ

الغريق الأحمق :

من الغباء أن يتمنى الإنسان شيئاً دون دفع الثمن ليحصل عليه ، ولا يختلف اثنان على حماقة الذي يرفع يديه إلى السماء منتظراً أن تمطر عليه ذهباً وفضة ، والأحمق منه الذي يطلب النجاة في الآخرة ولا يبذل أسبابها ، يصفه **الرافعي** وهو وسط الموت قائلاً : " ويحه من غريق أحمق . . يرى الشاطئ على بعد منه فيمكث في اللجة مرتقباً أن يسبح الشاطئ إليه ، ويثبت الشاطئ ويدع الأحمق تذوب ملحة روحه في الماء .

اسبح ويحك وانج . . فإن روح الأرض في ذراعيك ، وكل ضربة منهما ثمن ذرة من هذا الشاطئ ، كذلك ساحل الخلد ، عاملاً لا وادعاً ، يلهث تعباً لا ضحكاً ، ويشرق بأنفاسه لا بكأسه ، وينضح من عرق جهاده لا من عطر لذاته " (١).

أرباح الصفقة

■ لضخامة هذه الأرباح فقد قدم **الماوردي** توطئة لذكرها ، تدفع المرء إلى التشبث بكل فرصة معروف تظهر أو بادرة خير تلوح فقال :

" ينبغي لمن قدر على ابتداء المعروف أن يعجله فإنه من فرص زمانه ، وغنائم إمكانه ، ولا يمهله ثقة بالقدرة عليه ، فكم من واثق بقدرة فاتت فأعقبت ندماً ، ومعوّل على مُكنَةٍ زالت فأورثت خجلاً ، ولو فطن لنوائب دهره ، وتحفّظ من عواقب فكره لكانت مغارمه مدحورة ، ومغانمه محبورة ، وقد قيل : من أضاع الفرصة عن وقتها، فليكن على ثقة من فوتها " (٢).

إذا هبّت رياحك فاغتنمها ... فإن لكل خافقةٍ سكون
ولا تغفل عن الاحسان فيها ... فلا تدري السكون متى يكون
وإن درّت نياقك فاحتلبها ... فلا تدري الفصيل لمن يكون

---

(١) كتاب المساكين ص (٦٣) .
(٢) فيض القدير (٤ / ٢٠٦) .

(١) **فائدة ربحية :**

قال النبي ﷺ : " **أحب الناس إلى الله أنفعهم ، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة ، أو تقضي عنه دنياً أو تطرد عنه جوعاً ، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في المسجد شهراً ، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له ثبّت الله قدمه يوم تزل الأقدام** " (١).

أخي المتعاقد على هذه الصفقة . . لا تكن ممن تعجبه الكلمات وتغمره السكرات ، أو ممن أعظم المهر وأساء الخطبة ، أو ممن رام السفر إلى الشام فسلك طريق اليمن ، بل كن من أهل العمل بهذا الحديث ، العاقدين العزم على أن تكون كلماته أوامر تطاع وتعليمات تنفذ بعد أن أيقظت فيهم مشاهدة أرباحه الرغبة في فعل الخير ، وأوقدت في ضمائرهم جذوة المعروف يأوي إليها كل ملهوف ويهتدي بها كل حيران .

لأنهم شاهدوا هذه الأرباح كان أحدهم يرى لصاحب الحاجة الفضل عليه، كما كان **الليث بن سعد** يقول : " من أخذ مني صدقة أو هدية فحقه عليّ أعظم من حقي عليه ، لأنه قبل مني قرباني إلى الله عز وجل " (٢).

بل يرى **الفضيل بن عياض** أن المعروف لا يكتمل إلا (أن ترى المنة لأخيك عليك ، إذا أخذ منك شيئاً ، لأنه لولا أخذه منك ما حصل لك الثواب ، وأيضاً فإنه خصك بالسؤال ورجا فيك الخير دون غيرك) (٣)، وفوق ذلك . . كان بعضهم يجعل الصدقة التي يريد التصدق بها في يده ، ويدعو الفقير لتناولها لتكون يد الفقير هي العليا ، ويد المتصدق هي السفلى ، إذ الفقير بقبول صدقتك يصلح لك دينك ، وأنت بإعطائه صدقتك تصلح له دنياه فيصبح له الفضل عليك .

(٢) **غفران الذنوب :**

قال رسول الله ﷺ : " **بينما رجل يمشي بطريق ، وجد غصن شوك على**

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج والطبراني عن ابن عمر، وحسنه الألباني في ص ج ص رقم (١٧٦) .

(٢) تنبيه المغترين ص (١٣٨) .

(٣) السابق ص (١٤٢) .

الطريق فأخّره ، فشكر الله له فغفر له " [١].

هذا رجل حرّكه حب الخير لا حب الثناء ، إذ لن يراه أحد ممن عبر الطريق التي مهدها ليشكره ، لكن ذلك لن يضره ، لأن الله جل جلاله بنفسه بعث له شهادة تقدير باسمه فحواها (شكر الله له) ، ووقّع عليها بصك الغفران وخاتم القبول (فغفر له) ، فهنيئاً له هنيئاً له هنيئاً له .

لما فهم ذلك **الحسن البصري** يتزلف إلى الله مع كل صدقة ينفقها ، ومع كل معروف يصنعه ويدعو بهذا الدعاء : " اللهم إن هذا يسألنا القوت ، ونحن نسألك الغفران ، وأنت بالمغفرة أجود منا بالعطية " [٢].

(٣) فقير يتصدق على فقير :

لأن الغنى ليس غنى المال فحسب ، وإنما كل ما ملكته وفقده غيرك فأنت به غني وغيرك إليه فقير ، صحة كان أو علماً أو حكمة أو غير ذلك من النعم ، فليتصدق الصحيح من صحته والعالم من علمه والبصير من حكمته ، ولينفق كل ذي فضل من فضله ، وتتغير المقاييس عند ذاك ليصبح مانع فضله هو البخيل المقيت ، وباذل خيره هو الجواد الكريم ، ويعود فعل المعروف هو العملة المتداولة في سوق الصالحين ، ورأس مالهم الذي به يتاجرون ، وبحماه يحتمون ، وإليه يركنون .

قال النبي ﷺ : " **تبسمك في وجه أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وإماطتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة** " [٣].

(٤) من أهل الجنة :

أخبرنا النبي ﷺ أن صانع المعروف صاحب القلب الرحيم من أهل الجنة ، فقال في تقريره وتحديده لأهل الجنة : " **وأهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط متصدق**

---

(١) رواه مالك وأحمد والشيخان عن أبي هريرة كما في ص ج ص رقم (٢٨٧٤) .

(٢) تنبيه المغترين ص (١٥٠) .

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد والترمذي وابن حبان عن أبي ذر كما في ص ج ص رقم (٢٩٠٨) .

موفق ، ورجل رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال " [١].

وتتنوع أساليب النبي ﷺ ليرسخ هذا المعنى في جذور قلوب أصحابه ، فتراه يسألهم يوماً : **من أصبح منكم اليوم صائماً ؟** ، قال أبو بكر ﷺ : أنا ، قال ﷺ : **من اتبع منكم اليوم جنازة ؟** ، قال أبو بكر ﷺ : أنا ، قال ﷺ : **فمن عاد منكم اليوم مريضاً ؟** ، قال أبو بكر ﷺ : أنا ، فقال النبي ﷺ : **ما اجتمعن في رجل إلا دخل الجنة** [٢].

وتأمل . . ثلاثة أسئلة من أصل أربعة تتعلق بأداء المعروف إلى الغير ، كأن رسول الله ﷺ يطل برأسه من وراء الأسطر والحروف ، يسألك بنفسه هذه الأسئلة ، ويقول لك : بذور الخيرات ثمار الجنات ، ومن قاسى هجير صنع المعروف في الدنيا قال في ظلال النعيم في الآخرة ، وكم ستقر عينه ﷺ في قبره لو كانت عزماتك خيرية وإجاباتك صديقية .

(٥) صنائع المعروف تقي مصارع السوء [٣]:

كم بلية غائبة في رحم الغيب أجهضها معروف بذلته أو هم فرجته أو حاجة قضيتها أو محنة أزحتها ، واسمع إلى **محمد بن الحنفية** حين يجزم بأن (صانع المعروف لا يقع ، ولو وقع لا ينكسر) [٤].

بل يقسم **علي بن أبي طالب** ﷺ في كلمات تلمح فيها بريق الوحي وتشم فيها رائحة النبوة ، فيقول : " والذي وسع سمعه الأصوات . . ما من أحد أودع قلباً سروراً إلا خلق الله تعالى من ذلك السرور لطفاً ، فإذا نزلت به نائبة جرى إليها كالماء في انحداره ، حتى تطردها عنه كما تطرد غريبة الإبل " [٥].

فإذا أعياك مرضك وحار الأطباء في علاجك ، وبدأ اليأس زحفه المريع نحو

---

(١) رواه أحمد ومسلم عن عياض بن حمار كما في ص ج ص رقم (٢٦٣٧) .

(٢) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة رقم (١٢) .

(٣) رواه الطبراني عن أبي أمامة وحسنها الألباني في ص ج ص رقم (٣٧٩٧) .

(٤) تنبيه المغترين ص (١٤٠) .

(٥) المستطرف في كل فن مستظرف ص (١٢٥) – شهاب الدين الأبشيهي – ط دار الكتب العلمية .

قلبك فتذكر هذا الدواء الناجح ، وجربه كما جربه **عبد الله بن المبارك** مع أحد مرضاه فعوفي وشُفي .

سأل رجل **ابن المبارك** فقال : يا أبا عبد الرحمن ، قرحة خرجت من ركبتي من سبع سنين ، وقد عالجت بأنواع العلاج ، وسألت الأطباء فلم أنتفع به ، قال : فاذهب فانظر موضعاً يحتاج الناس للماء فاحفر هناك بئراً ، فإنني أرجو أن ينبع هناك عين ، ويمسك عنك الدم ، ففعل الرجل فبرأ [1].

وإن طلبت مثلا من العصر الحديث فاسمع منا :

يذكر رجل يُسمى ابن جدعان فيقول : خرجت فى فصل الربيع ، وإذا بي أرى إبلي سمانا يكاد الربيع أن يفجر الحليب من ثديها ، فقلت : والله لأتصدقن بهذه الناقة وولدها لجاري ، فالله يقول : ﴿ **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون** ﴾ [آل عمران : ٩٢] ، وأحب حلالي هذه الناقة ، يقول : فأخذتها وابنها ، وطرقت الباب على الجار وقلت : خذها هدية مني لك ، فرأيت الفرح فى وجهه كان يرى ماذا يقول ، وجاءه منها خير عظيم .

فلما انتهى الربيع وجاء الصيف بجفافه وقحطه ، شددنا الرحال نبحث عن الماء في الدحول - والدحول هى حفر فى الأرض توصل إلى محابس مائية لها فتحات فوق الأرض - يقول : فدخلت فى هذا الدحل حتى أحضر الماء لنشرب - وأولاده الثلاثة خارج الدحل ينتظرون - فتاه تحت الأرض وانتظر أبناؤه يوما ويومين وثلاثة حتى يئسوا ، وكانوا - عياذا بالله - ينتظرون هلاكه طمعا فى تقسيم المال ، فذهبوا إلى البيت وقسموا ، وتذكروا أن أباهم قد أعطى ناقة لجارهم الفقير ، فذهبوا إليه وقالوا له : أعد الناقة خيرا لك ، وخذ هذا الجمل مكانها وإلا سنسحبها عنوة ولن نعطيك شيئاً .

قال : أشتكيكم إلى أبيكم .

قالوا : اشتك إليه ، فإنه قد مات .

قال : مات ! ! وكيف مات ؟ ولم لم أعلم بذلك ؟

قالوا : دخل دحلا فى الصحراء ولم يخرج .

قال : ناشدتكم الله اذهبوا بى إلى مكان هذا الدحل ، ثم خذوا الناقة وافعلوا ما

---

(١) رواه البيهقى عن العلي بن الحسن بن شقيق كما فى صحيح الترغيب والترهيب رقم (٩٥٣) .

شئتم ولا أريد جملكم ، فذهبوا به ، فلما رأى المكان الذى دخل فيه صاحبه الوفى ذهب وأحضر حبلا ، وأشعل شمعة ، ثم ربطه خارج الدحل ، ونزل يزحف ويشم رائحة الرطوبة تقترب ، ويتلمس الأرض حتى وقعت يده على الرجل ، فإذا هو يتنفس بعد أسبوع ، فقام وجرّه ، وربط عينيه حتى لا تنبهر بضوء الشمس ، ثم أخرجه معه خارج الدحل ، وأطعمه وسقاه ، وحمله على ظهره ، وجاء به إلى داره ، ودبت الحياة فى الرجل من جديد وأولاده لا يعلمون ، فقال : أخبرني بالله عليك ، أسبوعا كاملا وأنت تحت الأرض ولم تمت ؟ قال : سأحدثك حديثا عجبا ، لما نزلت ضعت وتشعبت بى الطرق ، فقلت : آوي إلى الماء الذى وصلت إليه ، وأخذت أشرب منه ، ولكن الجوع لا يرحم ، فالماء لا يكفي .

يقول : وبعد ثلاثة أيام ، وقد أخذ الجوع منى كل مأخذ ، وبينما أنا مستلق على قفاي ، قد أسلمت وفوّضت أمري إلى الله ، وإذا بي أحس بدفء اللبن يتدفق على فمي ، فاعتدلت في جلستي ، وإذا بإناء فى الظلام لا أراه يقترب من فمى فأشرب حتى أروى ، ثم يذهب ، فأخذ يأتينى ثلاث مرات فى اليوم ، ولكنه منذ يومين انقطع ما أدرى ما سبب انقطاعه ؟ يقول : فقت له : لو تعلم سبب انقطاعه لتعجّبت ، ظن أولادك أنك مت ، وجاءوا إلى وسحبوا الناقة التى كان الله يسقيك منها ، والمسلم فى ظل صدقته ، ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾ [(١)].

٦) دنياك مرآة آخرتك :

قال النبي ﷺ : " **إن أهل المعروف في الدنيا أهل المعروف في الآخرة ، وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة** " [(٢)].

وأهل المعروف في الآخرة وحدهم هم من يكسوهم الله ويطعمهم الله ويسقيهم الله ويغنيهم الله ، قال **عبد الله بن مسعود** ﷺ : " يحشر الناس يوم القيامة أعرى ما كانوا قط ، وأظمأ ما كانوا قط ، وأنصب ما كانوا قط ، فمن كسا لله كساه الله ، ومن أطعم لله

---

(١) الجزاء من جنس العمل ص (٥١٩ - ٥٢٠) .

(٢) رواه الطبراني عن سلمان وأبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة كما في ص ج ص رقم (٢٠٣١) .

أطعمه الله ، ومن سقى لله سقاه الله ، ومن عمل لله أغناه الله " [١].

(٧) علامة الإيمان :

تقول العامة : الإحساس نعمة ، وهذا حق فمن فقد الإحساس بغيره فقد فقد الإيمان وأخمد جذوته ، قال النبي ﷺ : " **مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** " [٢].

فالمؤمن الحق تلمح في بريق عينيه بوارق البذل ، وتسمع من فلتات لسانه كلمات البر ، وتشم بين ثنايا أفعاله رائحة احتراق النفس ليسعد الآخرون وفنائها ليحيا البائسون ، ودفنها في التراب لينبت على أثرها المحرومون .

والإحساس بالمؤمنين والمواساة لهم أنواع : (مواساة بالمال ، ومواساة بالجاه ، ومواساة بالبدن والخدمة ، ومواساة بالنصيحة والإرشاد ، ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم ، ومواساة بالتوجع لهم ، وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة ، فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة ، وكلما قوي قويت ، وكان رسول الله ﷺ أعظم الناس مواساة لأصحابه بذلك كله ، فلأتباعه من المواساة بحسب اتباعهم)[٣].

فواسِ المؤمنين بأي من هذه الأنواع ، نعلم أن في جسدك بقية حياة وفي قلبك بعض إيمان ، ولبلوغ هذا الإحساس ذروته علامات منها : بكاؤك إذا طُلِبَ إليك أن تحسن كما بكى **أبو بكر محمد بن سوقة** ، فإنه لما طلب إليه ابن أخيه شيئاً فقال له : يا عم لو علمت أن مسألتي تبلغ منك هذا ما سألتك ، قال : " ما بكيت لسؤالك ، إنما بكيت لأني لم أبتدئك قبل سؤالك " [٤].

---

(١) قضاء الحوائج ص (٤١-٤٢) - ابن أبي الدنيا - ط مكتبة القرآن .

(٢) رواه أحمد ومسلم عن النعمان بن بشير كما في ص ج ص رقم (٥٨٤٩) .

(٣) الفوائد ص (٢٢٢) .

(٤) صفة الصفوة (٣ / ٥٧) .

الشروط الجزائية

- من نزع الرحمة من قلبه فقد رمى بنفسه إلى هاوية :

(١) الخيبة والخسران :

نطق بهذا النبي ﷺ فقال : " **خاب عبد وخسر من لم يجعل الله تعالى في قلبه رحمة للبشر** " (١)، وهذه الخيبة والخسارة مردهما إلى طرده من رحمة الله ، فجزاؤه من جنس عمله ومصيره من نسج يده . .

ألم تسمع حديث النبي ﷺ : " **من لا يرحم لا يرحم** " (٢).

كان **الإمام الزمخشري** في طفولته يحبس طائراً في بيته ، فأتى هذا الطائر وقطع الحبل فنشبت رجله ، فانقطعت مع الحبل ، وذهب الطائر برجل واحدة ، فقالت له أمه : قطع الله رجلك كما قطعت رجل هذا الطائر ، فذهب فوقع في الثلج في طريقه إلى مكة ، فكسرت من فخذه ، وأصبح على رجل واحدة (٣).

ديننا يا إخوة هو الدين الذي أدخل امرأة النار في هرة حبستها ، وأدخل رجلاً الجنة في كلب سقاه ، هو دين الرحمة جاء به نبي الرحمة من رب يرحم من عباده الرحماء ، ويثيب من زرع سنبلة رحمة بين عباده بجنيها حقل رحمات يوم الحصاد ، ويُجازي من عرّض زرع رحمته للبوار يوم القيامة بالبوار .

(٢) زوال النعم :

قد قيل : " النعمة وحشية فقيدوها بالشكر " (٤).

لذا أوصى **علي بن أبي طالب** ﷺ جابرا فقال : " يا جابر ، من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس إليه ، فإن قام بما يجب لله فيها عرّضها للدوام والبقاء ، وإن لم

---

(١) رواه الدولابي في الكنى وأبو نعيم في المعرفة وابن عساكر عن عمرو بن حبيب وحسنه الألباني في ص ج ص رقم (٣٢٠٥) .

(٢) رواه الطبراني عن جرير كما في ص ج ص رقم (٦٦٠٠) والصحيحة رقم (٤٨٣) .

(٣) الجزاء من جنس العمل (٢ / ١١٨) .

(٤) إحياء علوم الدين (٤ / ١٣٢) .

يقم بما يجب لله عرضها للزوال " (١).

ويلفت **الحسن البصري** أنظارنا إلى أن كل نعمة تحمل بين ثناياها اختبارا يتعرض له كل من يتمتع بها فيقول : " إن الله ليخول العبد في نعمته وينظر ماذا يصنع فيها مع عباده ، فإن وفاهم ما طلبوا وإلا حولها عنهم " (٢).

هل علمتم الآن لماذا كان السلف يعزمون على أصحابهم ويشددون عليهم في عدم رد ما أعطوه إليهم ؟

٣) عصابة الأشقياء الثلاثة :

قال النبي ﷺ : " **ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : رجل على فضل ماء بفلاة يمنعه ابن السبيل يقول الله له : اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك** " (٣).

يستحق هذا العذاب أصحاب القلوب الحجرية الذين ظنوا أنهم استحقوا نعم الله بكدهم وتعبهم ، وأنهم حازوها بذكائهم وعبقرياتهم ، وغاب عنهم أنها عارية هم بها ممتحنون ، وأمانة هم لها مؤدون ، فمنعوا عيال الله مال الله ، فانتقم الله لعياله وحرم من حرمهم وعذّب من عذّبهم ، والموقع على العقد يعلم أن الأمر ليس مقصوراً على قوله (فضل ماء) بل الأمر أوسع وأشمل ، فيدخل فيه : فضل علم ، وفضل صحة ، وفضل مال ، وفضل نجدة ، وغير ذلك من الأفضال التي لا يخلو منها أي مسلم مهما كان فقره أو بلغت فاقته .

٤) عتاب يورث حياء وحسرة :

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " **إن الله عز وجل يقول يوم القيامة : يا ابن آدم مرضت فلم تعدني ، قال يا رب وكيف أعودك وأنت رب العالمين ؟**

---

(١) المستطرف ص (١٢٥) .

(٢) تنبيه المغترين ص (١٤٩) .

(٣) رواه الشيخان وأبو داود والنسائي وابن ماجة عن أبي هريرة كما في صحيح الترغيب والترهيب رقم (٩٥٥) .

قال : أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده ؟ أما علمت أنك لــو عدتــه لوجدتنــي عنده ؟ يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني ، قال : يارب كيف أطعمك وأنت رب العــالمين ؟ قال : أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه ؟ أما علمت أنــك لــو أطعمتــه لوجدت ذلك عندي ؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني ، قال : يارب كيف أســقيك وأنــت رب العالمين ؟ قال : استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما أنك لو ســقيته لوجــدت ذلــك عندي " (١).

- **وهو عتاب** . . لو سمعه أحد أهل الجنة من غير أهل العمل به لامتلأ حسرة وندامة على ما فاته ، فكيف لو كان سامعه من أهل النار ؟
- **وهو عتاب** . . لو كان في الدنيا حيث العمل ولا حساب لآلم أشد الإيــلام ، فكيف وهو يوم القيامة حيث الحساب ولا عمل ؟
- **وهو عتاب** . . لو وجهه إليك أخوك المريض أو الجائع أو العطشان لكســي وجهك بحمرة الخجل ، فكيف وقد وجهه إليك صاحب الأمر بالإحسان إلى هؤلاء ؟
- **وهو عتاب** . . من رب رحيم يريد به أن يقول لك : قد فتحت لك باباً مــن أبواب الجنة فلا تغلقه ، ومهَّــدت لك الطريق إليها فلا تسلك غيره ، ونقلت لك مــا يكون يوم القيامة لتتلافى أسباب العتاب وتَعُبّ من كأس الثواب ، ومن لم يهزه يسير الإشارة لم ينفعه كثير العبارة .

تسهيلات الصفقة

(١) زُر أهل البلاء :

زر داراً للأيتام ، واعطف علــى قســم الحــالات الحرجــة والحــروق بــأحد المستشفيات ، واملأ عينيك بالرؤية لمن ابتلاهم الله يظهر لك أن لين القلــوب وامتلاءهــا بالرحمة ، نتيجة عملية ورد فعل طبيعي لهذه الزيارات ، لأن حرارة نار الإشفاق تذيــب قسوة القلب ، والدموع المترقرقة في عيون هؤلاء تعظم وتعظم إلــى أن تصــير بحــراً

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة كما في ص ج ص رقم (١٩١٦) .

تغمس فيها القلوب القاسية غمسة ، لو سئلت بعدها : هل رأيت قساوة قط ؟ ، لقالت : والله ما رأيت قساوة قط ، فتعود خلقاً جديداً . . تقطر رقة ، وتفيض رحمة ، وتمتلئ حناناً .

هي وصية النبي ﷺ فينا ما ابتدعناها ، قال : " **أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك ؟ ارحم اليتيم ، وامسح على رأسه ، وأطعمه من طعامك ، يلن قلبك ، وتدرك حاجتك** " (١).

(٢) فبهداهم اقتده :

كان سلفنا الصالح رياحين من رياحين الجنة ، إذا شمها المؤمنون اشتاقت نفوسهم للجنة ، قال عنهم **مجاهد** : " ما المجتهد فيكم اليوم إلا كاللاعب فيهم " (٢)، مجتهد القرن الثالث الهجرى كاللاعب فيهم ، فكيف بمجتهد القرن الخامس عشر ؟!!

- كان **عامر بن عبد الله التميمي** إذا فصل غازياً يتوسم من يرافقه ، فإذا رأى رفقة تعجبه ، اشترط عليهم أن يخدمهم ويؤذن فيهم وأن ينفق عليهم طاقته (٣).
- وبعث **معاوية بن أبي سفيان** ﷺ إلى **أم المؤمنين عائشة** رضى الله عنها بمائة ألف ففرقتها من يومها ، فلم يبق منها درهم ، فقالت لها خادمتها : هلا أبقيت لنا درهماً نشتري به لحماً تفطري عليه ، فقالت : " لو ذكرتني لفعلت " (٤).
- ومن رحمة **عثمان بن عفان** ﷺ مع كبر سنه وعلو مقامه رحمته مع خدمه ، فقد كان عثمان بن عفان يأخذ وضوء لنفسه إذا قام من الليل ، فقيل له : لو أمرت الخادم فكفتك ، قال : " لا ، الليل لهم يستريحون فيه " (٥).
- وبلغت الرحمة من **أويس القرني** مبلغاً كان معه إذا أمسى تصدق بما في بيته من الفضل من الطعام والثياب ، ثم يقول : " اللهم من مات جوعاً فلا تؤاخذني به ، ومن مات

---

(١) رواه الطبراني عن أبي الدرداء كما في السلسلة الصحيحة رقم (٨٥٢) .
(٢) الزهد لابن المبارك ص (٤٠) – ط دار ابن خلدون .
(٣) سير أعلام النبلاء (٤ / ١١٧) .
(٤) البداية والنهاية (٨ / ١٣٦ – ١٣٧) – ابن كثير – ط دار الكتب العلمية .
(٥) تاريخ دمشق (٣٩ / ٢٣٦) .

عرياناً فلا تؤاخذني به " (١)، وكان مع فقره وحاجته يلتقط الكسرة من المزابل ، فيغسلها ويتصدق ببعضها ويأكل بعضها ، ويقول : " اللهم إني أبرأ إليك من كل كبد جائع " (٢).

(٣) معرفة النعمة طريق شكرها :

فمن نظر ببصر لا غشاوة عليه إلى نفسه رأى نعم الله عليه سابغة ، فأنفق منها وجاد كما أنفق عليه الكريم منها وجاد ، ولم يبخل . . كيف وهو يقرأ قول ربه **﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾** [آل عمران : ٩٢] ، ويبلغه تفضيل النبي ﷺ : " **اليد العليا خير من اليد السفلى ، واليد العليا هي المنفقة ، واليد السفلى هي السائلة** " (٣).

أراد **أبو ذر الغفاري** رضي الله عنه معرفة أنواع هذه النعم لتكون يده هي اليد العليا ، فألح على النبي ﷺ في السؤال ، حتى يعرفها ويعرف ما لديه منها فينفق بقدر استطاعته ويبذل مد طاقته . .

قال رضي الله عنه : سألت رسول الله ﷺ : ماذا ينجي العبد من النار ؟ قال : **الإيمان بالله** ، قلت : يا نبي الله ، مع الإيمان عمل ؟ ، قال : **أن ترضخ (تعطي) مما خوّلك الله ، وترضخ مما رزقك الله** ، قلت : يا نبي الله ، فإن كان فقيراً لا يجد ما يرضخ ؟ ، قال ﷺ : **يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر** ، قلت : إن كان لا يستطيع أن يأمر بالمعروف ، ولا ينهى عن المنكر ؟ ، قال ﷺ : **فليعن الأخرق**(٤) ، قلت يا رسول الله : أرأيت إن كان لا يحسن أن يصنع ؟ ، قال ﷺ : **فليعن مظلوماً** ، قلت يا نبي الله : أرأيت إن كان ضعيفاً لا يستطيع أن يعين مظلوماً ؟ ، قال : **ما تريد أن تترك لصاحبك من خير ؟ ليمسك أذاه عن الناس** ، قلت : يا رسول الله ، أرأيت إن فعل هذا يدخله الجنة ؟ ، قال ﷺ : **ما من مؤمن يطلب خصلة من هذه الخصال ، إلا أخذت بيده حتى تدخله**

---

(١) صفة الصفوة (٣ / ٢٧) .

(٢) السابق .

(٣) رواه الشيخان وأحمد وأبو داود عن أبي هريرة كما في ص ج ص رقم (٨١٩٧) .

(٤) الأخرق : الجاهل الذي لم يكن بيده صنعة يكتسب بها .

الجنة " (١).

نبينا ﷺ يقول لك : إن الغنى غنى القلب والجود منبعه القلب ، والقلب راع والأعضاء رعية ، وهو ملك والجوارح أتباع ، فإن نبض بالجود جادت اليد بالمال ، وجاد اللسان بالنصح والبيان ، وجاد العقل بالفكر والرشاد ، وجاد الساعد بالعون والإمداد ، وكذا في سائر النعم .

وقد علمنا أن النعم وحشية وتقييدها بالشكر ، وشكرها الإنفاق منها على من فقدها ، فحدد نعمتك أولاً ثم أنفق منها ثانياً ، يبارك الله فيها ويزدك منها . . ألم يقل ﴿ **لئن شكرتم لأزيدنكم** ﴾ [إبراهيم : ٧] .

٤) انزع شوك الكبر بملقاط التواضع :

فإن الكبر عقبة كؤود في طريق خدمة الناس والتذلل لهم بإنفاذ حاجاتهم ، ولذا أخرج الإمام أحمد ، من خبر **عبد الله بن حنظلة** ، أن **عبد الله بن سلام** ﷺ مر في السوق وعليه حزمة من حطب ، فقيل : أليس الله أعفاك من هذا ؟ ، قال : بلى ، ولكني أردت أن أدفع به الكبر ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر** " (٢).

وهذا سليل بيت النبوة **علي بن الحسين** ، كان إذا تصدق في العلن قبّل السائل ثم ناوله ، وإذا تصدق في السر خفي خبره عن الناس ، حتى كشف أمره أثر جرب الدقيق والتي كان على ظهره يحملها بالليل للمساكين (٣).

ومن تواضعهم أن الرجل منهم يصحبه تلميذه يخدمه ، فيعكس الأدوار ويأخذ البدار ، قال **مجاهد** : " صحبت ابن عمر وأنا أريد أن أخدمه فكان يخدمني " (٤).

تراحموا لأنهم تواضعوا ، وتواضعوا لأنهم تدبّروا ، ولما تدبّروا قدّم أحدهم عصارة تدبره فقال :

---

(١) رواه البيهقي عن أبي ذر كما في صحيح الترغيب والترهيب رقم (٨٦٩) .

(٢) رواه مسلم وأحمد وأبو داود والطبراني عن عبد الله بن سلام كما في ص ج ص رقم (٧٦٧٤) .

(٣) الزهد ص (٢٠٨) - أحمد بن حنبل - ط دار الريان .

(٤) البداية والنهاية (٩ / ٢٣٥) .

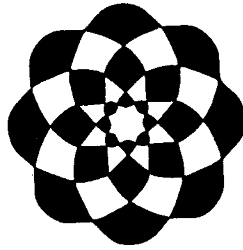
" تواضع . . فإن التراب لما ذَلَّ لأخمص القدم صار طهوراً للوجه " (١).

عند التسليم

بالتمام والكمال :

أنت صاحب همة عالية وعزيمة ماضية ، تأبى معها أن تُخدش سلعتك وتصبح معيبة ، فيزهد فيها المشتري ويردها ، بل تنشد فيها التمام والكمال لتستوفي الأجر عند تسوية الحساب بالتمام والكمال ، ومثلك يجد ضالته في أمثال قول **جعفر الصادق** :

" لا يتم المعروف إلا بثلاثة : بتعجيله وتصغيره وستره " (٢).



(١) اللطائف ص (٦٦) .

(٢) حلية الأولياء (٣ / ١٩٨) .

الصفقة التاسعة

الدال على الخير كفاعله

صفقة إيمانية

ما أحلى أن يجد الإنسان في صحيفته حسنات لم يتعب فيها ، وأن يملأ ميزانه بطاعات عملها غيره ، وأن يرتقي درجات الجنة بعد أن يواريه التراب ، وذلك بأن يعمل عند الله أجيرا يدل التائهين ليتسلم أجرته في الآخرة : سكنى الفراديس في جوار نبي أو صحابي أو شهيد .

استراحة

أشعار لها معنى . .

▪ دعا **عبد الله بن جحش** ﷺ فقال : " اللهم لقِّني غداً عدواً جلداً أقاتله فيك ، فيبقر بطني ويجدع أنفي ، حتى إذا سألتني غداً : فيم ذلك ؟ قلت : فيك يا رب ، فلما حلَّ المساء إذا أنفه وأذناه معلقتان في خيط . .

لأن عقد المحبة عندهم فيه شرط يستوجب توقيعه بالدم ، وهذا الشرط ساقط عندنا . . لسان حاله :

أجللت ذكركم عن أن يدنسه ... لون المداد فقد سطّرته بدمي
ولو قدرت على جفني لأجعله ... طِرسي وأبرى عظامي موضع القلم
لكان هذا قليلاً في محبتكم ... وما وجدت له والله من ألم

▪ بعض الناس يشتري النار لشغفه بها ، ويطلب قربها لأنه يحبها ، يتقلى بلهيبها لأنه يعشقه لسان حاله هو وأمثاله :

مسترسلين إلى الحتوف كأنما ... بين الحتوف وبينهم أرحام

▪ ليس كل ناعم حريراً ، وما كل ما لمع بريقه بذهب ، من كل ألف صدفة تخرج لؤلؤة واحدة ، ومن بين أسراب النحل تولد ملكة فريدة ، الندرة رمز الغلاء ، والوفرة علامة الرخص ، فاعرف قدر نفسك جيداً أيها المؤمن وردِّد :

وهكذا كنت في أهلي وفي وطني ... إن النفيس غريب حيثما كانا

▪ مما جاء في وصف النبي ﷺ أنه كان متواصل الأحزان ، دائم الفكرة ، ليست له راحة ، لا يتكلم في غير حاجة ، طويل السكوت ، يتكلم بجوامع الكلم ، لا فضول فيه ولا تقصير ، ليس بالجافي ولا المهين ، يعظم النعمة وإن دقت ، لا يذم شيئاً ، ولم يكن يذم

ذُواقاً (طعاماً) ولا يمدحه ، ولا يقام لغضبه إذا تُعُرِّض للحق بشيء حتى ينتصر لـه ، لا يغضب لنفسه ، ولا ينتصر لها سماحة ، وغير ذلك الكثير والكثير مما لا تسعه الصحف أو تجري به الأقلام ، ألم أقل لكم :

وعلى تفنن واصفيه بوصفه ... يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

■ إذا سقطت دموع الندم رفع أثر الزلل ، وإذا بكى العبد خوفاً ضحكت الحور شوقاً ، عيّ التائب أبلغ من ألف خطبة ، ودموع الانكسار أرجى في القبول من مائة عذر وعذر ، إذا قست القلوب لم تجد الفصاحة شيئاً ، وإذا لانت فالصمت أبلغ أحياناً من الخطب .

بليغ إذا يشكو إلى غيرها الهوى ... فإن هو لاقاها فغير بليغ

■ كما تقترب الشمعة المضيئة من أختها المنطفئة فتضيء منها ، كذلك تنجذب القلوب المريضة من القلوب السليمة فتضيء من هداها ، وتمشي على أنوارها ، كان الرجل إذا أحس قسوة في قلبه ذهب إلى **محمد بن واسع** ، فنظر إليه نظرة يعبد الله بها جمعة كاملة ، ليحكي بعدها تفاصيل المقابلة قائلاً :

ودّعت إلفي وفي يدي يده ... مثل غريق به تمسّكتُ

فَرُحت عنه وراحتي عطرت ... كأنني بعده تمسّكْتُ

■ حمل **جعفر بن أبي طالب** ﷺ الراية يوم مؤتة بيمينه فقطعت ، فالتقطتها شماله قبل السقوط ، فقطعت شماله فانتفض عضداه يقومان بالمهمة ، إلى أن شقه أحد الأعداء نصفين ، لأن جعفر يؤثر أن يسقط على أن تسقط الراية ، ويحب أن يبلى على أن تبلى ، ويختار الموت على أن يراها معفّرة في التراب ، مخاطباً دينه قائلاً له :

أنتَ لي بدرٌ فلا ... عشتُ إلى يوم مُحاقك

■ **قاعدة ربانية :** يُلبس الله كل إنسان في العلانية الثوب الذي كان يرتديه في السر ، والتعليل : لما اجتمع الشيطان مع أعضاء حزبه ليلاً ، مسح على وجوههم

وطمس أنوار بصيرتهم وأطفأ أضواء فطرتهم ، فلما طلع عليهم الصبح ظهرت فضيحـة : **﴿ كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً ﴾** ، ولما خلا الصالحون بـالرحمن ليلاً ألبسهم من نوره لأن من أسمائه النور ، ليظهر في الصباح ما كانوا يخفون ، فيـهتدي بهم الحائرون ، وأمثال هؤلاء يقولون :

كتمت حبك حتى عنك تكرمـة ... حتى استوى فيه إسراري وإعلاني

▪ الجنة . . أنشودة الصالحين على مر الزمان ، وترنيمة المتقين يدندنون بها عـبر الأجيال ، عطرها النفاذ له عبيره الخاص وعبقه الذي لا يقاوم . .

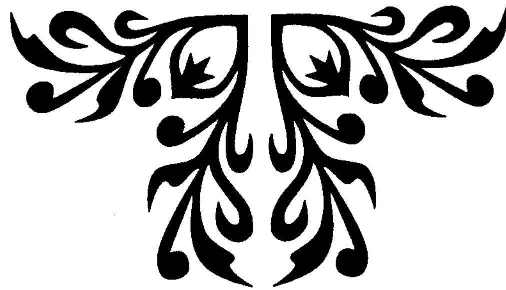
استنشقه **عمير بن الحمام** ﷺ فلم يطق الانتظار . . رأى قطار الشهادة مسـرعاً نحوها فخاف أن يفوته ، فألقى بالتمرات من يده وركب في أول قاطرة . .

واستنشقه **عبد الله بن رواحة** ﷺ يوم مؤتة ، فانطلق يغني لها : يا حبـذا الجنـة واقترابها ، ثم جاد لها بدمه . .

واستنشقه **سعد بن خيثمة** ﷺ في بدر ، فما آثر بها أباه الذي رباه ، لأن الجنـة ليست مما يسري عليه قانون الإيثار قائلاً : " والله لو كانت غير الجنة لآثرتك بها " . .

الشوق غامر والحب جارف والصبر نفد ، فمتى نلقى الأحبة محمداً وصحبه ؟

أرى البين يشكوه المحبون كلهم ... فيارب قـرّب دار كل حبيب



الصفقة التاسعة

الدالُّ على الخير كفاعله

وقفة إيمانية

ما أحلى أن يجد الإنسان في صحيفته حسنات لم يتعب فيها، وأن يملأ ميزانه بطاعات عملها غيره، وأن يرتقي درجات الجنة بعد أن يواريه التراب، وذلك بأن يعمل عند الله أجيرا يدل التائهين ليتسلم أجرته في الآخرة: سكنى الفراديس في جوار نبي أو صحابي أو شهيد.

قبل التنفيذ

بين الديك والدجاجة :

أيهما أفضل : الداعية في ميدانه أم الزاهد في محرابه ؟

التقي ديك ودجاجة في حظيرة ودار بينهما هذا الحوار . .

الدجاجة : كف عن صياحك أيها الديك ، فإن صوتك قبيح .

الديك : ويحك ! ! صوتي هو الذي يوقظ النائمين ، ويؤنس العباد والقائمين ويبعث الروح في الكسالى والخاملين فكيف يكون قبيحا ؟!

الدجاجة : كفاك فخرا بنفسك فلي صوت كصوتك .

الديك : وهل يقظة كغفلة ؟ في الأسحار أصيح وأنت في الأحلام ، وأهتف والناس نيام ، ويكفيني فخرا أن خير الخلق ﷺ كان إذا سمع صوتي وثب من فراشه إلي محرابه .

الدجاجة : لكن قوما أزعجهم صوتك فانهالوا عليك بالشتم والسباب .

الديك : أموات غير أحياء ، أما سمعوا أمر الرسول ﷺ : " **لا تسبوا الديك فإنه يوقظ للصلاة** " ؟! .

الدجاجة : فما بال طلب الناس على أكثر ؟

الديك : تخدمين دنياهم فيكافئونك بالذبح ، وأخدم آخرتهم فيكرمونني بالمدح ، وعند مس النار يبين الفرق !!

أرباح الصفقة

(١) الأجور المضاعفة :

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال النبي ﷺ : " **من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا** " [١].

(١) رواه أحمد ومسلم والنسائي والترمذي عن أبي هريرة كما في ص ج ص رقم (٦٢٣٤) .

لو فكر أحدنا قليلا وسأل نفسه : إلى من يرجع ثواب هدايتـــه إلـــى الإســـلام ؟ لتبادر إلى الذهن فورا آباؤنا وأمهاتنا ، ومن بعدهم الأجداد والجدات ، ثم من بعدهما مـــن وراءهم ، وصولا إلى الصحابي الجليل **عمرو بن العاص** ﷺ فاتح مصر وناشر الإســـلام فيها ، والذي ما نحن إلا بعض حسناته ، وما من حسنة يعملها أهل الإسلام في مصـــر إلا وضع له مثلها في ميزانه وميزان أصحابه ، وكذا حال أهل العراق مع **ســـعد بـــن أبـــي وقاص** ﷺ ، وحال أهل المغرب مع **عقبة بن نافع** ﷺ .

مات هؤلاء الصحابة وبليت أجسادهم ، ومع ذلك لا زال ملك حســـناتهم يكتـــب ويسجل في صحائف أعمالهم ما لا يحصى من عظيم أجر وارتفاع درجة ، وسيظل يسجل ويسجل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهل هؤلاء الفاتحون وأشباههم إلا بعـــض حسنات رسول الله ﷺ ؟!

وأنت إذا أردت أن تنال بعض ما نالوا ، فابذل كلمة طيبة تنبت لك شجرة طيبـــة ، أصلها ثابت في جذر القلب ، وفرعها بازغ في سماء الأجر ، تؤتي أكلها كل حيـــن فـــي الدنيا قبل الآخرة بإذن ربها .

إذا علمت أخا لك آية من كتاب الله ، ظل ثوابها يسجل في صحيفتك كلما قرأهـا ، فكيف لو تدبرها ؟! وإذا حضر معك مجلسا إيمانيا أو صلى معك صلاة ليل ، فكانت ســببا في صلاحه كتب لك مثل ما عمل من صالحات بقية حياته ، فكيف لو دعـــا غـــيره ؟ وإذا أهديته كتابا أو شريطا فعمل بما فيه نلت مثل أجره ، فكيف لو أسمعه أهل بيته ؟

فبالله كيف يغفل عاقل عن مثل هذا الثواب ؟ أم كيف تقر عين نائم عن مثل هـــذا الكنز ؟ يا فوز فوز من وجده ، ويا ضيعة ضيعة من فقده ، أين داع إلى ربـــه ؟ أيـــن دال عليه ؟ أين مرشد إليه ؟ راموا الأجر فسلكوا الدرب ، وتبعوا الصحب فحـــازوا القـــرب ، وعند الصباح يحمد القوم السرى .

(٢) علامة إيمان :

قال عز وجـــل : ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** ﴾ [التوبة : ٧١] .

كما المطر يدل على السحاب ، والشرر يدل على النـــار ، والأثـــر يـــدل علـــى المسير ، كذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يدلان على الإيمـــان ، فـــإذا اندرســـت

آثارهما في قلب عبد ، دل ذلك على فقده شرطا من شروط الإيمان وصفة لازمة له وعلامة دالة عليه ، وعندها تخمد جذوة الإيمان في القلب ويصير صورة لا حقيقة ، وحروفا لا روحا ، وخيالا لا واقعا ، ويظل يتضاءل ويتضاءل حتى يصل في المقدار إلى صفر .

قال ﷺ : " **ومن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل** " (١).

ومرد ذلك إلى أن المؤمن الحق يغضب لمحارم الله إذا انتهكها المنتهكون ، ولحقوقه إذا تهاون بها المتهاونون ، والإسلام كله حث على تأجيج نار الغيرة على محارم الله ، ولما كان الأنبياء أشد الناس غيرة على هذه المحارم ، كانوا أشد الناس قياما بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعلى قدر غيرتك يكون إنكارك ، وعلى قدر إنكارك يكون إيمانك ، فاعلم حقيقة إيمانك قبل أن تصدح في الآفاق بهتاف الإيمان .

(٣) الغربة اللذيذة :

قال عز وجل : ﴿ **فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم ..** ﴾ [هود : ١١٦] .

وقد استشهد شيخ الإسلام **ابن تيمية** بهذه الآية في باب الغربة ، وهذا يدل على رسوخ قدمه في العلم والمعرفة ، قال ﷺ : " **بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء** " ، قيل : ومن الغرباء يا رسول الله ؟ ، قال ﷺ : " **الذين يصلحون إذا فسد الناس** " (٢).

ويعلق صاحب المدارج قائلا :

" فهؤلاء هم الغرباء الممدوحون المغبوطون ، ولقلتهم في الناس جدا : سموا (غرباء) فإن أكثر الناس إلى غير هذه الصفات ، فأهل الإسلام في الناس غرباء ، والمؤمنون في أهل الإسلام غرباء ، وأهل العلم في المؤمنين غرباء ، وأهل السنة الذين

---

(١) رواه مسلم وأحمد عن ابن مسعود كما في ص ج ص رقم (٥٧٩٠) .

(٢) رواه الآجري في الغرباء وأبو عمر والداني في السنن الواردة في الفتن ، وله شاهد من حديث سهل بن سعد عن الطبراني رقم (٥٨٦٧) ، وهو حديث صحيح .

يميزونها من الأهواء والبدع فهم غرباء ، والداعون إليها الصابرون على أذى المخالفين هم أشد هؤلاء غربة ، ولكن هؤلاء هم أهل الله حقا ، فلا غربة عليهم ، وإنما غربتهم بين الأكثرين الذي قال الله فيهم : ﴿ **وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله** ﴾ [الأنعام : ١١٧] " (١).

أخذ هذا المعنى **عبد الوهاب عزام** فنظمه في بيتين من الشعر قائلا :

قال لي صاحب أراك غريبا ... بين هذا الأنام دون خليل
قلت كلا بل الأنام غريب ... أنا في عالمي وهذي سبيلي

هذي سبيلي : هتاف المؤمنين في كل عصر ومصر ، لا يحيدون عنه ولا ينخدعون بغيره ولا يرتجون سواه . .

هذي سبيلي : سبيل الأنبياء وورثة الأنبياء ، ومن رام مرافقة الأنبياء في جنات السماء . .

هذي سبيلي : مهما اشتدت الظلم ، وهل يضير المصباح حلكة الظلمات حوله ؟ وهل يعيب الجوهرة وجودها في كوم من الخرز ؟ وهل ينقص قيمة الكنز دفنه بين التراب ؟

هي غربة تميز إذن لا غربة وحشة ، إذ لا وحشة مع الأنس بالله ، ولا وحدة مع مؤاخاة الصالحين ، من لدن آدم إلى أن يرث اله الأرض ومن عليها .

قطرة الزيت يا سادة علت سطح الماء لما صبرت على العصر وطحن الرحا ، كثيفة بما يوحي بغناها ، متماسكة بما يدل على تميزها ، وكذلك الداعية إلى الخير علا قدره لما صبر على التزام الحق والثبات عليه ، وعلا بإيمانه فلم يهبط إلى القاع ، وسما بصلاحه فلم ينشغل بالسفاسف ، وأغناه ما بذل فيه من تربية وجهد ومجاهدة ورشد ، وارتقى مدارج السالكين ليقبس من أنوار الهدى ، فيضيء ظلمات الورى .

(٤) هذه بضاعتكم ردت إليكم :

المصلحون هم سبب تنزل الرحمات وحلول البركات التي تعم الخلق كل الخلق والحياة بما حوته الحياة ، وهو فضل لا ينسى ويد لا تنكر فكان رد الجميل واجبا : دعاء

---

(١) تهذيب مدارج السالكين ص (٥٧٨) .

لهم بالرحمة وطلب بالمغفرة جزاء وفاقا .

قال النبي ﷺ : " **إن الله سبحانه وملائكته حتى النملة في حجرها ، وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير** " (١).

(٥) توريث شرعي :

قال ﷺ : " **وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر** " (٢).

فمن ورث هذا العلم ودعا إليه فهو عريق في نسب النبوة ، وإن لم تربطه بالأنبياء رابطة الدم واللحم وشائج القربى والنسب ، قال عز وجل : ﴿ **ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين** ﴾ [فصلت : ٣٣] .

فهو وظيفة الأنبياء ، ولذا فهي أشرف وظيفة وأعظم مهمة وأسمى رسالة وأنبل غاية ، والآخرون النهاة يقتفون الأثر ويلزمون النهج ، فبهم يقتدي السالك ، ويهتدي الحائر ، ويوقظ النائم ، ويشفى العليل ، ويسير الواقف ، ويقبل المعرض ، ويكمل الناقص ، ويرجع الناكص ، ويقوى الضعيف ، وينهض المتعثر ، زاد لكل محتاج ، وعون لكل عاجز ، ونور لكل تائه ، آخذين بحجز الناس عن النار والناس يتدافعون ، دافعين إياهم إلى الخير إذ هم في غفلاتهم معرضون ، قبضوا أجرهم من الله سلفا فارتضوا ما أصابهم من الناس تلفا ، أدعيتهم نبوية على رأسها : اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون ، محاسبتهم عمرية مفادها : لو ضلت نفس على شط الفرات لسألنا الله عنها لم لم تهدوها الطريق ؟ معاملتهم شجرية : يرميهم الناس بالحجر فيرمونهم بالثمر.

ولأنها درجة ترنو إليها كل نفس ويهفو إليها كل قلب فقد استثناها الله من تحريم الحسد فقال ﷺ : " **لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها** " (٣).

---

(١) رواه الترمذي والطبراني والضياء عن أبي أمامة كما في ص ج ص رقم (١٨٣٨) .

(٢) رواه أحمد والنسائي وابن ماجة وابن حبان عن أبي الدرداء كما في ص ج ص رقم (٦٢٩٧) .

(٣) رواه الشيخان وأحمد وابن ماجة عن ابن مسعود كما في ص ج ص رقم (٧٤٨٨) .

(٦) **صمام أمان** :

عن النعمان بن بشير ﷺ عن النبي ﷺ قال : " **مثل القائم على حدود الله والمدهن فيها كمثل قوم استهموا على سفينة في البحر ، فأصاب بعضهم أعلاها ، وأصاب بعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقال الذين في أعلاها : لا ندعكم تصعدون فتؤذونا ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا** " (١).

فالمصلحون هم سبب نجاة السفينة ، هم قدر الله الذي يدفع قدر الله ، قدر الإصلاح الذي يدفع قدر الإهلاك ، هم أجسام المناعة المضادة التي تحاصر جرثومة الفساد ولا تهدأ أو تستريح حتى تقضي عليها ، فيبرأ العليل ويشفى السقيم ويزول المرض بإذن الله ، وهم صمام الأمن للمجتمع يحول دون غرقه في بحر الرذائل والذي معناه الغرق في عذاب الله ، وانغماسه في برك المنكرات والمرادف لانغماسه في حمم النار ﴿ **وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون** ﴾ [هود : ١١٧] .

وقد يقول قائل عن حسن نية وسلامة قصد : وهل أنا وحدي سأصلح المجتمع ؟ هل أنا حين أؤمن وآمر وأنهى ، سأنقذ السفينة الهاوية إلى القرار أو الأمة الغارقة في الأوزار ؟ كلا . .

فحين توجد في مجتمع يوشك أن يتحطم ، في سفينة توشك على الهلاك ، فلن تقفها وحدك عن النهاية المحتومة ، ولن تنقذها وحدك من الهلاك .

نعم . . ولكنك تنقذ نفسك ، فحتى حين تتحقق السنة التي لا تتخلف ، حتى حين ينفذ الوعد الحق وتتحطم السفينة ، حتى حينئذ فشتان بين غريق وغريق . . غريق في جهنم لأنه فاجر ، وغريق في الجنة لأنه شهيد ، فمن ذا الذي يبيع الآخرة بالدنيا ويسعى إلى النار ، وهو يغرق في حين يملك - حتى وهو يغرق - أن يسعى إلى النعيم (٢).

---

(١) رواه البخاري وأحمد والترمذي عن النعمان بن بشير كما في ص ج ص رقم (٥٨٣٢) .

(٢) قبسات من الرسول ص (١٧١) - محمد قطب - ط دار الشروق .

(٧) علامة قرب من الله :

هذا ما سبق ولخصه **ابن الجوزي** حين اصطاد إحدى خواطره التي نصحك فيها فقال : " ألست تبغي القرب منه ؟ فاشتغل بدلالة عباده عليه ، فهي حالات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، أما علمت أنهم آثروا تعليم الخلق على خلوات التعبد لعلمهم أن ذلك آثر عند حبيبهم ؟ " (١).

وهذا الفهم متواتر عند سلفنا ، فهمه **عبد القادر الجيلاني** كما فهمه من قبله ابن الجوزي ، وعندما قسم الناس أربعة أقسام في كتابه القيم (**فتوح الغيب**) ، جعل في غرتهم من منحه الله القلب واللسان والذي (اصطفاه واجتباه وجذبه إليه ورقاه ، وإلى باب قربه هداه ، وجعله جهبذا وداعيا للعباد ، ونذيرا لهم ، وحجة فيهم ، هاديا مهديا شافعا مشفعا صادقا صديقا ، بدلا لرسله وأنبيائه عليهم صلواته وسلامه وتحياته وبركاته ، فهذه هي الغاية القصوى في بني آدم ، لا منزلة فوق منزلته إلا النبوة) (٢).

فبسلوكك طريق الدعوة إلى الله تقرب من صاحب الجلال والإكرام ، وتدخل عليه فيخلع عليك خلع الغفران ، ويفيض عليك بفيوضات الإحسان ، وتستمتع في نعيمه بمصاحبة النبي ﷺ ، ومجالسة الصديق ، ومؤانسة الفاروق ، ومرافقة ذي النورين ، ومعانقة علي ، ومشاهدة صحابة النبي ﷺ رضي الله عنهم أجمعين ، فإن أردت أن تحجز مقعدك معهم فلا تتأخر عن دفع الثمن ، اشغل نفسك بشغلهم الذي أفنوا فيه أعمارهم ، وأنضوا أجسادهم ، وبذلوا مهجهم ، من دعوة الخلق ، وانتشالهم من الشك إلى اليقين ، ومن الرياء إلى الإخلاص ، ومن الغفلة إلى الذكر ، ومن الرغبة في الدنيا إلي الرغبة في الآخرة ، ومن دروب الهوى إلى سبل الهدى ، ومن غواية الشيطان وحزبه إلى ولاية الرحمن وجنده . . هذا هو الثمن . . وهذا هو السبيل . . وأنت صاحب همة عالية تأبى معها إلا أن تكون في المقدمة والصدارة والنبلاء والقادة .

(٨) وطريق إلى حسن الخاتمة :

علمنا مشايخنا أن من عاش على شيء مات عليه ، ومن مات على شيء بعث

---

(١) صيد الخاطر ص (٢٦) .

(٢) شرح فتوح الغيب ص (١١٨) – عبد القادر الجيلاني – ط دار القادري .

عليه ، من أنضى جسده طوال الرحلة أكرم عند الوصول ، ومن رق لها فلم يتعبها فاتـــه حتى القبول ، من كد كد العبيد في مبتداه تنعم تنعم الأحرار في منتهاه ، شـــجر المكـــاره يثمر المكارم ، من كانت بدايته محرقة كانت نهايته مشرقة .

هذه النهاية المشرقة كانت من نصيب أحد دعاتنا الأفذاذ الصادعين بكلمة الحـــق ولو كان ثمنها حياتهم ، **أبو بكر النابلسي** . . كان هذا هو اسم الرجل الذي كان إماما فـــي الحديث والفقه ، وكان قبلة الناس ووجهتهم يقصدونه يتعلمون منه ويقتدون .

لما حكم بنو عبيد مصر غيروا شريعة الله ، وأحلوا الحرام ، وجـــاهروا بشـــرب الخمر في نهار رمضان ، وأباحوا نكاح المحارم ، وأفسدوا غاية الإفساد ، فـــانبرى لـــهم أسد السنة يأمر وينهى ويبين ويغير ، يرث بذلك الأنبياء في مهمتهم ، ويباشـــر دورهـــم الذي ابتعثهم الله له ، فسجنوه ثم صلبوه ثم أمروا يهوديا فسلخه ، وسلخ من مفرق رأســـه حتى بلغ الوجه ، فكان يذكر الله ويصبر حتى بلغ الصـــدر فرحمـــه الســـلاخ ، فوكـــزه بالسكين موضع قلبه فقضى عليه .

كان **الدراقطني** يذكره ويبكي ويقول : " كان يقول وهو يسلخ : **﴿ كان ذلك في الكتاب مسطورا ﴾** [الأحزاب : ٦] " (١).

تأمل - حفظك الله - يذكر الله وهو يسلخ لأن شغله الشاغل في الدنيا كان ذكـــر الله ، وتعليم ذكر الله ، والحث على ذكر الله ، بل كانت رؤية وجهه تبعث الناس على ذكر الله ، فكوفئ بأن تنزع روحه لحظة ذكره ليرث بذلك الفراديس ويزف إلى الحور .

وكان موته على تلك الحال أعظم خطبة خطبها منذ ارتقى المنابر ، لكن منـــبره اليوم كان خشبته التي صلب عليها ، وكلماته كانت دماءه التي تسيل منه قطـــرة قطـــرة ، وزمان خطبته هو مدة تعليقه مصلوبا ينظر إلى قاتليه من عل ، نعله فوق رؤوسهم ، دمـــه الذي أراقوه سر شقائهم ، كما هو في ذات الوقت سبب هنائه .

وليس العجب في موته وهو يذكر الله ويدعو إليه ، إنما العجب كل العجب في أن أبا بكر ظل يدعو إلى الله بعد خروج روحه من جسده ! ! كان النـــاسْ يمـــرون بجســـده فيسمعون منه صوت تلاوة القرآن ، كرامة من الكرامات حازها من قدم روحه رخيصـــة في سبيل الله ، فأبى الله إلا أن يكافئ من ضحى في سبيله ، وأن يعطيه أجره على رؤوس

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٦ / ١٤٨-١٤٩) .

الأشهاد وأن يجعله ممن دعا إلى الله حيا وميتا !!

الشروط الجزائية

(١) **جنازة قلب** :

سئل **حذيفة بن اليمان** ﷺ عن ميت الأحياء فقال : " الذي لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه " [١]، وهي كلمة لها وزنها نطق بها صحابي خبير بعلامات النفاق وآيات أهله ، وائتمنه النبي ﷺ على أسماء المنافقين .

وبانتشار الموتى في الأمة يؤول حالها إلى ما تخوف منه حذيفة حين قال : " يأتي على الناس زمان لأن تكون جيفة حمار أحب إليهم من مؤمن يأمرهم وينهاهم " [٢]، ولذا أرسل **ابن القيم** صواعق كلامه على هؤلاء فأحرق سترهم وكشف زيفهم وفضح خبثهم فقال :

" وعلى القادر على الأمر بالمعروف النهي عن المنكر بيده ولسانه ما ليس على العاجز فيهما ، وقد غر إبليس كثيرا من الخلق بأن حسن لهم القيام بنوع من الذكر والقيام والصلاة والصيام والزهد في الدنيا والانقطاع ، وعطلوا هذه العبوديات فلم يحدثوا قلوبهم بالقيام بها ، وهؤلاء عند ورثة الأنبياء – أي العلماء الصادقين – ممن لا غناء فيهم للدين ، فإن الدين هو القيام لله بما أمر به .

وأي دين وأي خير فيمن يرى محارم الله تنتهك ، وحدوده تضيع ، ودينه يترك ، وسنة رسوله ﷺ يرغب عنها ، وهو بارد القلب ساكت اللسان ، شيطان أخرس .

وهؤلاء مع سقوطهم من عين الله ومقت الله لهم ، قد بلوا في الدنيا بأعظم بلية تكون وهم لا يشعرون وهي موت القلوب ، فإن القلب كلما كانت حياته أتم كان غضبه له ولرسوله أقوى وانتصاره للدين أكمل " [٣].

---

(١) إحياء علوم الدين (٢ / ٣٣٨) .

(٢) السابق .

(٣) زاد المعاد .

(٢) دعاء مردود :

تولد كلمات الدعاء على أطراف اللسان فينفخ فيها القلب من روحه ، فتصعد الروح إلى بارئها ﴿ **إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** ﴾ [فاطر : ١٠] ، وهل عمل الداعية إلا كلم طيب يدل به على الله وعمل صالح يصدق هذا الكلم ، فإن مات القلب بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولدت كلماته ميتة لتدفن في باطن الأرض بدلا من أن ترتقي مدارج السماوات ، ولتواري التراب بدلا من مجاورة السحاب .

قال ﷺ : " **لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم** " (١).

(٣) الهلاك :

ينص القانون الإلهي على أن نزول العذاب وهلاك الأمم ، مرتبط بارتفاع نسبة الخبث لقلة المصلحين ، سألت **أم الحكم زينت بنت جحش** رضى الله عنها ، النبي ﷺ فقالت : أنهلك وفينا الصالحون ؟ ، قال : " **نعم إذا كثر الخبث** " (٢).

ومن مظاهر انتشار الخبث إظهار المعصية وعدم إخفائها ، بل والتبجح بفعلها ، لذا قال **بلال بن سعد** : " إن المعصية إذا خفيت لم تضر إلا صاحبها ، فإذا أعلنت ولم تغير أضرت بالعامة " (٣).

وقد ذكر **الإمام أحمد** وغيره أثرا أن الله سبحانه أوحى إلى ملك من الملائكة أن اخسف بقرية كذا وكذا ، فقال : يا رب كيف وفيهم فلان العابد ؟ ، فقال : " به فابدأ فإنه لم يتمعر وجهه — أي لم يتغير — في يوما قط " .

(٤) أول النقص :

عن **ابن مسعود** رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **إن أول ما دخل النقص على**

---

(١) رواه الترمذي عن حذيفة كما في رياض الصالحين رقم (١٩٨) .

(٢) متفق عليه كما في رياض الصالحين رقم (١٩٤) .

(٣) إحياء علوم الدين .

بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم " ، ثم قال ﷺ : ﴿ **لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ❁ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ❁ ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم . .** ﴾ ، إلى قوله : ﴿ **فاسقون** ﴾[1] [المائدة : ٧٨ - ٨١] .

هذه خطة إبليس وهذا أول النقص : يبعث المنكر على العباد فإذا كانوا مصلحين فأنكروه فقد قطعوا عليه الطرق ، وإذا لم ينكروه نزع الشيطان من قلوبهم كراهية المنكر - التي جبلوا عليها بالفطرة - شيئا فشيئا ثم استبدل به حب هذا المنكر ، فيأمرون به وينهون عن المعروف .

وبين الخطوة الأخيرة وأول خطوة : كيد ومكر وخديعة وغي ، قد يستغرق زمنا طال أو قصر ، لكن مفتاح الدخول لا يملكه الشيطان إلا أن يسلمه له العبد بيده ليفتح به ، وهذا هو أول النقص .

تسهيلات الصفقة

- أقصد بهذه التسهيلات أن أبين لك وجوب الدعوة إلي الله ، وكونها من فروض الأعيان :

(١) هذا التشريف فأين التكليف ؟! :

شرف الله هذه الأمة بما لم يشرف به غيرها من الأمم ، وخصها بفضائل النعم وفيوضات الكرم ، كان النبي يبعث إلي قومه خاصة وبعث نبينا ﷺ إلي الناس عامة ، وكانت معجزة النبي فيما مضى تنقضي بموته، وظلت معجزته ﷺ خالدة إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وأدي الرسول ﷺ الأمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة وكشف الغمة ، وتركنا علي المحجة البيضاء ليلها ونهارها سواء ، ونفذ ما أراد الله منه ﴿ **ويكون**

---

(١) رواه أبو داود والترمذي .

الرسول عليكم شهيدا ﴾ ، بل وأشهد أصحابه علي ذلك في حجة الوداع فقال : " **ألا هل بلغت اللهم فأشهد** " .

أدي دوره وبقي دورنا ، حمل الراية ثم سلمها لنا ، شهد علينا، وبقيت شهادتنا علي الناس : ﴿ **وتكونوا شهداء على الناس** ﴾ ، ورحل بعد أن ألقى بالأمانة الثقيلة علي أعناقنا ، والمسئولية الجسيمة علي كواهلنا ، والتكليف الصارم الرهيب الذي لا مفر لأحد من أدائه ، فالله من ورائه فلا يمكن التفلت منه ولا التردد فيه ولا النكوص عنه ، فهل كنا عند حسن ظن رسول الله ﷺ ؟!

تركنا رسول الله ﷺ وودّعنا وهو يبتسم آخر ابتسامة له ، حين رأى أصحابه في المسجد يصلون ، ابتسم لأن الراعي اطمأن علي رعيته قبل الرحيل ، والأستاذ اطمأن علي تلامذته قبل الامتحان ، وتركهم علي الدرب سائرين وبه مستمسكين ، حتي اذا ما بعثه الله يوم القيامة ظن أن أمته سارت علي ما ترك أصحابه عليه ، فيقول مشفقا حين يري نفرا من أمته يصرف عن حوضه : **يا رب أمتي أمتي** ، فيقال له : يا محمد إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك .

أتدري يا محمد ما أحدثوا بعدك ؟!

اشتروا بهديك ضلال الكفار ، واستبدلوا بشريعتك شريعة الأغيار ، واستبدلوا بأكل الحلال التعامل بالربا وأكل الحرام ، وبمراعاة إخوان العقيدة موالاة أعداء العقيدة ، وبالحض علي الفضيلة والدعوة اليها الحث علي الرذيلة والدعوة اليها ، وهجروا كتاب ربهم الذي وصلهم مضمَّخا بدماء الشهداء من أصحابك ، وزهدوا في سنتك التي فنيت في حفظها أعمار أتباعك .

يا رسول الله . .

لو رَدَّ الله عليك روحك ، وخرجت من قبرك تتفقد أحوال أمتك ، لهالك ما استشري فيهم من تبرج النساء ، وضلال الأدباء ، وتفشي الداء ، وتفرق الزعماء ، وفساد الشباب ، واتباع الهوي ، والمجاهرة بالفسق ، والإعلان بالخطيئة ، والمباهاة بالحرام ، والتبجح بمبارزة الرب بالمعصية .

يا رسول الله ..

صار قدواتهم فساقهم ، ونجومهم فجارهم ، وشرارهم أئمتهم ، وتحققت فيهم

نبوءتك فكثرت الرويبضات [1]، وصاروا أصحاب الصوت والضوء ، وامتلكوا البر والبحر والجو ، فرغباتهم أوامر ، وإفسادهم إصلاح ، وضلالهم إرشاد ، وظلمتهم نور ، وأمتك . . آه من أمتك . . تُغوى فتغوي ، وتُضل فتضل ، وتُساق إلى حتفها كما تساق الشاة ، لا تدري أن السكين ينتظرها آخر الطريق ، حتى أن الكثير من الصالحين انتقلت إليهم العدوى وسري فيهم الوباء ، فصاروا حبيسي الصومعة ومرتع الدعة ، وأيقظوا في نفوسهم العزلة والتواري ، وأناموا الدعوة إلى المعروف وبذل الغالي ، فروا من البلوى زعموها تقوى ، وانسحبوا من معارك الحياة حسبوها نجاة ، الفكر عندهم موجود ، لكن الروح ميتة ، والعزائم خائرة ، والهمم في سبات عميق ، صدق فيهم قول القائل :

أرى التفكير أدركه خمول ... ولم تعد العزائم في اشتعال
وأصبح وَعظُنا من غير سحر ... ولا نور يطل من المقال
وعند الناس فلسفة وفكر ... ولكن أين تلقين الغزالي
وجلجلة الأذان بكل صوت ... ولكن أين صوت من بلال
منابر كم علت في كل حي ... ومسجدكم من العُبّاد خال

أليس هذا حالنا ؟ أليس هذا عارنا ؟ أليست هذه تهمتنا ؟ والله . . إن قعودنا عن تغيير هذه المنكرات لهو جريمة قتل متعمدة ، نقتل فيها الأمانة التي حمّلنا الله إياها ، واستودعها رسول الله ﷺ أمانة عندنا ﴿ **وتكونوا شهداء على الناس** ﴾ ، فإن تذرع البعض بأن الدعوة إلى الله من فروض الكفايات قلنا لهم : وهل تحققت الكفاية في هذا الزمان ؟ نظرة واحدة إلى مجتمعنا . . ويأتيكم الرد .

يا أتباع محمد ﷺ :

أؤمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر . . كل شمعة تضيء تعني ظلاما يتبدد . . كل تقدم بمعروف يساوي انسحابا لمنكر . . أقيموا الدين يا أتباع الدين . . أحيوه في قلوبكم . . في بيوتكم . . في أعمالكم . . في حركاتكم . . في سكناتكم . . في حياتكم كل حياتكم . . بل حتى في الممات .

---

(١) **الرويبضة** : هو الرجل التافه يتكلم في أمر العامة ، كما جاء في الحديث الذي رواه أحمد وابن ماجة عن أبي هريرة كما في ص ج ص رقم (٣٦٥٠) .

يا من مَنَّ الله عليهم بالصلاح .. أين الإصلاح ؟!

يا من أغناهم الله بالهداية .. أين زكاة الهداية ؟!

يا من خرجوا من متاهة الضلال إلى نور الهدى . . أين حق الصحبة ؟!

يا من جاهد نفسه . . أنفق يُنفق عليك ، ألم تقرأ : ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** ﴾ . . ارحموا من ضل الطريق ، وافتقد الرفيق . . أفيضوا عليهم من الماء أو مما رزقكم الله ، بالله . . لا تبخلوا ولو بكلمة . . نصيحة . . لفظة ، . نظرة . . فالأرض عطشى تنشد ريَّكم ، والناس هلكى ترقب روحكم ، والزهر ينتظر لمحة من نوركم ليتفتح ، والجمر يترقب نفخة من هداكم ليتوقد ، والله من وراء ذلك يحصي أعمالكم ليُجزل ويتفضل .

إخوتاه . .

لا تطووا هذه الصفحة حتى تعملوا بما جاء فيها ، ولا تعودوا بعدها كما بدأتم ، لبوا نداء الله بقولكم : ﴿ **سمعنا وأطعنا** ﴾ ، ولا تكونوا ممن صموا آذانهم عن سماع الحق ﴿ **ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم** ﴾ .

(٢) فطرة هدهدية :

هذا هدهد سليمان لما غاب في جولة من جولاته ، فاجأه منظر منكر من أفظع المنكرات ، وغواية من أضل الغوايات : أناس يسجدون للشمس من دون الله ، فيرجع إلى سليمان منكر بقلبه ولسانه ، طالبا إلي ولي الأمر أن يغير بيده ، عرض الفساد الاجتماعي فقال : ﴿ **وجدت امرأة تملكهم** ﴾ ، وحلل سبب ذلك في قوله : ﴿ **وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم** ﴾ ، وعرض الفساد العقائدي فقال : ﴿ **وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله** ﴾ ، وحلل سبب ذلك في قوله : ﴿ **وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون** ﴾ ، ثم أردف متعجبا : ﴿ **ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون** ﴾ .

سبحان الله . . هذا هدهد صغير علم وجوب الدعوة وفرضية الأمر والنهي ، فطرة لا اكتسابا ، وبداهة لا تعلما ، وغيره من البشر يناقشك الساعات الطوال والأيام العجاف ، يطلب إليك أن تبرهن له على فرضية الدعوة ووجوب التبليغ !!

علم الهدهد هذا وعمل بمقتضاه فكافأه الله بأن أنقذه من الذبح ، وجعل إيمان أهل

اليمن كلهم علي يديه ، وجعلهم بحسناتهم في ميزانه ، بل وكرّمه بأن نهى عن قتله ، قال **القرطبي** : " لما كان الهدهد داعيا إلي الخير وعبادة الله وحده والسجود له . . نهى عن قتله " [١]، فإن النبي ﷺ (**نهى عن قتل الصرد والضفدع والنملة والهدهد**) [٢].

(٣) ولا نتشبّهنّ بيهود :

عن **عكرمة** قال : جئت **ابن عباس** يوما وهو يبكي ، وإذا المصحف في حجره ، فأعظمت أن أدنو ، ثم لم أزل على ذلك حتى تقدمت فجلست ، فقلت : ما يبكيك يا أبا عباس جعلني الله فداك ، فقال : هؤلاء الورقات ، وإذا هو في سورة الأعراف . قال : تعرف أيلة ، قلت : نعم ، قال : فإنه كان بها حي من يهود سبقت إليهم الحيتان يوم السبت شرعًا ، ثم إن الشيطان أوحى إليهم فقال : إنما نهيتم عن أكلها يوم السبت ، فخذوها فيه ، وكلوها في غيره من الأيام ، قالت ذلك طائفة منهم ، وقالت طائفة (الآمرون الناهون) : بل نهيتم عن أكلها وأخذها وصيدها يوم السبت ، فكانوا كذلك ، حتى جاءت الجمعة المقبلة ، فغدت طائفة بأنفسها وأبنائها ونسائها ، واعتزلت طائفة ذات اليمين (الدعاة) ، واعتزلت طائفة ذات اليسار وسكتت ، قال الأيمنون : ويلكم .. الله الله .. ننهاكم أن تتعرضوا لعقوبة الله ، وقال الأيسرون : ﴿ **لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا** ﴾ ؟ قال الأيمنون : ﴿ **معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون** ﴾ ، فمضوا على الخطيئة ، فلما أصبحوا ضربوا عليهم الباب ونادوا فلم يجابوا ، فوضعوا سلما وأعلوا سور المدينة رجلا ، فالتفت إليهم فقال : أي عباد الله ، قردة والله تعاوى لها أذناب ، ثم قرأ ابن عباس : ﴿ **فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون** ﴾ ، قال : فأرى الذين نهوا نجوا ولا أرى الآخرين ذكروا ، ونحن نرى أشياء ننكرها ولا نقول فيها " [٣].

---

(١) تفسير القرطبي (٦ / ٩٨) .
(٢) رواه ابن ماجة عن أبي هريرة كما في ص ج ص رقم (٦٩٧٠) .
(٣) تفسير القرآن العظيم بتصرف (٣ / ٤٩٤) .

(٤) الدعوة إلى الله سيماء الشهامة وعلامة المروءة :

نظرة واحدة منك إلي مواضع الصراع ونزف الدماء علـــي وجــه المعمـــورة ، تُظهر لك في وضوح أن كل مذبحة . . تُوجه إلى صدور المسلمين ، وكـــل مؤامـــرة . . تُحاك ضدهم ، وكل شتات . . يتوحد عليهم ، وإن نزف دمائهم مستمر حتى هذه اللحظات التي تقرأ فيها هذه الكلمات ، أصبحنا كالشاة التائهة في الليلة المطيرة الشـــاتية ، وصرنـــا كالأيتام على موائد اللئام ، ووصل حال الإسلام إلى ما وصفه الشاعر :

أنى اتجـــهت إلي الإسلام في بلد   وجدتُّه كالطير مقصوصا جناحاه

أما أسود المسلمين البواسل فقد انقلبوا إلى مليار قط يموء :

مليـــار كم لا خيـــر فيه كأنـــما   خُطّت وراء الواحـد الأصفـــار

إن قطرات الدم التي تقطر من شهداء المسلمين على وجه المعمـــورة ، إذ تشـــهد لهم عند الله لا بسكنى الفراديس ، تشهد علينا بخذلان إخوان العقيدة، وتسليمهم لقمة ســائغة إلى الأعداء ، وآل حال المسلمين اليوم إلى حال هي دون حال البغال على عهد الفـــاروق عمر ، الذي خشي أن يحاسبه الله على تعثر بغلة بشاطئ الفرات لم لم يُسوّ لها الطريق !!

يا أصحاب المروءة إن شبعنا إذ إخواننا يجوعون حرام ، وأمننا إذ هم يفزعـــون حرام ، واكتساؤنا إذ هم يلتحفون العراء حرام حرام .

أسألك فأقول ألم يتحرك فيك النبض سريعا وأنت ترى الركع السجود يحصدهـــم رشاش علج يهودي في محراب إبراهيم ؟! ألم تتفجر أوداجك كمداً حين رأيـــت العربيـــدة تزري برسول الله ﷺ ؟! ألم تثر نخوتك يا عربي تدنيس أعراض أخواتك العفيفات هنـــاك على أرض البلقان ؟ ألم يحل عقدة لسانك ويطلق صرخات الألم منك قطع ألسنة المؤذنيـــن على أرض ليبيريا ؟ ألم يزهّدك في متابعة مباريات الكرة اللـــهو بـــرؤوس أئمتنـــا فـــي البوسنة والهرسك ؟

أين إيمانك ؟ أين دينك ؟ أين توحيدك ؟ أتظن أن الله يغفر لك هذا القعـــود وهـــذا الخذلان ؟ أو . . لن أسألك عن إيمانك بل عن شهامتك ، ولن أقول لك أين إيمـــانك بـــل أين إنسانيتك ؟ ولن أستثير فيك معاني العقيدة بل معاني الرحمة .

أما بلغك حديث المصطفى ﷺ : " **ما من امرئ يخذل مسلما في موطن ينتقـــص فيه من عِرضه وينتـــهك فيـــه مـــن حرمتـــه إلا خذلـــه الله فـــي موطـــن يُحـــب فيـــه**

نصرته " (١).

فإن لم يحركك دينك وشهامتك فليحركك خوفك من أن تلقى هذا المصير ، وتؤول إلى ذات المآل .

أخي . . أتسمعني ؟!

أناديك . . أين أنت ؟ أين أجدك ؟ أيهدأ لك بال ؟ أيغمض لك جفن ؟ قدّم العمل وأيقظ الأمل ، ولا تستصغر ما يمكن أن تفعله أو تحتقر ما تستطيع أن تقدّمه ، ولك في النساء قدوة ، يا من جعل الله له القوامة على النساء ، وانظر إلى ما فعلت هذه المرأة بقومها . .

(٥) امرأة تبعث أمة :

المرأة اسمها **ميسون** ، والمكان : دمشق ، والزمان : يوم من أيام سنة (٦٠٧) هجرية ، والمحنة : هجوم الصليبيين الغزاة كالطوفان يدمر كل من يقف أمامه ، ومحنتها : استشهاد إخوتها الأربعة في جهادهم المقدس .

ماذا يمكن أن تفعل امرأة عزلاء في مواجهة هذه الجحافل ؟ نعم . . امرأة وحدها لا تقوى على عمل شئ ، لكنها امرأة صاغها الإيمان خلقا آخر ، فقلبت الموازين ، وأدارت دفة الأمور ، وغيَّرت مجرى الأحداث ، نزل الإيمان قلبها فإذا بها تُحس أن في عضلاتها القوة التي تهز دمشق هزا ، وفي حنجرتها الصوت الذي يُسمِع الأموات ، وفي قلبها العزم الذي لا يكل والمدد الذي لا ينقطع ، والبأس الذي يفل الحديد ويدك الحصون .

جمعت النساء اللاتي حضرن يواسينها ويعزّينها وقالت لهم : إننا لم نُخلق رجالا نحمل السيوف ، ولكن إذا جبن الرجال لم نعجز نحن عن العمل ، هذا والله شعري ، أثمن ما أملك ، أنزل عنه أجعله قيدا لفرس تقاتل في سبيل الله ، لعلي أُحرّك به هؤلاء الأموات .

وأخذت المقص فجزَّت شعرها ، وصنع النساء صنيعها ، ثم جلسن يضفّرنه لجما وقيودا لخيل المعركة الفاصلة ، لا يضفرنه ليوم زفاف أو ليلة عرس ، وأرسلن هذه القيود واللجم إلى خطيب الجامع الأموي **سبط ابن الجوزي** ، فحمله إلى الجامع يوم

---

(١) رواه أحمد وأبو داود عن جابر وأبي طلحة ، وحسنه الألباني في ص ج ص رقم (٥٦٩٠) .

الجمعة ، وقعد في المقصورة ، وحبس هذه اللجم والقيود بين يديه ، والدمع يترقرق من عينيه ، ووجهه ممتقع شاحب ، والناس يلحظون ذلك كله وينظر بعضهم إلى بعض ، حتى قام وخطب خطبة حروفها من نار ، تلذع أكباد من يسمعها وكلماتها سَجَر ، فكانت إحدى المعجزات البلاغية التي يهدر بها كل عصر مرة لسان محدّث ، أو يمشي بها قلم ملهم ، كرامة من الكرامات وواحدة من خوارق العادات ، وإنما حفظ الرواة جملا منها نقلوها إلى لسان الأرض ، وكان مما حفظوا :

" يا من أمرهم دينهم بالجهاد حتى يفتحوا العالم ويهدوا البشر إلى دينهم ، فقعدوا حتى فتح العدو بلادهم وفتنهم عن دينهم .

يا من باع أجدادهم نفوسهم من الله بأنّ لهم الجنة ، وباعوا هم الجنة بأطماع نفوس صغيرة ولذائذ حياة ذليلة .

يا أيها الناس :

ما لكم نسيتم دينكم ، وتركتم عزتكم ، وقعدتم عن نصر الله فلم ينصركم ، وحسبتم أن العزة للمشرك ، وقد جعل الله العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

يا ويحكم . . أما يؤلمكم ويشجي نفوسكم مرأى عدو الله وعدوكم ، يخطو على أرضكم التي سقاها بالدماء آباؤكم . . يذلكم ويتعبدكم . . وأنتم كنتم سادة الدنيا ؟!

أما يهز قلوبكم وينمّي حماستكم ، أن إخوانا لكم قد أحاط بهم العدو ، وسامهم ألوان الخسف ؟

أما في البلد عربي ؟! أما في البلد مسلم ؟! أما في البلد إنسان ؟!

العربي ينصر العربي ، والمسلم يعين المسلم ، والإنسان يرحم الإنسان . .

من لم يهب لنصرة فلسطين لا يكون عربيا ولا مسلما ولا إنسانا . .

أفتأكلون وتشربون وتنعمون وإخوانكم هناك يتسربلون باللهب ويخوضون النار ، وينامون على الجمر ؟

يا أيها الناس : إنها قد دارت رحى الحرب ، ونادى منادي الجهاد ، وتفتحت أبواب السماء ، فإن لم تكونوا من فرسان الحرب فأفسحوا الطريق للنساء يدرن رحاها ، واذهبوا فخذوا المجامر والمكاحل . . يا نساءً بعمائم ولحى ! !

أولا . . فإلى الخيول ، وهاكم لجمها وقيودها ، يا ناس . . أتدرون مم صنعت هذه اللجم وهذه القيود ؟

لقد صنعها النساء من شعورهن ، لأنهن لا يملكن شيئا غيرها يساعدن به فلسطين ، هذه والله ضفائر المخدَّرات التي لم تكن تبصرها عين الشمس صيانة وحفظا ، قطعنها لأن تاريخ الحب قد انتهى ، وابتدأ تاريخ الحرب المقدسة . . الحرب في سبيل الله ، وفي سبيل الأرض والعرض ، فإذا لم تقدروا على الخيول تقيدونها بها ، فخذوها فاجعلوها لكم ذوائب وضفائر ، إنها من شعور النساء . . ألم يبق في نفوسكم شعور ؟!

وألقاها من فوق المنبر على رؤوس الناس وصرخ :

تصدّعي يا قبة النسر ، وميدي يا عُمُد المسجد ، وانقضي يا رجوم ، لقد أضاع الرجال رجولتهم " [١].

فصاح الناس صيحة ما سُمع مثلها ، ووثبوا يطلبون الموت ، فجاء النصر المبين على يد امرأة واحدة أيقظت أمة نائمة .

أقول لكم :

إن انتصار الإسلام اليوم لا يتم إلا بإيجاد نساء شبيهات **بميسون** ، ورجال من أمثال **سبط ابن الجوزي** ، **وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب** ، فإن قعدت الأمة عن تربية مثل هذه النماذج ، والدعوة إلى إحيائها أثمت الأمة كل الأمة . فلتسرج جواد الدعوة إلى الله ، فرب مُبلَّغ أوعى من سامع ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، والخير في هذه الأمة إلى يوم القيامة لا ينضب معينه بإذن الله .

إن قعودنا عن الدعوة والتبليغ ما هو إلا رصاصة غادرة نوجهها إلى صدور إخواننا العارية ، وإن إيثارنا تربية العيال وجمع الأموال على بذل الأوقات والبشارة والنذارة ، لهو أعظم يد عون نقدمها لعدوهم ، وإن اعتزالنا في خلوات التعبد وإيثار السلامة عن غشيان الخلق والأخذ بنواصيهم إلى طريق الله ، لهو بذور محنة جديدة نزرعها ليجني لظاها إخواننا المعذبون .

فلننصر الله على أنفسنا ، ولننصر إخواننا على شياطين الإنس والجن ، ولنعمل قانون التغيير الإلهي على أنفسنا حتى يغير الله ما بنا .

---

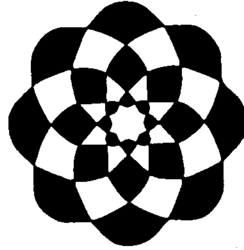
(١) قصص من التاريخ ص (١٤٣-١٤٥) - علي الطنطاوي - ط المكتب الإسلامي ، وهي خطبة من إنشاء الشيخ علي رحمه الله تصور فيها ما قاله سبط ابن الجوزي وليست خطبة سبط ابن الجوزي نفسها كما أشار هو إلى ذلك في آخر طبعة من طبعات الكتاب الصادرة عن دار المنارة بجدة .

أخي .. كان هذا آخر سهم في جعبتي وآخر كلمة في حفيظتي ، فإن قرأت هذه الكلمات وطويت هذه الصفحات دون أن تدب فيك حياة فلست بحي ﴿ **لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين** ﴾ [يس : ٧٠] .

عند التسليم

قال عبد الوهاب عزام :

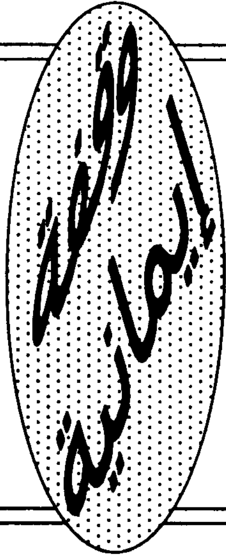
" كم من مُسبّح أيقظ لسانه وأنام قلبه ، وحرّك بنانه وسكّن لُبّه ، وكم من مُصَلٍّ أطال الصلوات وهام من الغيّ في فلوات ، وكم من واعظ صقل بيانه وأغفل جَنانه ، وكم من داعية ينصر قوله الفضائل ويُعجب فعله الرذائل ، فلا وربك حتى يكون الفعل على اللسان رقيبا ، والضمير على البيان حسيبا ، وحتى تُظهر الجوارح ما تُكِنُّ الجوانح ، وحتى تكون عبادتك في قلبك ضياءً ، وفي عزمك مضاءً ، وفي نفسك أملا ، وفي كفّك عملا " (١).



(١) النفحات ص (١٢٥) .

الصفقة العاشرة

وما أبرئ نفسي



من حاسب نفسه ربح ، ومن غفل عنها خسر ، ومن نظر في العواقب نجا ، ومن أطاع هواه ضل ، ومن علم عمل ، ومن عمل أبصر ، ومن أبصر اعتبر فعلم أن الفضل كله لله .

؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

قبل التنفيذ

الكمين الأخير :

حين غاب الثقات ، وانتشر أصحاب النقائص والعورات . . ظن الأعمش أنه حاد البصر ، وتصور الغراب أن نعيقه يُطرب ، وتفاخر الأعرج بسرعة مشيه . . فشى فيهم جميعا . .

داء العجب . .

حين استغرق القومَ مشاهدةُ النعم وعميت بصائرهم عن المنعم ، وشغلوا أنفسهم بالخلق عن الخالق ، وغاب عنهم أنه ما أنعم عليهم إلا ليدلهم على نفسه ، وما شملهم بفضله إلا ليسلكوا طريق شكره ، ظهر فيهم . .

داء العجب . .

حين أصبح أطباء القلوب عملة نادرة عم الوباء . . وكثر الهلكى ، وصار أكثر الناس إصابة بهذا الداء أكثرهم غفلة عنه ، وأبعدهم عنه أكثرهم خوفا منه ، أهلك الناس . .

داء العجب . .

حين أراد إبليس أن يؤمِّن مستقبل الإفساد ، وأن يكون له وريث شرعي ، وأنيس يملأ النار عليه أنسا ، لم يجد بغيته كما وجدها فيمن استشرى فيهم . .

داء العجب . .

حين عبر الإنسان قنطرة الكسل ، فأدى ما افترضه ربه عليه ، لجأ الشيطان إلى محاولة الإفساد الأخيرة ، فنصب فخا يبغي به نسف ما سلف ، ونثر على وجه هذا الفخ بذور . .

داء العجب . .

أرباح المشروع

(١) سالك طريقهم وارد حوضهم :

اتهام النفس ومعاتبتها من أبرز سمات المؤمنين ، آيتان من كتاب الله تعرضان

هذا المعنى وتوضحاه غاية الإيضاح :

■ **الأولى : ﴿ وبالأسحار هم يستغفرون ﴾** [الذاريات : ١٨] .

قال **القشيري** : " أخذ عنهم أنهم مع تهجدهم ومعاشهم ، يُنزلون أنفسهم في الأسحار منزلة العاصين ، فيستغفرون استصغارا لقدرهم واستحقارا لفعلهم " (١).

■ **الثانية : ﴿ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ﴾** [المؤمنون : ٦٠] .

قال **القشيري** : " يخلصون في الطاعات من غير إلمام بتقصير أو تعريج على أوطان الكسل ، أو جنوح إلى الاسترواح بالرخص ، ثم يخافون كأنهم ألموا بالفواحش ، ويلاحظون أحوالهم بعين الاستصغار والاستحقار ، ويخافون بغتات التقدير وقضايا السخط ، وكما قيل :

يتجنب الآثام ثم يخافها ... فكأنما حسناته آثام " (٢)

وانظروا إلى :

■ **مطرف بن عبد الله وبكر بن عبد الله المزني** ، وهما من هما في درجات الزهد والورع يقفان يوم عرفة ، فيقول **مطرف** : " اللهم لا تردهم من أجلي " ، ويقول **أبو بكر** : " ما أشرفه من مقام لولا أني فيهم " (٣).

■ وإ**براهيم التيمي** يُسأل : ما تقول يا فقيه في كذا ؟ ، فيجيب : " إن زمانا صرت فيه أنا فقيها لزمان سوء " (٤).

■ و**الحسن البصري** يقول : " ليس لأمثالنا نوافل ، إنما النوافل لمن كملت فرائضه " (٥).

■ و**الفضيل بن عياض** يعاتب نفسه : " يا فضيل كنت في شبابك فاسقا ، ثم صرت في كهولتك مرائيا ، والله للفسق أهون من الرياء " (٦).

---

(١) لطائف الإشارات (٣ / ٤٦٣) .

(٢) لطائف الإشارات (٢ / ٥٧٩) .

(٣) المدهش ص (١٤٧) .

(٤) تنبيه المغترين ص (١٠٩) .

(٥) تنبيه المغترين ص (١٠٤) .

(٦) تنبيه المغترين ص (١١٢) .

- **وعطاء السلمي** إذا أصاب أهل بلد ربح أو غلاء أو فناء أو برء يقول : " كل هذا من أجل ذنوب عطاء ، لو مات عطاء لاستراح الناس منه " (١).

هذا هو سبيل المؤمنين سبيل مطرف وبكر ، هو نفسه سبيل التيمي والحسن ، هو ذاته وجهة الفضيل وعطاء ، مسحة واحدة وطبعة واحدة ونهج واحد ، وقاطرة المؤمنين تنظم هؤلاء جميعا تربطهم بالنبي ﷺ المعلم القدوة الذي كان يقول : " **لو يؤاخذني وابن مريم ربي بما جنت هاتان** (يعني إصبعيه التي تلي الإبهام والتي تليها) ، **لعذبنا ولا يظلمنا شيئا** " (٢).

يا أخي . . من أراد اللحاق بالقافلة اتصف بصفاتها فأدرك أهلها ، وإلا فما زالت وصية النبي ﷺ ترتج في آذاننا وآذان من أراد الرفقة دون دفع الأجرة :

قال ﷺ : " **كما لا يُجتنى من الشوك العنب ، كذلك لا ينزل الفجار منازل الأبرار ، فاسلكوا أي طريق شئتم ، فأي طريق سلكتم وردتم على أهله** " (٣).

(٢) انهام فارتقاء ففراديس :

ذلك أن الذي سلّمه الله من داء العجب ، وعرف نفسه على حقيقتها سارع في إنقاذ نفسه ، وفكاك رقبته ، وتخليص جسده من عذاب الله ، يعلم إنما هي أيام قلائل ، فما على المرء لو وهب نفسه لله ، لا تهدأ نفسه حتى يرى وجه الله الكريم ، ويُبشَّر برضوان الله الذي لا سخط بعده أبدا . .

موقن أنه إن (لم يكن في تقدم فهو متأخر ولابد ، فالعبد سائر لا واقف ، فإما إلى فوق ، وإما إلى أسفل ، إما إلى أمام ، وإما إلى وراء ، وليس في الطبيعة ولا في الشريعة وقوف ألبتة ، وإنما يتخالفون في جهة السير ، وفي السرعة والبطء ﴿ **إنها لإحدى الكبر ۞ نذيرا للبشر ۞ لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر** ﴾ [المدثر : ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧]) (٤).

---

(١) تنبيه المغترين ص (١١٢) .

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة (٨ / ١٣٢) .

(٣) رواه أبو نعيم عن زيد بن مرثد مرسلا وحسنه الألباني في الصحيحة رقم (٢٠٤٦) .

(٤) تهذيب مدارج السالكين ص (٢٤٣) .

(٣) عبادة القلب أربح :

لا شك أن الإخبات والخشوع والإنابة والمعاتبة كلها عبادات قلبية ، لا يطلع عليها أحد إلا الله ، فلا يعلم ثقلها إلا هو سبحانه ، ولعل مثقال ذرة منها ترجح أمثال الجبال من عبادة المغترين .

لذا قال الزاهد الواعظ **يحيى بن معاذ** : " كم من مستغفر ممقوت وساكت مرحوم ، هذا استغفر الله وقلبه فاجر ، وهذا سكت وقلبه ذاكر " (١).

وجزم **الرافعي** مرجِّحا كفة خطوات القلب على خطوات الأقدام فقال :

" **والخطوة التي تقطع مسافة قصيرة إلى القلب تقطع مسافة طويلة إلى السماء** " (٢).

كان **محمد بن واسع** صاحب بصيرة إيمانية ثاقبة ، فرأى ندرة أصحاب الأعمال القلبية ، فلم يغتر بالبهرج الكاذب ، ولم يزغ بصره أمام الزيف ، بل استشعر الوحشة وسط الزحام والغربة بين الأهل ، فأخذ يسترجع وينادي على أصحابه يبكيهم ويقول : واصاحباه .. ذهب أصحابي ، فيقال له : رحمك الله يا أبا عبد الله ، أليس قد نشأ شباب يصومون النهار ويقومون الليل ويجاهدون في سبيل ؟! ، فيقول :

" بلى ولكن أخْ - وتفل - أفسدهم العجب " (٣).

الشروط الجزائية

- ليت أثر العجب وقف عند عدم قبول العمل ورده فحسب - مع هول هذه العقوبة - لكنه يتعدى ضرره فيكون من أضراره أيضا :

---

(١) صفة الصفوة (٤ / ٦٣) .

(٢) السحاب الأحمر ص (٣٣) - مصطفى صادق الرافعي - ط دار الكتاب العربي .

(٣) حلية الأولياء (٢ / ٣٥٢) .

(١) **فقدان حلاوة الطاعة** :

هذه أولى العقوبات وفاتحة النقم التي يجنيها المعجب ، كما نص على ذلك قانون **أبي سليمان الداراني** : " من رأى لنفسه قيمة لم يذق حلاوة الخدمة " (١).

ذلك أن طاعة الله إنما يذوق حلاوتها من انصرف إليها بالكلية ، فإذا التفت القلب إلى الغير تشتت الهم وتفرق الفكر وضاعت اللذة .

أردناكم صِرفا فلما مزجتم ... بَعُدتُّم بقدر التفاتكم عنا
وقلنا لكم لا تُسكنوا القلب غيرنا ... فأسكنتم الأغيار ما أنتم منا

وابن **عطاء** يهز هؤلاء الذين يزرعون الشوك ويرجون العنب ، ويغرسون الحنظل ويرقبون الشهد ، يهزهم هزا خفيفا مخاطبا أحدهم بقوله :

" **متى طلبت عوضا عن عمل طولبت بوجود الصدق فيه** " (٢).

ومهما ادعى المعجب فهو كاذب في دعواه ، تفضحه شهادة إمام الورع الصادق **يحيى بن معاذ** :

" **كل من ادعى درجة سقط منها** " (٣).

فمن ادّعى أنه متواضع فهو متكبر ، ومن ادّعى أنه صادق فهو كاذب ، ومن ادعى أنه نقي فهو خبيث ، ومن ادعى أنه قانع فهو طامع ، ومن ادعى أنه مستقيم فهو مراوغ .

المخلص يترك أعماله تتكلم عنه ، فهي أصدق شاهد وأبلغ خطيب ، والمتعجب سلاحه لسانه وعدته بيانه ، ولذا فأعماله تفضحه ، وريحه تفضحه ، وكلامه ولو لم يتكلم إلا بكلمة واحدة يفضحه . . ﴿ **ولتعرفنهم في لحن القول** ﴾ [محمد : ٣٠] .

وما أجمل تشبيه الداعية الموفق **محمد أحمد الراشد** ، حين قال في ألفاظ جلية حوت معان خفية ، وأوضح في كلام قريب رمى هدفا بعيدا :

" ولقد شبّهوا المستكمل النقي ببدر تمام ، كيف أنه استدار لم يتربع ولم يتطاول ، فالبدر تمدحه الشعراء حتى امتلأت دواوينهم بوصف بهائه وهو صامت ساكن ، يعلوه

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٠ / ١٨٤) .
(٢) حكم ابن عطاء ص (٧٠) – ط دار الشعب .
(٣) تنبيه المغترين ص (١١٢) .

وقار الاطمئنان ، إنه لن يغفل عن روعته أحد من ملتذ برؤيته في صمت أيضـا ومنبّـه اللسان ، قالوا : أما الناقص المفضوح بفتوق لا رتق لها ، فهو كالقمر حين يخسف يخـرج عن سكينته وصمته ، ويحتاج لضجيج الطبول ، ومدائح الأطفـال ، ويسـتجيز حماسـة العجائز ، يهيب بهن أن ينكرن على حوت ابتلعه واعتدى على حقه وجماله " (١).

(٢) تعيير يتبعه تغيير :

في آخر طريق العجب تجد تعيير الخلق منتظرا ، يأبى إلا أن يصحب المعجـب في رحلته بعيدا عن الله ، وها هو **الحسن البصري** وريث النبوة يخبرنـا عـن مشـاهدته وعصارة تجربته ، فيقول : " كنا نحدّث إن من عيَّر أخاه بذنب قد تاب منـه ، ابتـلاه الله عز وجل به " (٢).

هذه عقوبة الله للمعجب المُدِلّ بعمله ، جزاء وفاقا ولا يظلم ربك أحـدا ، وتكـاد تكون قانونا لا يفلت منه أحد ، حتى خاف فقيه الأمة **عبد الله بن مسعود** على نفسه منـه فقال : " لو سخرت من كلب ، لخشيت أن أكون كلبا " (٣).

(٣) صرعى الرياء :

إذا طال أثر العجب في نفس المعجب دون علاج ، أثمر ولا شك ثمـرة شـديدة المرارة تسمى الرياء ، ليجد الإنسان نفسه في غير معمل ، تعب في الدنيا فـي تحصيـل رضا الناس ، وعذاب في الآخرة من عند رب الناس .

أعمال المعجبين حرث في بحر . . زرع في هـواء . . وليـت الأمـر وقـف عند هذا الحد ، بل يكون لهم خزي افتتـاح نـيران جـهنم : قـارئ للقـرآن ومجـاهد ومنفق ، جمعوا سوء كيلة مع حشف ، حبوط عمل مع نار ، خبث سـريرة مـع فسـاد الباطن .

لما خاف **ابن عطاء** عليك من هذا المصير أرشـدك ناصحـا : " ولأن تصحـب

---

(١) العوائق ص (٢٩-٣٠) - محمد أحمد الراشد - ط دار المنطلق .

(٢) الزهد ص (٣٤٢) - أحمد بن حنبل - ط دار الريان للتراث .

(٣) نزهة الفضلاء (١ / ١٩٧) - محمد بن حسين العقيل الشريف - ط دار الأندلس الخضراء .

جاهلا لا يرضى عن نفسه ، خير لك من أن تصحب عالما يرضى عن نفسه " [١].

وليس أحد إلا وهو يُخشى عليه أن يهلك بهذا الداء ، بل إن **عبدة بن أبي لبابة** يجزم أن (أقرب الناس من الرياء آمنهم له) [٢]، وإن كان آمرا بالمعروف ناطقا بالحق دالا عليه ، بل كلما ارتقى المنابر كلما صارت رقبته عرضة لسيف العجب ، وكلما سال مداد الكاتب على الصفحات يرسم الكلمات ، كلما سالت مكائد الشيطان ترسم الصرعلت ، توشك أن توقعه إلا أن يتداركه الله برحمة وينقذ بتوفيق ويهدي لإنابة .

قيل **لداود الطائي** : أرأيت رجلا دخل على هؤلاء الأمراء فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر ، قال : أخاف عليه السوط ، قيل : إنه يقوى ، قال : أخاف عليه السيف ، قيل : إنه يقوى ، قال : " أخاف عليه الداء الدفين . . العجب " [٣].

(٤) تكبَّر فكبِّروا عليه :

آخر طريق العجب . . الكبر ، وآخر الكبر وأوله ووسطه حرمان دخول الجنة لقول النبي ﷺ : " **لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر** " [٤].

فمن أمات عجبه وأهلك حظ نفسه وأحيا قلبه وأيقظ عزمه ، فقد قطع الطريق على شيطانه وهزمه ، ومن ترك الداء يستشري فيه ، فقد أعطى لشيطانه زمام نفسه ، وملَّكه منها ، يسوقه في أغلال العبودية إلى مسكن مجاور له في سقر .

فاعرض نفسك يا أخي على نفسك ، ولا تستمع لدعاوي الشيطان فإنها تورث الصمم عن سماع النصح ، واعلم أنه (ما دام العبد يظن أن في الناس من هو شر منه فهو متكبر) [٥].

---

(١) حكم ابن عطاء ص (٧٠) – ط دار الشعب .

(٢) حلية الأولياء (٦ / ١١٣) .

(٣) صفة الصفوة (٣ / ٦٩) .

(٤) رواه مسلم عن عبد الله بن سلام كما في ص ج ص رقم (٧٦٧٤) .

(٥) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٨٧) ، والقول لأبي يزيد البسطامي .

ومن معاني الكبر احتقار الغير واستصغارهم ، أجاب بذلك **محمد بن صبيح** الشهير **بابن السماك** واعظ الخلافة ، لما سُئل عن حقيقة العجب فقال : " أن تتطاول على الناس بعملك فتحقر كل من رأيته مقصرا في العمل " (١).

تسهيلات الصفقة

■ قال **ابن سمعون** : " كل داء عُرف دواؤه فهو صغير ، والذي لم يُعرف له دواء كبير " (٢).

وداء العجب – إذا وُزن بهذا الميزان – داء صغير ، قد عرفنا دواءه بفضل الله وتوفيقه وأرشدناك إليه في قولنا :

(١) النظر في مرآة السلف يفضح :

اقرأ معي هذه الأخبار لتقتل إعجابك بنفسك :

■ **أبو إسحاق السبيعي** المحدِّث الثقة ، لمَّا بلغ من العمر خمسا وتسعين عاما قال : " ذهبت الصلاة مني وضعف ورق عظمي ، إني اليوم أقوم في الصلاة فما أقرأ إلا البقرة وآل عمران " ، ولما ضعف عن القيام كان لا يقدر أن يقوم إلى الصلاة حتى يُقام ، فإذا أقاموه فاستتم قائما قرأ ألف آية وهو قائم (٣).

■ **طلق بن حبيب** يقول : " إني لأحب أن أقوم لله حتى يشتكي ظهري فيقوم فيبتدئ بالقرآن حتى يبلغ الحجر ثم يركع " (٤)، وكان – رحمه الله – لا يخرج إلى صلاة إلا تصدَّق بصدقة ويقول : " قال الله تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة** ﴾ [المجادلة : ١٢] ، فتقديم الصدقة بين يدي مناجاة

---

(١) تنبيه المغترين ص (١٠٩) .

(٢) صفة الصفوة (٢ / ٢٨٦) .

(٣) صفة الصفوة (٣ / ٥١) .

(٤) صفة الصفوة (٣ / ١٤٥) .

الله أعظم وأعظم " (١).

- **عبد الواحد بن زيد** صلى الغداة بوضوء العتمة أربعين سنة (٢).

(٣) احمل وصية الحمّال :

حمل **بنان الحمال** إليك هذه الوصية ، وهي ثقيلة المعاني غزيرة الفوائد ، فقال في كلام ألبس بهاء الحكمة ونور المعرفة وشرف المعاني وجزالة اللفظ :

" **رؤية الأسباب على الدوام قاطعة عن مشاهدة المسبب** " (٣).

ويردد **عبد القادر الجيلاني** نفس معاني الحمال ، في كلمات تحمل نفس النغمات وذات المذاق فيخاطبك منبها : " لا تنظر إلى الغلام الحمَّال للهدية ، إنما النظر إلى الأستاذ المُنعم بها ، قال الله تعالى في حق من عُدم هذا النظر ﴿ **يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون** ﴾ [الروم : ٧٠] ، فمن نظر إلى الظاهر والسبب ولم يجاوز علمه ومعرفته ، فهو الجاهل الناقص قاصر العقل ، إنما سُمِّي العاقل عاقلا لنظره في العواقب " (٤).

ورحم الله **أبا حازم سلمة بن الأعرج** ، حين ربّت على كتف **محمد بن المنكدر** يوقظه من سِنة غفلة ألمت به ، قال محمد بن المنكدر لأبي حازم : " إن أكثر من يلقاني فيدعو لي بالخير ما أعرفهم ، وما صنعت إليهم خيرا قط " ، قال أبو حازم : لا تظن أن ذلك من عملك ، ولكن انظر إلى الذي دلّك من قبله فاشكره " ، وقرأ الراوي : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا** ﴾ [مريم : ٩٦] (٥).

---

(١) البداية والنهاية (٥ / ١٠٧) - ط دار الكتب العلمية .

(٢) صفة الصفوة (٣ / ١٩٠) .

(٣) سير أعلام النبلاء (١٤ / ٤٨٩) .

(٤) فتوح الغيب ص (٦١) .

(٥) الحلية (٣ / ٢٣٣) .

(٣) جرعة من تواضع تشفي :

والتواضع الذي نعنيه (هي أن لا يلقى العبد أحدا من الناس إلا رأى له الفضل عليه ويقول : عسى أن يكون عند الله خيرا مني وأرفع درجة ، فإن كان صغيرا قال : هذا لم يعص الله تعالى وأنا قد عصيت ، وإن كان كبيرا قال : هذا عَبَدَ الله قبلي ، وإن كان عالما قال : هذا أُعطي ما لم أبلغ ونال ما لم أنل وعلم ما جهلت وهو يعمل بعلمه ، وإن كان جاهلا قال : هذا عصى الله بجهل وأنا عصيته بعلم ، ولا أدري بم يُختم لي وبم يُختم له ، وإن كان كافرا قال : لا أدري عسى أن يُسلم فيُختم له بخير العمل وعسى أن أكفر فيُختم لي بسوء العمل) (١).

هذا ما حققه الصحابة في نفوسهم ، مع أنهم أكرم الخلق على الله وخير قرون هذه الأمة ، تجد **عمر بن الخطاب** ﷺ يأخذ بيد الصبي ، فيجيئ به ويقول له : " ادعُ لي فإنك لم تذنب بعد " (٢).

شرب **الإمام الشافعي** من جرعات التواضع ، حتى ارتوى وروى واستفاد وأفاد وشُفي وشَفى ، كان رحمه الله يزور **الإمام أحمد** مع أنه أستاذه ، فعوتب في ذلك فقال :

قالوا يزورك أحمد وتزوره ... قلتُ: الفضائل لا تغادر منزله
إن زارني فبفضله أو زرتُه ... فلفضله فالفضل في الحالين له

ولذا عزَّ وبزَّ ، وعلا وسما ، وبلغت شهرته الآفاق ، موجزا حكايته :

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر ... على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تكُ كالدخان يعلو بنفسه ... إلى طبقات الجوّ وهو وضيع

وأما من خالف نهجه ورفع سعره وزهى بنفسه حتى لكأنّ كسرى حامل متاعه ، وقارون وزير نفقته ، وبلقيس إحدى داياته ، وكأن يوسف لم ينظر إلا بطلعته ، وداود لم ينطق إلا بنغمته ، ولقمان لم يتكلم إلا بحكمته ، والشمس لم تطلع إلا من جبينه ، هذا ومثله نقول فيه :

---

(١) فتوح الغيب ص (١٩٥) .

(٢) سيرة ومناقب عمر بن الخطاب ص (١٤٣) – ط دار الفجر للتراث .

مثل المعجب في إعجابه   مثل الواقف في رأس الجبل
يبصر الناس صغارا وهو   في أعين الناس صغيرا لم يزل

(٤) خالف النفس :

قدّم لك **عبيد الله بن أبي جعفر** علاجا فوريا لهذا الداء فقال : " إذا كان المرء يُحدِّث في مجلس فأعجبه الحديث فليمسك ، وإن كان ساكتا فأعجبه السكوت فليتحدث " [١]، وذلك لأن النفس أمارة بالسوء إن دلَّت فعلى شر ، فإن كان خيرا فمقصودها تفويت طاعة أعظم أجرا وأجزل مثوبة ، وترجمة وصية عبيد الله إلى لغة الشعراء جاء فيها :

وخالف النفس والشيطان واعصهما   وإن هما محّضاك النصح فاتهم

ولذا جاء في كتاب **تنبيه المغترين** – وانتبه إلى اسم الكتاب – أن الراشد الخامس **عمر بن عبد العزيز** كان إذا خطب على المنبر فخاف العُجب قطع الكلام وعدل إلى غيره مما لا عُجب فيه ، وإذا كتب كتابا فخاف العُجب فيه مزقه ، وقال : " اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي " [٢].

(٥) خواتيم مقلقة :

قال زيد بن أسلم موصيا ابنه :

" يا بني . . لا ترى أنك خير من أحد يقول لا إله إلا الله ، حتى تدخل الجنة ويدخل النار ، فإذا دخلت الجنة ودخلت النار تبين لك أنك خير منه " [٣].

هي وصية النبي ﷺ شرحها زيد ليس إلا ، حيث قال ﷺ : **" لا تُعجبوا بعمل عامل حتى تروا بم يُختم له "** [٤].

لذا أوصاك الصالحون : اجعل قدوتك في الأموات ، وما دام النبض جاريا فلا تزال المعركة مستمرة ، والقتال مستعر والحرب سجال ، هل يضمن أحد أن يكون خير

---

(١) سير أعلام النبلاء (٦ / ١٠) .
(٢) تنبيه المغترين ص (١٠٩) .
(٣) حلية الأولياء (٣ / ٢٢٢) .
(٤) رواه الطبراني في الكبير عن أبي أمامة كما في ص ج ص رقم (٧٢٤٣) .

أعماله خواتيمها وخير أيامه يوم لقاء الله ؟ ومن الذي يضمن أن الجولة الأخيرة ستكون له ؟ وأن الضربة القاضية ستكون من نصيبه ولن تكون من نصيب إبليس ، كما كان الحال مع **عبده بن عبد الرحيم** . . فما خبر هذا الرجل ؟

قال عنه **الإمام ابن الجوزي** :

" كان من المجاهدين كثيرا في بلاد الروم ، فلما كان في بعض الغزوات والمسلمون محاصرو بلد من بلاد الروم ، إذ نظر إلى امرأة من نساء الروم في ذلك الحصن فهويها ، فراسلها : ما السبيل إلى الوصول إليك ؟ فقالت : أن تتنصر وتصعد إليَّ ، فأجابها إلى ذلك ، فما راع المسلمين إلا وهو عندها ، فاغتم المسلمون بسبب ذلك غما شديدا، شق عليهم مشقة عظيمة ، فلما كان بعد مدة مروا عليه وهو مع تلك المرأة في ذلك الحصن ، فقالوا : يا فلان ، ما فعل قرآنك ؟! ما فعل علمك ؟! ما فعل صيامك ؟! ما فعل جهادك ؟! ما فعلت صلاتك ؟!

فقال : اعلموا أني أُنسيت القرآن كله إلا قوله : ﴿ **ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ، ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون** ﴾ [الحجر : ٢ - ٣] ، وقد صار لي فيهم مال وولد " (١).

٦) الوصفة الثالثة :

أخبرنا **الإمام الشافعي** في كلمات منهن يُجتنى الدُر :

" إذا خفت على عملك العجب فاذكر رِضى من تطلب ، وفي أي نعيم ترغب ، ومن أي عقاب ترهب ، فمن فكر في ذلك صَغُر عنده عمله " (٢).

أ) رضى من تطلب :

ما قدرك أيها المعجب في كون الله ، اعرف قدر نفسك قبل أن تُغالي بسعرك في ضوء هذه الأحاديث الثلاثة :

- قال رسول الله ﷺ : " **ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة أُلقيت في ترس** " (٣).

---

(١) البداية والنهاية (١١ / ٦٤) .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠ / ٤٢) .

(٣) رواه ابن جرير وابن أبي شيبة مرفوعا عن أبي ذر كما في فتح المجيد ص (٦٢١) - تحقيق عبد القادر الأرناؤوط.

■ **لكن ما قدر السماوات السبع ؟**

قال **ابن مسعود** : " بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام ، وبين كل سماء خمسمائة عام ، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام ، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام ، والعرش فوق الماء ، والله فوق العرش لا يخفى عليه شئ من أعمالكم"(١).

■ **لكن ما نسبة العرش إلى الكرسي ؟**

قال النبي ﷺ : " **ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد أُلقيت بين ظهري فلاة من الأرض** " (٢).

تَعرَّف إلى الله عن طريق خلقه تعرف قدر هذا الكون العظيم ، وتعلم قدرك فيه ، وتوقن عندها أن عبادة الثقلين لا تكفي لتحصيل رضاه ، إلا أن يمن الله عليك ويعفو ، لا أن يحاسب ويعدل ، وصدق من قال :

ولو أن نفسا مُذ براها مليكها ... في سجدة قضت من أجله لقليل

قرَّب لك المعنى وبصَّرك بوزن نفسك **سلمة بن دينار** ، فقال :

" اعلم أنك إذا مت لم ترفع الأسواق بموتك، إن شأنك صغير فاعرف نفسك " (٣).

(ب) أبي نعيم ترغب :

المعجب باع كل شئ بلا شئ واشترى لا شئ بكل شئ ، في الجنة موضع سوط أحدكم خير من الدنيا وما فيها ، وخمار الحورية على رأسها خير من الدنيا وما فيها كما أخبر بذلك النبي ﷺ ، أي أن الدنيا كلها لا تصلح أن تكون ثمنا لشبر واحد في الجنة أو خمار لإحدى الحور ، فكيف يظن معجب أن عبادته تصلح للجنة ثمنا ؟! أيها المعجب نقول لك أعظمت المهر وأسأت الخطبة ، ضع يدك في جيب عملك لتحسب ما معك من طاعات ، يرتد إليك البصر خاسئا وهو حسير .

(ج) من أي عقاب ترهب :

قال الله تعالى : ﴿ **إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه**

---

(١) فتح المجيد ص (٦٢١) .

(٢) رواه ابن جرير وابن أبي شيبة مرفوعا عن أبي ذر كما في العقيدة الطحاوية - تحقيق الألباني ص (٣١٢) .

(٣) حلية الأولياء (٣ / ٢٣٢) .

ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تُقبل منهم ولهم عذاب أليم ﴾ [المائدة : ٣٦] .

وذلك حين يرون العقاب وشدته ، والعذاب وروعته ، ما لا عيـــن رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فيصبح الموت أمنية ، ولا عجـــب أن تصبـــح مجـــرد النجاة من هذا الهول أغلى من ضعف كنوز الأرض جميعها .

عند التسليم

قيل **للحسن** : أن فلانا لا يعظ ويقول : أخاف أن أقول مـــــا لا أفعـــل ، فقـــال **الحسن** : وأينا يفعل ما يقول ؟! ودّ الشيطان لو ظفر بهذا ، فلم يُؤمر بمعروف ولـــم يُنْـــه عن منكر [1].

لئن لم يعظ العاصين وهو مذنب   فمن يعظ العاصين بعد محمد

(١) لطائف المعارف ص ٥٦ - ابن رجب الحنبلي .

كشاف الصفقات

أولا : التفسير :

- تفسير القرآن العظيم — الحافظ ابن كثير
- بصائر ذوي التمييز — الفيروز آبادي
- لطائف الإشارات — القشيري

ثانيا : الحديث الشريف وشروحه :

- صحيح الجامع الصغير — الألباني
- السلسلة الصحيحة — الألباني
- صحيح الترغيب والترهيب — الألباني
- مختصر صحيح مسلم — الألباني
- مشكاة المصابيح — الألباني
- اللؤلؤ والمرجان — محمد فؤاد عبد الباقي
- شرح النووي لصحيح مسلم — النووي
- فيض القدير — المناوي
- فتح الباري — ابن حجر العسقلاني
- المختار من كنوز السنة — محمد عبد الله دراز

ثالثا : الرقائق والأخلاق :

- إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان — ابن قيم الجوزية
- الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية — ابن قيم الجوزية
- الفوائد — ابن قيم الجوزية
- حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح — ابن قيم الجوزية
- الوابل الصيب من الكلم الطيب — ابن قيم الجوزية

- زاد المعاد — ابن قيم الجوزية
- تهذيب مدارج السالكين — عبد المنعم صالح
- ذم الهوى — ابن الجوزي
- المدهش — ابن الجوزي
- اللطائف — ابن الجوزي
- الياقوتة — ابن الجوزي
- التبصرة — ابن الجوزي
- التذكرة فى الوعظ — ابن الجوزي
- بحر الدموع — ابن الجوزي
- صيد الخاطر — ابن الجوزي
- بستان الواعظين ورياض السامعين — ابن الجوزي
- منهاج العابدين — أبو حامد الغزالي
- إحياء علوم الدين — أبو حامد الغزالي
- رسالة المسترشدين — الحارث المحاسبي
- قيمة الزمن عند المسلمين — عبد الفتاح أبو عزة
- التوبة — الحارث المحاسبي
- لطائف المعارف — ابن رجب الحنبلي
- الزهد — عبد الله بن المبارك
- شرح حكم ابن عطاء — ابن عباد النفري الزندي
- مكاشفة القلوب — أبو حامد الغزالي
- قوت القلوب — أبو طالب المكي
- الفتح الربانى — عبد القادر الجيلاني
- الزهد — أحمد بن حنبل
- المستطرف فى كل فن مستظرف — الأبشيهي
- الرسالة القشيرية — القشيري
- كتاب التوابين — ابن قدامة المقدسي
- كتاب مجابي الدعوة — أبو بكر بن أبى الدنيا

رابعا: الأدب:

خامسا: التاريخ:

سادسا: السير والأعلام:

فهرس الصفقات